

مَنبَرُ الْإِسْلَامِ



الثلث ٥ قروش

العدد ٨ - السنة ١٩ - شعبان ١٣٨١ - يناير ١٩٦٢



مجلة الثقافة الإسلامية

يصدرها:
المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية
بوزارة الأوقاف

في عشرة كل شهر عربي

مدير التحرير محمد الغزالي

شعبان ١٣٨١

يناير ١٩٦٢

العدد ٨ السنة ١٩

بسم الله الرحمن الرحيم

من محتويات العدد

- معالم الطريق
- خطاب من القاهرة
(السيد الاستاذ حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية ووزير الاوقاف)
- زعماء العالم الاسلامى فى القاهرة
- الشافعى يفتتح الموسم الثنائى لوزارة الاوقاف
- الصلاة والعلم
(الاستاذ الكبير عباس محمود العقاد)
- حاجة العالم الى الاسلام اليوم
(فضيلة الشيخ محمد ابو زهرة)
- من ابواب التكافل الاجتماعى فى الاسلام
(فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى)
- محاربة الاسلام لمبادئ التفرقة العنصرية
(الدكتور على عبد الواحد وائى)
- وقفه مع من يفسرون القرآن
(فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى)
- كلمة صريحة هادئة
(فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى)
- التربية الاسلامية
(فضيلة الشيخ السيد سابق)
- القيم الاسلامية
(الدكتور احمد فؤاد الاهوانى)
- المثل الاعلى للاخلاى العربية
(الدكتور عثمان امين)
- دراسة الفضاء طريق الايمان
(الاستاذ عبد الرازق نوفل)
- التربية بين الكتب والاباحة
(فضيلة الشيخ محمد الغزالى)

الاشتراكات عن سنة

- ٥. قرشا فى الاقليم الجنوبى
- ٤. قرشا للعمال والطلبة
- ٧ ليرات فى الاقليم الشمالى
- ٧ ريالات سعودية
- ٨ ريالات هندية
- ١٣ شلنا
- ٧٠٠ فلس

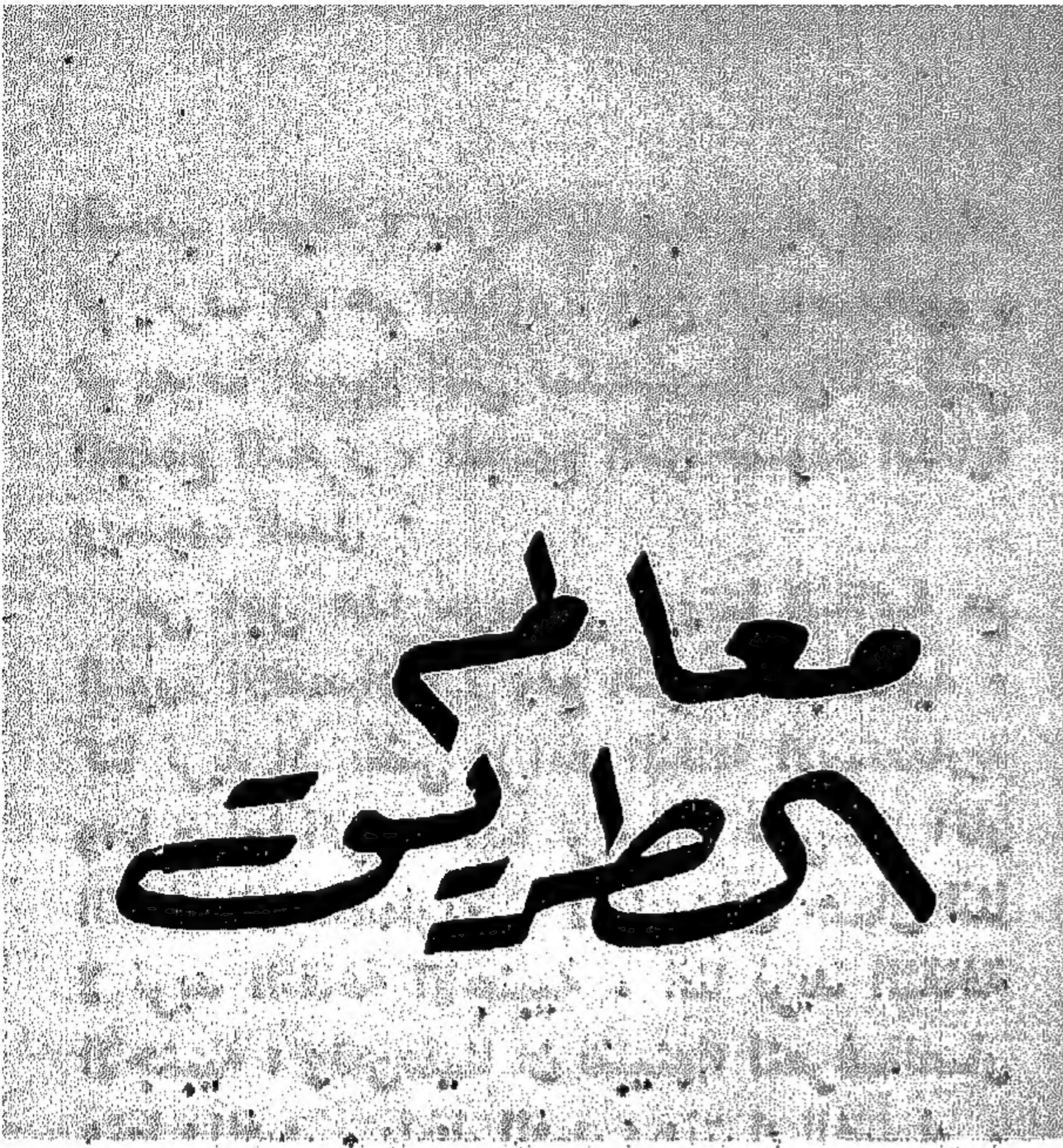
*

والاشتراكات تدفع مقدما

تقبل كوبونات البريد الدولى
ذات القرشين

العنوان

٣ شارع الامير قبادار المتفرع
من شارع التحرير بالقاهرة
ت ٣٣٩٥٦



"الشعوب المؤمنة بحقها
في الحرية والحياة
تستطيع أن تتمتع بالحرية والحياة"

جمال عبد الناصر

مقتطفات من حديث السيد الرئيس في عيد

العلم .

الثقافة الحرة أساس النهضة الناجحة .

كانت ثورة ٢٣ يوليو تعبيراً عن كفاح هذا الشعب ، من أجل الثورة السياسية ، ومن أجل الثورة الاجتماعية ، ومن أجل الثورة الثقافية . كان الجيش حينما خرج في ٢٣ يوليو يعبر عن آمال الشعب التي كافح الشعب من أجلها طويلاً ، آماله في فتح آفاق جديدة ترفرف عليها رايات الكفاية والعدل

كان الجيش حينما خرج في ٢٣ يوليو ، كان يعمل على أن يكون طليعة لهذه الثورة الكبرى ، التي كافح الشعب من أجلها طويلاً

وحينما نجحت ثورة ٢٣ يوليو فتح طريق الثورة السياسية ، وفتح طريق الثورة الاجتماعية ، وفتح أيضاً طريق الثورة الثقافية كان معنى نجاح ثورة ٢٣ يوليو ، أننا سنبنى مجتمعاً جديداً ، متحرراً من الاستغلال السياسي ، والاجتماعي ، والاقتصادي كان معنى نجاح هذه الثورة ، أننا سنحول بلدنا ، سنحول مصر ، المستعبدة سياسياً والمستغلة اقتصادياً ، إلى مصر الحرة سياسياً ، والمتحررة اقتصادياً ، والمتحررة من الاستغلال الاقتصادي والاجتماعي . إلى بلد تسودها ثقافة جديدة .

٣ ثورات : سياسية

واجتماعية وثقافية

وانتصار هذه الثورة في ٢٣ يوليو إنما يعني أننا نريد نظاماً سياسياً جديداً ، ونريد نظاماً اجتماعياً جديداً ، ونريد أيضاً ثقافة جديدة

وكان لابد للمراحل الثلاث أن تسير على مراحل مختلفة . كان لابد للثورة السياسية أن تبدأ عملها ، ثم كان لابد للثورة الاجتماعية

أن تسير في طريقها ، ثم كان أيضاً لابد للثورة الثقافية من أن تفرض وجودها . وكانت الثورة السياسية هي أول مرحلة من مراحل هذه الثورة . وفي أول أيام هذه الثورة قلت لكم - أيها الاخوة - : أننا سنسير في هذه الثورة . في ثورة سياسية ، وفي ثورة اجتماعية ، وقلنا أيضاً أننا سنسير أيضاً في ثورة ثقافية ، لأن الثورة الثقافية إنما هي الثورة الفكرية ، التي تمكننا من أن نحافظ على انتصاراتنا ، وتمكننا من أن نحافظ على مكاسبنا ، وتمكننا من أن نضع مطالب الشعب موضع التنفيذ ، وتمكننا من أن نقضي على الظلم الاجتماعي ، وتمكننا من أن نقضي على الاستبداد السياسي ، وتمكننا من أن نقيم بين ربوع بلادنا حياة حرة كريمة ، حياة نشعر فيها بالعدالة الاجتماعية ، حياة متحررة من الظلم الاجتماعي ، حياة نشعر فيها بأننا نسير جميعاً من أجل بناء بلدنا تحت راية الكفاية والعدل .

ثورة ثقافية هادفة

أن الثورة الثقافية تضع نفسها في خدمة الثورة السياسية ، وفي خدمة الثورة الاجتماعية ، ونحن في سبيل بناء مجتمع مبني على أساس من الكفاية والعدل ، لابد لنا من ثورة ثقافية معادية للاستعمار ، معادية للرجعية ، معادية للاقطاع ، معادية للسيطرة رأس المال وديكتاتوريته ، معادية للاستغلال بكل معانيه . ثورة ثقافية هادفة إلى أن يعرف

الشعب حقوقه ، يعرف مكاسبه ، يعرف آماله
ثم يعرف من هم أعداؤه ، ومن هم أصدقاؤه ،
ثم يعرف السبل التي تمكننا من أن نبني
المجتمع المتحرر ، المجتمع الذي تسوده الكفاية
ويسوده العدل .

من أجل هذا سرنا في ثورتنا الثقافية مع
الثورة الاقتصادية ، ومع الثورة الاجتماعية .
كنا نريد أن نقضى على آثار الثقافة الاستعمارية
وأنا حينما أقول : اننا نريد أن نقضى على آثار
الثقافة الاستعمارية . لانعنى بأى حال أننا
لا نريد الثقافة الأجنبية . اننا نريد الثقافة
الأجنبية ، ولكن علينا أن نتبينها، لنعرف الضرر
منها والمفيد . نأخذ المفيد ، ونترك الضرر .
ولكنى أقول الثقافة الاستعمارية التي كانت
دائما تدفعنا إلى اليأس ، أو تدفعنا إلى أن تسيطر
علينا روح الخنوع . لم تنجح هذه الثقافة ،
لأننا لم نياس ، لأننا نجحنا ، لم تنفع هذه
الثقافة ، لان روح الخنوع لم تسيطر علينا ،
وكما قلت لكم في أول كلامي : ان الثقافة
الشعبية قد انتصرت على الثقافة الاستعمارية ،
لأن هذه الثورة قامت وهي تشهر بأمال
الشعب ، وبأمانى هذا الشعب .

ان الثورة الثقافية - أيها الاخوة - هي سلاح
قوى لجماهير الشعب .

والثورة الثقافية ، لها أهمية كبرى بالنسبة
للحركة التطبيقية الثورية . نحن في ثورتنا
نسير في التطبيق ، من أجل القضاء على
الاستغلال بكل معانيه ، الاستغلال السياسى
الاستغلال الاجتماعى ، والاستغلال الاقتصادى
من أجل إقامة حياة ديمقراطية سليمة ، من أجل
إقامة مفاهيم لنا ، تنبع من ضميرنا ، وتنبع من
مصلحة أمتنا بمجموعها ، للمصلحة فئة قليلة
من أبناءها . الثورة الثقافية لها أهمية كبرى
لأنها هي التي تدعم التطبيق الثورى . هي
التي تدعم الممارسة الثورية . هي التي تدعم
العمل الثورى .

أما جيش الثقافة - كما قلت لكم - فهو
جماهير الشعب في كل أنحاء هذه الجمهورية .
هذا هو الجيش . كل فرد من أبناء البلدهو جيش
الثقافة ، لا يمكن للثقافة أن تقتصر على فرد دون
فرد . بهذه الثقافة نستطيع أن نوّمن مكاسبنا

الاجتماعية ، مكاسبنا السياسية ، مكاسبنا
في الحرية ، مكاسبنا في التخلص من
الاستعمار وأعوان الاستعمار . بهذه الثقافة
نستطيع أن نتغلب على الحرب التي تشنها
ضدنا دوائر الاستعمار والرجعية ، كلنا نعلم
أننا اليوم ونحن نبني بلدنا على أساس جديد
من العدالة الاجتماعية ، نواجه عداوة ضارية
من الاستعمار ، وأعوان الاستعمار، ومن الرجعية
العربية في جميع أنحاء العالم العربى ، لأنهم
يعلمون أن هذا هو الطريق الطبيعى . لأنهم
يعلمون أن هذا هو الطريق الذى يجتذب
الشعوب ، الشعوب التي تكافح أيضا من أجل
حقها في الحياة الحرة السليمة ، من أجل حقها
في الحياة الحرة الكريمة ، من أجل حقها في
العدالة الاجتماعية والقضاء على الظلم الاجتماعى
ولهذا فاننا نواجه حملة ضارية من الاستعمار
والرجعية ، ولكن أناؤمن أن هذا الشعب الذى
استطاع أن يتغلب على ثقافة الاستعمار ، وعلى
مؤثرات الاستعمار ، وكان في بلادنا ٨٠ ألف
جندي انجليزى ، وكان في بلادنا ملك
تعاون مع الاستعمار ، يستطيع أن يقضى على
كل محاولات الرجعية وعلى كل محاولات
الاستعمار .

وأنا أشعر في قرارة نفسى أن هذه المحاولات
التي تحاولها الرجعية من حولنا أو الرجعية
العربية ، ليست إلا حلاوة الروح ، لأنها تعلم
مصيرها ، ولأنها تعلم أن التطور الطبيعى
للتاريخ والسير الطبيعى للزمن . . أن لابد
للسعوب أن تنتصر .

اننا نحمد الله الذى نصرنا في ٢٣ يوليو
سنة ١٩٥٢ حتى نضع هذه الآمال موضع
التنفيذ . نحمد الله الذى نصرنا بعد ذلك في
كل معركة من معاركنا . نحمد الله ، ونعاهد
الله أننا سنسير في طريقنا لبنى بين ربوع
أمتنا المجتمع الحر السليم ، المجتمع المتحرر من
من كل أنواع الاستغلال ، الاستغلال السياسى،
المتحرر من الاستغلال الاقتصادى، المتحرر من
الاستغلال الاجتماعى ، المتحرر من استغلال
الانسان للانسان .

والله يوفقكم والسلام عليكم «

خطاب من القاهرة



السيد حسين الشافعي
نائب رئيس الجمهورية
وزير الشؤون الاجتماعية والأوقاف

مؤتمر البراعة

اما الاجتماع الأول ، فكان محاولة نتبين بها مكاننا ومن نحن ؟ وما هو الطريق ؟ وما هو الهدف ؟ وبهذا يمكن ان نتعرف كيف نبدا دعوتنا ، وباسم من نتكلم ، ولبن نعمل ؟ ثم جئنا في الاجتماع الثاني ، وتكلمنا عن المسؤولية ، كيف بدأت وكيف نشأت ؟ وقلنا : ان واجبنا كدعاة هو ان نعمل في حدود هذه المسؤولية ، مؤمنين بالهدف ، واثقين بانفسنا ، عارفين انه بقدر ما نعمل ، وبقدر ما نحقق سيكون لنا الفوز ، وستكون لنا الغلبة ، ولا يمكن ان يكون لنا الفوز ، ولا يمكن ان تكون لنا الغلبة الا بقدر اخلاصنا ، فان احسن ما يرتفع من الارض الى السماء هو الاخلاص ، وخير ما يهبط من السماء الى الارض هو التوفيق ، ((وما كان لله دأما واتصل ، وما كان لغير الله انقطع وانفصل)) . في هذا اليوم المبارك . . ذكرى الاسراء والمعراج ، نجتمع اليوم لنكمل اجتماعنا السابق

كلمة السيد حسين الشافعي
نائب رئيس الجمهورية ووزير
الأوقاف في المؤتمر الثالث للوعاظ
والأئمة المنعقد بقاعة المحاضرات بالأزهر
في ٢٦ من رجب سنة ١٣٨١
الموافق ٣ من يناير سنة ١٩٦٢

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب
العالمين ، والصلاة والسلام على سيد
المرسلين .

أيها الاخوة :

اجتماعنا اليوم هو الاجتماع الثالث ،
ويطيب لي قبل ان نبدا حديث اليوم ان
نستعيد ما قيل في اجتماعنا الأول ، واجتماعنا
الثاني .

الذى تكلمنا فيه عن حدود المسؤولية .

هذه المسؤولية التى بدأت من حيث انتهى رسول الله - عليه الصلاة والسلام - بعد أن نزلت الآية : « اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الاسلام ديناً » .

وحيثما نرى هذه المسؤولية ونعرف حدودها، نجد لها مسؤولية كبيرة، وكل مسئول يجب أن يتعرف حدود مسؤوليته ، ويجب أن يفعل بهذه المسؤولية ، وأن يخلص فى تحملها . تلك المسؤولية التى بدأ ضبطها فى الاسلام بأسلوب تدريجى سهل بسيط ، يمكن أن يستمر على مرور الزمن بلا رقابة الا رقابة الضمير .

ولقد حاولت فى محاضرتى السابقة أن أصور - بقدر مفهومي - وسائل التدريب ، التى أراد الله - سبحانه وتعالى - أن يجعل منها أساسا لاستمرار الرحمة ، حين قلت فى الاجتماع السابق : أن هدف الاسلام هو الرحمة ، « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » وحين قلت أيضا : أن الله - سبحانه وتعالى - الذى يتصف بالرحمة ، والذى هو الرحمن الرحيم ، اختار هذا الاسم من بين أسمائه ليدل على هدف هذه الرسالة ، وحتى نتذكر دائما أن هدف هذه الرسالة فى كل عمل من أعمالها وفى كل خطوة من خطواتها ، إنما يستهدف الرحمة، وأن العمل الذى لا يحقق الرحمة للفرد وللمجتمع وللشعر ، ليس من الاسلام فى شيء . وانا اذا كنا نقسو - أحيانا - فأنما نقسو رحمة بالمجتمع ، أو رحمة بالفرد ، أو رحمة بالبشرية .

ولذلك كانت كلمة الرحمة كلمة كبيرة ، فإذا قضينا أياما فى الكلام عنها فلنكنى نستبين الطريق ، ونستبين الهدف ، لأن ذلك كله من شأنه أن يحدد الطريق ، ويزيده وضوحا فى نظرنا ، حتى يمكننا أن نجد وسيلة الى الغاية الكبيرة فى تحقيق الهدف .

قلنا فى الاجتماع السابق : أن الصلاة هى الصلة بين العبد وربّه . وأن الصلة لا يمكن أن تكون الا بقدر ما ينتج بها الى الله ، اتجاهها حقيقيا ، فتكون الصلة وتتكون المحبة . المحبة التى تقتضينا فى صورتها البدائية الا نخطئ فى حق من نتصل به ، وأن نعمل

على ارضائه ، وعن هذا الطريق يتكون المواطن الصالح ، فكأن الصلاة هى وسيلة التدريب السهلة البسيطة المستمرة ، التى هى فى مقدور كل فرد ، والتى يمكن عن طريق صلة الفرد بربه فيها ، أن يتكون تكويننا صحيحا كفرد ناجح فى المجتمع ، وقلنا بعد ذلك : أن هذا الفرد مهما كان مستواه الخلقى فى تصرفه ، فليس له قيمة الا بقدر انفعاله وتفاعله مع المجتمع ، وبقدر المنفعة التى يقدمها هذا الفرد للمجتمع .

وتكلمنا بعد ذلك عن الصوم وكيف كان الصوم وسيلة سلبية لإبراز مدى امكانياتنا كأفراد نلتزم بشيء مما نريد ، كوسيلة سلبية ، ومدخل للزكاة . .

والزكاة هى الدعامة الثانية لتدعيم المجتمع ، اذا راعينا بها حقوق المجتمع .

وتكلمنا بعد ذلك عن الحج وقلنا ان الحج هو المؤتمر لهذه المجتمعات المدربة الواعية العاملة فى هذا العالم ، فاذا ما اجتمع الناس فى هذه المعركة الكبرى التى صورتها كتدريب مشترك كبير ، تجتمع فيها المجتمعات الاسلامية على اختلافها ، فانما يعبر ذلك عن التفاعل الحقيقى لاكتساب سياسة روحية جديدة ، تدفعهم الى المزيد من العمل ، والمزيد من الاجتهاد .

وهذا الاجتماع الذى تصوره على أنه مبيت فى العراء ، وتحرك فى الليل والنهار ، هو أشبه ما يكون بالمعركة الكبرى ، يجتمع فيها الجنود - جنود الرحمن - من كل مكان ، ليعملوا كلمة الله .

هذا الاجتماع ، اجتماع الجنود واجتماع القادة ، إنما يعبر عن السبيل والوسيلة الحقيقية لاعلاء كلمة الله ، والبحث فى شؤونهم جميعا .

ونحن نرنو الى هذا اليوم الذى يكون فيه هذا الاجتماع الكبير ، مجالا حقيقيا لاعلاء كلمة الله ، والتضامن والتعاون والترابط بين الأمم الاسلامية ، لكى تعمل على نهضتها مرة أخرى ، ويزيد الاسلام عزة وقوة ، ويكون مقياسا حقيقيا لمدى التقدم البشرى ، الذى يعمل على اقامة الرحمة الحقيقية بهذا الأسلوب شعارا للحرية الحقيقية التى يعلنها الفرد ،

فيعلن بها أنه حر ، أبى ، كريم ، أنه لا سيد له الا الله ، ولا يرتبط بأى شيء الا بعقيدته ولا يتجه في أمره الا الى الله .

وهذا هو الأسلوب الذى ارتضاه لنا الله عز وجل ، حين يكون الفرد في مجال الحرية - عن طريق الصلاة - متصلا بربه ، فيعرف أن الحق حق فيتبعه ، وأن الباطل باطل فيجتنبه .

هذا هو الأسلوب الحقيقي في التدريب .
وانى حين أكرر ماقلته بالأمس فلكنى نستخلص من هذا التكرار ، صورة حقيقية لما ينبغى أن يكون عليه فهمنا لهذه المبادئ البسيطة ، ولهذه الأركان الحقيقية .

لقد استمعت لأحد الخطباء .. وانفعلت بما قال ، لقد كان يشرح الحديث المشهور في تبين حقيقة الدين .

قال : كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - جالسا مع أصحابه وجاء أعرابى ، شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، وما من شك في أن هذا الوصف كان وسيلة لاثارة الانتباه بهذا الذى يأتى ، ثم يجلس في مواجهة الرسول ، ويجلس وركبته الى ركبتيه ثم يخاطب الرسول ، فيقول : يا محمد ما الاسلام ؟

فيقول - صلى الله عليه وسلم - :

الاسلام : أن تشهد أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وأن تقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا .

فيقول : صدقت .. فيعود فيسأل ما الايمان ؟

فيقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - : أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسوله واليوم الآخر ، وأن تؤمن بالقدر خيره وشره .. فيقول : صدقت .. فيعود فيسأل : وما الاحسان ؟ فيقول :

الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

وما من شك في أن هذه الصورة البسيطة يجب علينا أن نستعيد لها في مجال معرفتنا الطريق ، وأول البدء ، وطريقة العمل .

ولقد حاولت أن أسأل نفسى يوما ، ماذا يحدث ، وماذا يعمل الرسول لو قدر له أن يبعث اليوم ؟

ماذا يعمل ؟ لأن هذا هو أسلوب التفكير في الاصلاح .

الذى يريد أن يصلح يجب أن يترجم هذا الاصلاح الى صورة مبسطة من هذا النوع .

تصورت هل سيعقد مؤتمرا يتكلم فيه ؟ هل سيقوم برحلة تفتيش كبرى الى البلاد الاسلامية ليتبين ما هو قائم فيها ؟ .. تصورات !!!

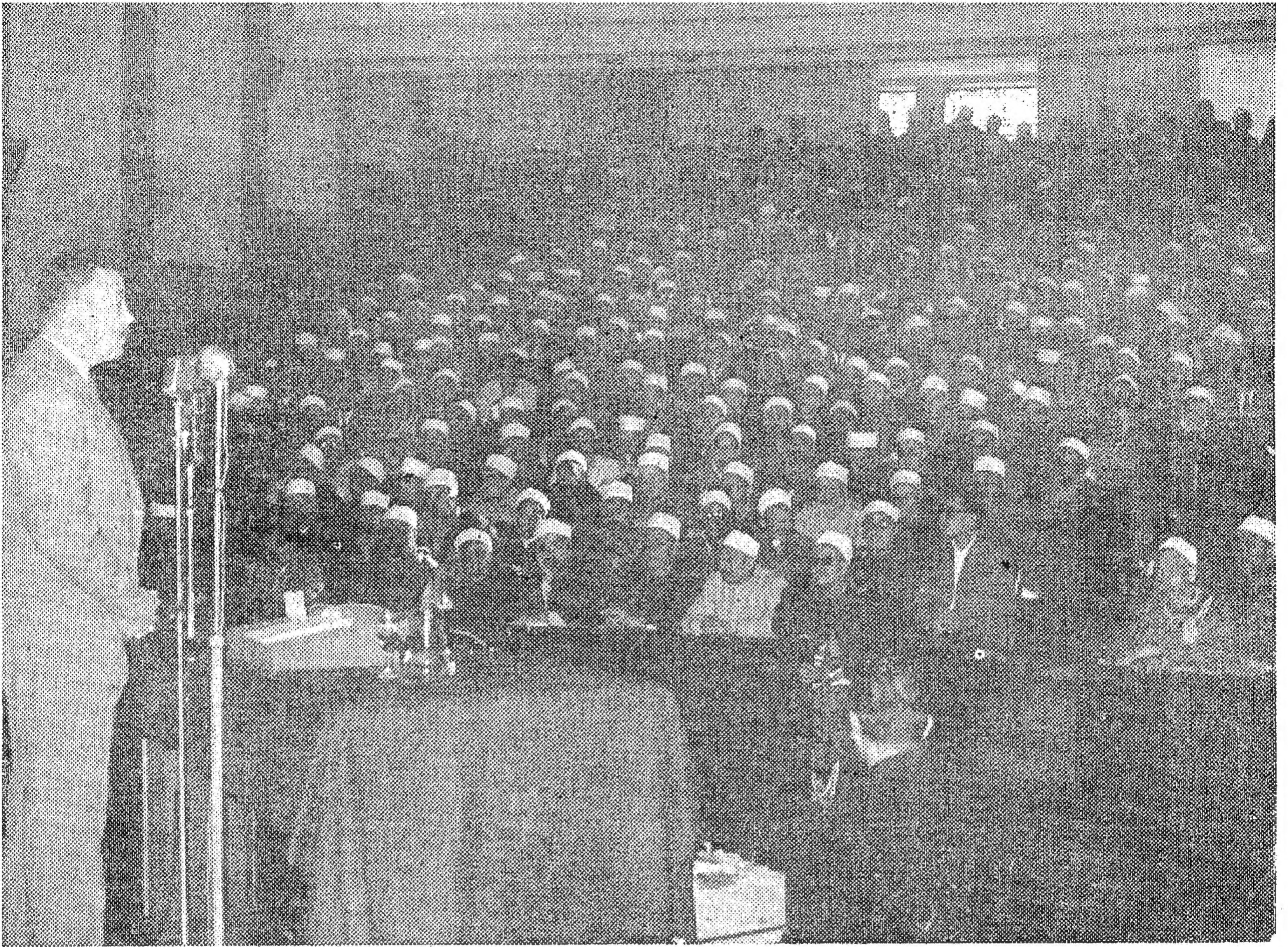
ولكنى أقول : انه لن يعمل شيئا من هذا على الاطلاق ، انه سيبدأ كما بدأ أول مرة يبحث عن الذين يصدقونه العمل ، والنية ، سيبحث عن هذا الصديق الذى يقف بجانبه في وقت الشدة ، ووقت المحنة ، ويكون عوننا له في كل عمل من الأعمال ، وفي كل أمر من الأمور .

سيندفع اليه الشباب بقوة وإيمانه ، فيكون مدفعا ليزود عن حمى الاسلام ، ويعمل جاهدا في الدعوة وسيضم اليه من له مال فيكون له عوننا .

هذه هي الصورة التى بدأ بها الاسلام ، واننا اذا أردنا مرة أخرى أن نعيد للاسلام ما بدأ به فيجب أن نتجرد من كل شيء ، ونفكر هذا التفكير البسيط ، وأن يعمل كل منا في مجاله كخلية حية نابضة بالحياة ، تعمل كأنها تتوهم هذه الخطى جميعا ، وتعمل في مجالها كأنها قبس من هذا النبع الكريم ، قبس الرسول - صلى الله عليه وسلم - .

واننى حينما أتذكر هذا الحديث الذى يقول فيه الرسول « رحم الله امرءا عرف قدر نفسه » أدرك أن من المعرفة بقدر النفس ، هو أن نعرف أننا أصحاب رسالة .

ان معرفة قدر النفس ليس بالتواضع ، وليس بالانكماش ، وليس بالرضاء بالدون من العيش ، ولكن معرفة قدر النفس أن نعرف أننا سلالة محمد ، وأنها خلفاء الله في الأرض ، وأنها سلالة آدم الذى سجدت له الملائكة لأنه كان أمينا على الرسالة التى أئتمنه الله عليها .



السيد حسين الشافعي نائب رئيس الجمهورية ووزير الأوقاف والأزهر
والشئون الاجتماعية ، يخطب الحاضرين في مؤتمر الأئمة والوعاظ والمفتشين

الأسباب الحقيقية هي الظلم الذي كان قائما في المجتمعات الرأسمالية .

حينما دعا داعى الشيوعية في هذا الوقت ، وجد الناس في هذا السبيل خروجاً من هذا التسلط والتحكم - تسلط رأس المال والتحكم القاسى - مما دفعهم الى أن يتجهوا في أقصى الاتجاه لأن الفعل في سيطرة رأس المال والتحكم أدى الى رد فعل معاكس ، مساو له في القوة ، ومضاد له في الاتجاه .

ثم ابتعدوا عن الدين ، فلماذا ابتعدوا عن الدين ؟ لأن رجال الدين عندهم كانوا متآمرين مع القياصرة ، شركاء في هذه الجريمة التي اغتبنوا فيها الشعب كله .

لقد ذهبت في سنة ١٩٥٨ في زيارة لهذه البلاد ، وقد ذهبت لأحد المتاحف وكان يحتوى على الملابس التي كان يلبسها القسيسون والبطارقة المتولون أمر الدين في هذه البلاد .

... هذه هي معرفة قدر النفس ، ولا يمكن أن تكون معرفة قدر النفس أن نرضى بالدون من العيش أبداً .

ان معرفة قدر النفس ، أن نعرف أننا خلفاء الله في الأرض ، ومن واجبنا جميعاً - نحن الوعاظ والأئمة - أن نعرف أننا حملة الرسالة وحملة الأمانة التي حملها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في يوم من الأيام لينقل الناس من الظلام الى النور ، وقد جاءكم الفرصة اليوم .

اننا نرى في الشرق انحرافاً الى أقصى اليسار ، ونرى في الغرب انحرافاً الى أقصى اليمين .

ان واجبنا اليوم ان نقول ان لكل فعل رد فعل .

هل تعرفون الأسباب الحقيقية التي قامت من أجلها الشيوعية ؟

تصوروا أن رداء القسيس كان موشى
باللؤلؤ .. !!

أقول هذا الكلام لابين سبب الانحراف ،
فالأسباب التي أدت لهذا: هي أنهم شاركوا في
الاستغلال وتواطؤوا مع الحكام الموحودين ،
فكان الدين وسيلة لهذا الاستغلال .

وهذا يصور بما لا يدع مجالا للشك أن
الظروف هي التي تحكم على التطورات .

وإذا كنا نريد أن نأخذ مجالنا كدعاة ووعاظ
فلا بد أن نعرف طبيعة ديننا وما يبعد الناس
اجمالا عن الدين ، فقد تحدثت معهم عن الدين
كعنصر قوة ، بينما كانوا يرونه في بلادهم
عنصر ضعف .

وفي مجال الأخذ والرد أخذت أنا أتكلم لأن
كل واحد من المسلمين يعتبر داعية لدينه في أى
مكان ، حاولوا أن يقنعوني بالشيوعية ،
وحاولت اقناعهم بالاسلام ، ولم يكن الأمر
سهلا .

كانوا يمتنعون عن مناقشة الدين بينما لم
يكن عندي مانع من مناقشة الشيوعية ، لأن
الدين عندنا ليس عقيدة تعصبية ، إنما هو منطق
مبين ، أو فلسفة تؤدي إلى الاستقرار ، ولن
نناقشها على أن الدين تعصبى ، يأخذ فكرته
دون أى تفصيل فيها ، فالحجة تقابل الحجة
والكلمة تقابل الكلمة .

ولكى نبدأ المناقشة قلت لهم : أنا لن أقدر
على اقناعكم بوجود الله ، وأنتم كذلك لن
تقنعوني بعدم وجود الله ، فتعالوا نحسبها
بحساب المكسب والخسارة ، أيهما أكثر نفعا
لو مشينا باتجاه فكركم أو باتجاه فكرنا ؟

إذا كان هناك احساس بوجود الله كقوة
تراقب في التصرف ، وفي كل ما يعمل ، فبالله
عليكم لمصلحة من التخلي عن هذه القوة ؟
أهذا منطق ؟

إنها تساعد في رقابة الناس على تصرفاتها
أنه ما من شك في أنها خسارة كبيرة جدا ،
ألا يؤمن الناس بالله ، فلا يكون هناك اعتبار
للصلة والضمير الذى يحاسب الناس على
تصرفاتهم ، وبخاصة أن هناك كثيرا من
التصرفات ، لا يمكن مراقبتها إلا بالله
والضمير .

أنا أقول هذا الكلام لابين إلى أى حد ، مدى
المسؤولية الكبيرة الموجودة في رقابتنا .

والاقناع الناجح يقوم على أساس من العمل
لا القول .

وفي هذا المجال قصة تبين شيئا من المعنى
الذى أقصده :

يقولون : إن الشيخ جمال الدين الأفغانى
ذهب إلى السلطان عبد الحميد ، فقال له
السلطان : هناك في اليابان يبحثون عن دين
جديد ، فأذهب للتبشير بالدين الاسلامى ، فرد
عليه ببساطة وقال له :

أيهما أبشر به ؟ الدين الاسلامى المطبق هنا
أم الدين الاسلامى كما ينبغي أن يكون ؟

فقال له : ما الفرق ؟ فقال : والله لو بشرت
بالدين الاسلامى المطبق عندهم ، لقالوا لى نحن
لا نريد تخريبا لبلدنا .

أما إذا بشرت بالدين الاسلامى الذى يجب
أن يكون ، فسيقولون لى ليست بلدكم أولى ؟

فإذا أردنا أن يكون لنا دور صحيح ، ودور
فعال في العالم الاسلامى - على اتساع رقعته
- فإن علينا أن نعرف أنها مسؤولية كبرى
والذى يتحملها يجب أن يعرف أنه لا يوجد
غير المثل الصالح ، والقُدوة الصالحة ، فهي
الطريقة الوحيدة التى تقنع بها بلادا أخرى ،
لكى تتبع خطواتك ، وتعتنق المنهج الذى تعيش
به .

نحن نعيش اليوم في تجربة اشتراكية
كبرى ، هذه التجربة ، هي التى تحدد إذا كنا
فعلا مركز اشعاع حقيقى ، ومركزا تنجذب
إليه بقاع العالم العربى ، والعالم الاسلامى
أم لا ؟

بتصرفنا .. وبمدى العدالة التى نحققها
تنجح دعوتنا ..

المثل الصالح والقُدوة الصالحة في الأفراد
وفي الأمم سواء .

الاسلام لم ينتشر بحد السيف ، إنما
انتشر بالعدالة ، وبالرحمة ، وبالمثل الحى ،
وبالقُدوة الصالحة في كل تصرف .

لا بد أن نعرف الظروف التى مرت بنا في
ظل الاستعمار ، وما هي مخططات الاستعمار ؟
حتى نقابل ما حدث ونصححه .

ان الاستعمار يعلم أن العقيدة هي أهم العناصر الأساسية التي حفظت على هذا الشعب وجوده ، وكيانه وقوته ، وكان يعلم دور مصر في معركة الاسلام ، وأنها هي التي احتفظت بالعلم ، احتفظت بكل مقومات حقيقية لهذه الرسالة ، فشعبها الطيب يتخذ الايمان أساسا عميقا لبناء مجتمعه .

قمصر حتى في عهد الفراعنة ، كان الايمان هو المحرك لها ، فلما جاءت المسيحية كانت هي التي أعلت منارة الدين ، ثم لما جاء الاسلام كانت مصر هي الأمانة على هذه الرسالة ، حيث اختصها الله - سبحانه وتعالى - بقيام الأزهر ، الذي كان وسيظل باذن الله منارة عالية ، يتجه اليها كل من يريد العلم وكل من يريد أن يعرف الاسلام ، وكل من يريد أن يعرف العقيدة .

هذه مكانة الأزهر ، وتطوير الأزهر سبيل للعودة به الى ما يجب أن يكون عليه .

لقد كان الأزهر من نقط الارتكاز التي أراد الاستعمار أن يقضى عليها بكل وسيلة ، واننا لا نزال نذكر حينما دخل الفرنسيون مصر ، واتخذوا الأزهر الشريف موطنًا لخيولهم ، كانوا يريدون بهذا أن يحطوا من كرامة الأزهر ولكنهم عرفوا بعد ذلك ، أن هذه الاثارة كانت السبب الذي قضى على الحملة الفرنسية قضاء مبرما ، بعدما قام الشعب المصرى كله في وجههم .

ثم جاء الانجليز من بعد ذلك ، وأخذوا من هذا درسا ، وأرادوا أن يعملوا بأسلوب آخر ، فلا يقابلوا عدوهم وجها لوجه ، فاكثفوا بأن يعزلوه عن المجال الحيوى الطبيعى للعمل المستمر ، فكان أن عزل في عصر الاستعمار الانجليزى .

واليوم نجىء لنصلح ما أفسده الاستعمار في الأزهر ، فقد افتتحنا أمس مؤتمر ابن خلدون ، وابن خلدون كان شيخا من علماء الأزهر ، قضى فيه أربعة وعشرين عاما . . هذا العالم الجليل ، أدى للاسلام في مختلف ميادين الفن والعلم أعمالا ما زالت تورا تهتدى بها البشرية المتقدمة في جميع مجالات العمران .

وهكذا يجب أن يكون الأزهر صورة حية تتصل بأمجاده في الماضي ، ليزيد هذه الأمجاد أمجادا جديدة في هذا العصر .

ان الاستعمار أول مداخل ، أراد أن يحطم ثلاثة أمور :

الأمر الأول : هو العقيدة . والأمر الثانى : هو الجيش . والأمر الثالث : هو العمل .

وكان تركيزه بالنسبة للجيش ، أنه أغلق المدارس والمصانع ، وأقام الحملات على السودان لكى يتخلص من العناصر الحرة التي كانت تجاهد وتحارب فيه .

وكانت هذه وسيلة يكسب بها مكسبين . الأول : ايجاد ثار مشترك بين المصريين واخوانهم السودانيين ، وبهذا يتمكن من أن يقيم الفرقة بين الاخوة .

وفى نفس الوقت يتخلص من العناصر المتحررة التي قامت تساند عرابى في ثورته . وبهذا قضى على الروح الثورية التي كانت موجودة .

وبدأ يحط من مستوى التعليم في الجيش فأصبح الجمهور ينظر اليه نظرة تافهة لأن الذى يدخل الجيش هم غير القادرين على دفع البذل العسكرى ، هذا الأسلوب أضاف اليه أن جعل من القادة غير متعلمين ، وأصبح الجيش لا يقوى على الرسالة الضخمة التي كانت مفروضة عليه .

ولذلك كان أول واجب من واجبات الثورة حينما قامت أن أعادت الى الجيش كرامته ، وأعادت الى الجيش اعتباره ، فاستعاد الجيش من الناحية المعنوية والناحية النفسية كل مقومات القوة ، فتخلص من عوامل الضعف التي فرضها عليه الاستعمار في وقت من الأوقات .

وكذلك كان تركيز الاستعمار على العمل ، فقلل من قيمة العمل ، والمشتغلين بالأعمال اليدوية ، ونشأت تبعا لذلك، النزعة المدمرة بين أفراد الشعب ، بالنسبة لمجالات التعليم المختلفة ، وكانت النتيجة أن ضعفت الصناعة ، وكانت هذه وسيلة لتغزو صناعته بلادنا . وفى الوقت الذى كان يتحفز فيه للعمل اليدوى وينتجه بوفرة ، كان يثير هذه

الفلسفة ، وهذه النزعة بين الأفراد ، والبلاد التى يستعمرها .

واليوم تعمل الثورة على احترام العمل احتراماً كبيراً ، لأن العمل هو القيمة الحقيقية لكل الأمم .

ان البلد الذى لا ترتفع فيه القوة العاملة لا تنهض به صناعة ، واذا لم تنهض الصناعة فى بلد فلا يمكن أن يكون لها وزن فى المجال الدولى .

الأمر الثالث: الذى ركز عليه الاستعمار هو العقيدة ، ولم يستطع أن يحاربها وجهاً لوجه ، فنحاهما وأبعدها عن المجالات الحيوية للعمل ، وأبعدها عن المجالات الحيوية للظهور ، وتدخل فى أساليب التعليم . وتدخل فى أساليب الدخول للأزهر ، وأغلق المنافذ بالنسبة للمستقبل ، وبالتالي ، ابتداءً الأزهر ينعزل عن المجتمع .

واليوم فى هذه المحاولة لتطوير الأزهر انما نترجم عن ارادة للاصلاح ، واعادة أمجاد الأزهر الى ما كانت عليه ، لوصل الماضى بالحاضر .

وهى تهيئة لمستقبل زاهر ، يقوم فيه الأزهر مرة أخرى بالدعوة الإسلامية .

كان يمكن فى هذه الاجتماعات أن نتكلم فقط عن المعانى غير الملموسة ولكنى فضلت أن يكون اجتماعاً شاملاً للمعانى غير الملموسة والملموسة لأننا لا نقدر أن نعيش فى فراغ .

وكثيراً ما نستمتع الى من يتكلم ، ويحسن الحديث فى كلمات تريح النفس ، ولكننا اليوم نريد أن نقرن كلامنا بالحقائق ، والأعمال التى يمكن أن تعمل ، ودائماً نفكر ونتأمل فى أسباب الضعف التى فرضت علينا ، ومن فرض هذا الضعف ؟ لننتحرر من كل ألوان الضعف الذى فرض علينا فى وقت من الأوقات .

وأحب أن أقول لكم : اننا فى هذه المرحلة من تاريخنا ، التى قدر لنا فيها أن تكون بلادنا فى أيدينا ، متحررة من كل قيد ، تحكمها الثورة الوطنية ، يجب أن نشعر باحساس عميق ، بأن الوقت لا بد أن يستغل وأن تنتهز هذه الفرصة لنعمل بكل طاقتنا ، حتى يمكن أن نعوض ما فاتنا ، فقد أعطانا الله ، ومن علينا بهذا

القائد جمال عبد الناصر ، هذا القائد العظيم المنتصر ، هذا القائد الذى لم يفكر يوماً من الأيام أن يختار لنفسه ، ولا لشعبه الطريق اللين السهل الهين ، ولكنه دائماً كان جديراً بالأحداث ، وكان جديراً بالرسالة التى يكافح من أجلها ، وكان جديراً بأن يقود المعركة تلو المعركة ، وأنه حينما يقود اليوم أكبر معاركه - معركة اشتراكية - يؤمن كل الايمان بأنه ما جاء أبداً ليكون نصيراً لفئة قليلة ، ولكنه جاء يدعو للحق ، من أجل الملايين الكادحة ، ومن أجل الذين يتطلعون الى من ينير لهم السبيل ، ويحقق الأمل .

هذه هى رسالة الذين يريدون أن يخوضوا المعارك الحقيقية ، ولا يرضون بالمعارك الجانبية ، أو المعارك الصغيرة ، ولكنهم يشعرون أنهم أوتوا فرصة من الله - عز وجل - كى يقوموا مرة أخرى ليحرروا الناس من ذل الفاقة والعبودية بقوة وعزم واصرار .

هذه هى الصورة التى يجب أن نحس بها جميعاً ، حتى نعرف أن هذا الوقت الذى نعيشه ، وقت ثمين ، يجب علينا أن نستغل كل دقيقة فيه .

ونحن متمتعون بالحرية الحقيقية ، بقيادة ملهمة منتصرة .

والآن . . ونحن فى مجال ثورة اشتراكية ، يطيب لى أن أعلن من فوق منبر الأزهر الشريف ، أنه لو وضعت الشمس فى يميننا ، والقمر فى يسارنا على أن نترك هذا الأمر أو نهلك دونه ، ما تركناه حتى نعلم الاشتراكية ، ويعم نور الاسلام .

والله نسأل أن يكأ رئيسنا بعين رعايته ، وفيض من عونه وبركته ، فى هذه الأيام المباركة ، لى ينهض بأمته نهوضاً يعيد للاسلام عزته ، وللعروبة كرامتها ، حتى يشعر كل مواطن عربى ، وكل مواطن فى بلاد الاسلام ، أن له فى سيادة الرئيس قدوة ، ونبراساً ، ومثلاً أعلى ، فى كل تصرف من تصرفاته ، وتكون مصر مرة أخرى هادية للبشرية ، منبعاً للحرية ، منبعاً للكرامة .

والله سميع مجيب الدعوات .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

زعماء العالم الاسلامي .. في القاهرة

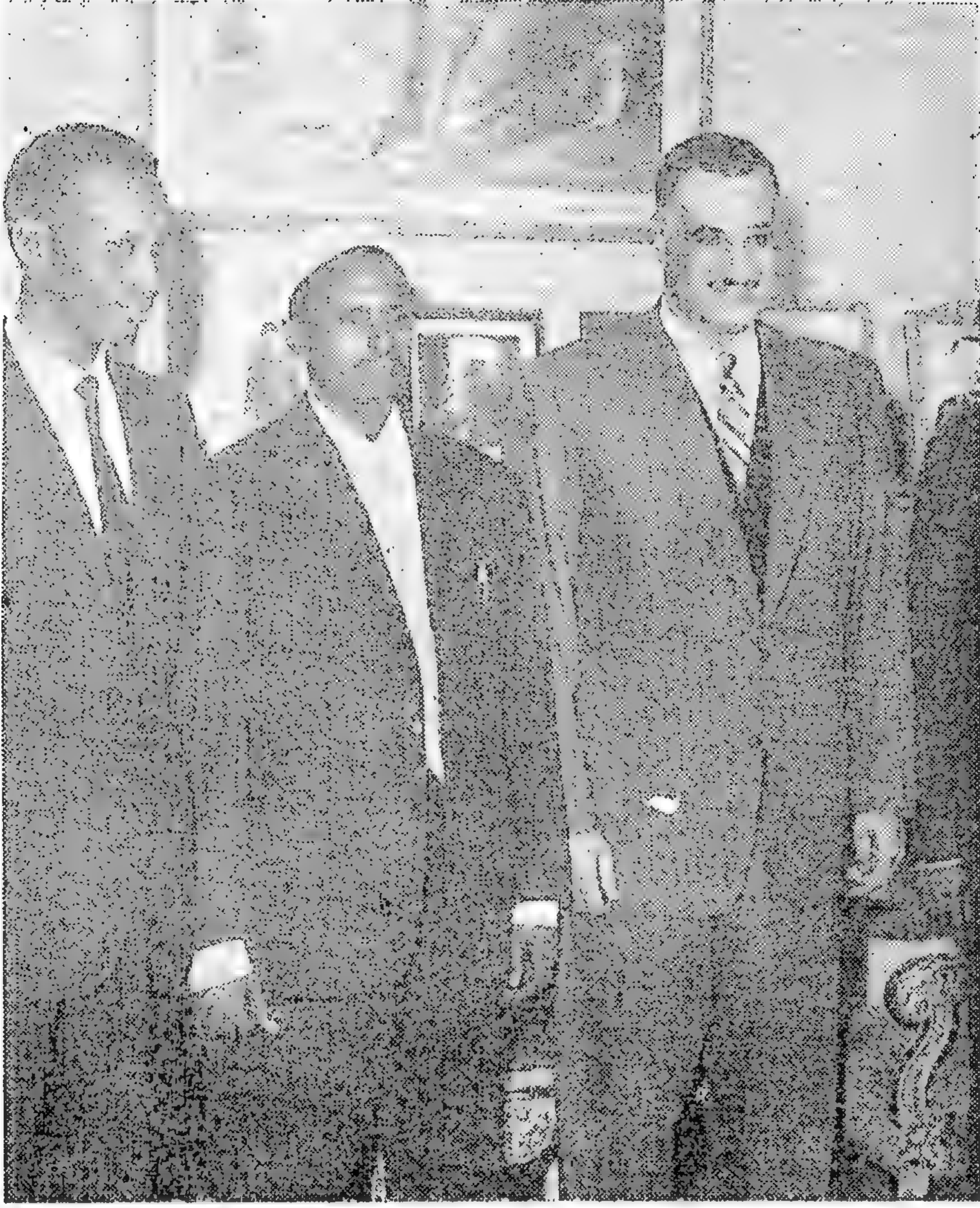
منذ فجر الاسلام تحملنا امانة الدعوة الاسلامية ، والعمل الجاد
المخلص في سبيلها ، وكلما تعاقبت الايام زادتنا تقديرا لدورنا ، واحساسا
بعظم التبعة ، وضخامة العبء .

ظلت القاهرة مع كل مامر بها - في مختلف العصور - من مخن واحداث،
راعية لدينها ، حريصة على اقامته ، وعلى عون اتباعه في مشارق الارض
ومغربها .

والقاهرة اليوم وفي عصر الثورة المباركة وتحت قيادة البطل المؤمن
جمال عبد الناصر ، تعيش للاسلام بكل كيانها وبكل مقدراتها ، لاتدخر في
سبيل اعلاء كلمة الله في كل البلاد الاسلامية وسعا ، ولا تدخر طاقة في
سبيل تحرير المسلمين في كل بلاد الارض .

ولا تقف رسالتها عند هذا الحد ، وانما هي تجعل من دينها الذي يدعو
الى السلام والى الرحمة والى المحبة والى العدالة رائدها في المجال الدولي من
اجل عالم ترفرف عليه اعلام الحرية والسلام والمحبة

ولا يمر يوم على القاهرة الا وتستقبل فيه زعيما اسلاميا يلتقى بزعيمها
المسلم ليؤكد معا وقوفهما مع الحق والخير والتعاون في سبيل اقامة
العدالة بين البشر .



السيد الرئيس جمال
عبد الناصر ومعه ضيف
الجمهورية العربية
المتحدة الشيخ على
اسماعيل وزير الدفاع
الصومالي

الشيخ على اسماعيل وزير دفاع الصومال

.. كان موضوع المباحثات التي دارت بين
الرئيس جمال عبد الناصر والشيخ على
اسماعيل وزير دفاع الصومال .

* وزير دفاع الصومال يقول ان الجمهورية
العربية المتحدة لها اليد الطولى في تحرير
الصومال ودفع الحركة الوطنية فيها ..

* الرئيس جمال عبد الناصر يشرح للشيخ
على اسماعيل السياسة الانشائية في الجمهورية
العربية المتحدة .

* التعاون المثمر بين الجمهورية العربية
المتحدة وجمهورية الصومال في كافة الميادين

وصل الى القاهرة يوم ١١-١١-١٩٦١ وزير
دفاع الصومال الشيخ على اسماعيل على رأس
بعثة عسكرية من كبار ضباط الجيش الصومالى
فى زيارة رسمية للجمهورية العربية المتحدة
بدعوة من المشير عبد الحكيم عامر نائب
رئيس الجمهورية والقائد العام للقوات
المسلحة *

وقد استقبل الرئيس جمال عبد الناصر
الشيخ على اسماعيل وأعضاء الوفد العسكرى
الصومالى .. وقدم الوزير الصومالى الى
الرئيس جمال عبد الناصر رسالة مكتوبة من
السيد عبد الله عثمان رئيس جبهة
الصومال ..

وشرح الشيخ على اسماعيل عقب انتهاء
المقابلة بأن الرئيس عبد الناصر شرح لهم
السياسة الانشائية فى الجمهورية العربية
المتحدة ، كما دار الحديث حول التعاون المثمر
بين البلدين فى كافة الميادين ..

وقال ان الجيش الصومالى استطاع الوصول
الى المستوى المطلوب لحماية استقلال الصومال
بالرغم من العراقيل الكثيرة التى وضعها
الاستعماريون فى سبيل انشاء جيش وطنى
قوى ..

وأضاف الوزير ، ان الجمهورية العربية
المتحدة لها اليد الطولى فى تحرير الصومال
ودفع الحركة الوطنية فيها .. فان التعاون
بين البلدين فى النواحي العسكرية مثمر
للغاية ..

وتحدث الوزير عن مشكلة الحدود مع
اثيوبيا فقال: ان الصومال حكومة وشعبا ترغب
فى حل هذه المشكلة بالطرق السلمية .. ولن
تلجأ الصومال الى الكفاح المسلح الا بعد
استنفاد جميع الوسائل السلمية .. فالصومال
ترى أن لا يراق دم افريقيين بيد
الافريقيين *

وقد استقبل السيد حسين الشافعى نائب
رئيس الجمهورية ووزير الأوقاف والشئون
الاجتماعية ، السيد على اسماعيل .. وقرر
مساهمة وزارة الأوقاف بألف جنيه فى بناء
مسجد (هرجيا) بالصومال .. ومبلغ ألف
جنيه لاتمام المعهد الدينى (برعو) .. كما
قرر وزير الأوقاف ارسال جميع الكتب
والمجلات الثقافية الاسلامية التى تصدرها
الوزارة الى الصومال .. وأجزاء القرآن الكريم
والكتب الدينية المختلفة التى تدرس بالأزهر
الشرىف ..

كما بحث مع الشيخ على اسماعيل قوانين
الأحوال الشخصية ..

وزير دفاع الصومال متخرج من كلية أصول الدين

الشيخ على اسماعيل وزير الدفاع الصومالى
متخرج من كلية أصول الدين عام ١٩٥٨ ،
وكان الى جانب دراسته الدينية من
أوائل الكلية فضلا عن أنه يقوم منذ عودته
الى الصومال بتدريس أصول الدين لتلامذته
ومريديه كل يوم بعد صلاة الفجر .. والوزير
يتمتع بشعبية كبيرة فى بلاده لقدرته النادرة
على العمل دون انقطاع *



الشافعي

يفتح

الموسم الثقافي

لوزارة الأوقاف

- ♦ الرحمة رسالة السـماء وهدف الثورة الاشتراكية
- ♦ اليهود غزوا العالم بالكهنوت الاقتصادي والانحلال الخلقي
- ♦ القرآن الكريم جاء بمذهب العدل الاقتصادي في الاسلام

كلمة السيد حسين الشافعي

وقد ألقى نائب الرئيس كلمة عن الاشتراكية وأهدافها ، والرحمة وعناصرها ، وهاجم المستغلين والذين يكتزون أموالهم ويرتكبون جريمة حبس المال عن الشعب . كما هاجم (الكهنوت الاقتصادي) كما صورته اليهود للعالم ، واتخذوا من أنفسهم أحراراً وخبراء لهذا الكهنوت الاقتصادي الذي يخلق الأزمات المتعددة ويهدد سلام العالم بالحروب الدائمة

وقال : ان الجمهورية العربية المتحدة تزيد في كل عام نحو ٦٠٠ ألف نسمة ، ونحن نؤمن

رأس السيد حسين الشافعي نائب رئيس الجمهورية ووزير الأوقاف والأزهر والشئون الاجتماعية حفل افتتاح الموسم الثقافي الذي عقده إدارة الثقافة الدينية بالوزارة مساء الثلاثاء ١٩ من ديسمبر الماضي في قاعة المحاضرات بالغرفة التجارية ، وحضره عدد ضخم من علماء الأوقاف والأزهر ورجال الأدب والفكر والاقتصاد . وكان في استقبالهم المهندس علي زاهر وكيل الوزارة وفضيلة الشيخ محمد الغزالي السقا مدير المساجد والمشرف على شئون المجلس الأعلى للشئون الإسلامية وفضيلة الشيخ السيد سابق مدير الثقافة .

وكلمة الشيخ السيد سابق

وقد ألقى فضيلة الشيخ السيد سابق مدير الثقافة الدينية كلمة ضافية تناول فيها العلاقة التي تربط بين العبد وربّه وبين الفرد ومجتمعه وبين الزوج وزوجه ، وبين الإنسان وأقاربه . وقال : ان المحبة هي أساس هذه العلاقات كلها ، ويجب أن تقوم اشتراكيّتنا العربية على هذه المحبة التي وصفها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بقوله : (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) .

والدكتور عيسى عبده

وتلاه الدكتور عيسى عبده ابراهيم فتناول موضوع اشتراكيّتنا ومدى صلتها بالاسلام وعقد مقارنة بينها وبين المذاهب الاقتصادية الأخرى ، وقرر انها أسمى أنواع الاشتراكية لأنها تستمد عناصرها من اشتراكية الاسلام التي ترعى حق الملكية وتصور في الوقت نفسه حق الفقير .

وقال : ان اشتراكيّتنا ستدفع الاقتصاد الى الأمام وتتيح الفرصة كاملة أمام الكفايات الانتاجية ، وأكد أننا نسير الى أسمى أهداف الاقتصاد الاسلامي ونقارب بين الطبقات ، ونحقق هدف الحياة الصحيحة التي عناها الله - سبحانه وتعالى - بقوله : « ان لك ألا تجوع فيها ولا تعرى » . وأنها لا تنظم فيها ولا تضحي » .

وطلب في ختام محاضرته بإلغاء نظام الفائدة الربوية .

ختام الندوة

وأعلن فضيلة الشيخ السيد سابق أن المحاضرة القادمة يوم الأحد القادم سيلقيها الدكتور محمد مهدي علام عن (حقوق الفرد في الاسلام)

وقد افتتح الحفل بالقرآن الكريم من الشيخ محمود خليل الحصري شيخ عموم المقاريء العربية . وختمه الشيخ مصطفى اسماعيل .

بأن الأرزاق بيد الله ، وأنه معنا ، وأنه سينصرنا على أعدائنا وسيندق بعضهم بأس بعض بعيداً عنا . وقد رسمنا في الوقت نفسه سياستنا على توفير مليون و ٢٦ ألف فرصة عمل خلال السنوات الخمس القادمة . فان الاحصاءات تسجل حاجة ٨٣٢ ألف نسمة الى العمل خلال هذه المدة ، ونرى من واجبنا توفير الفرصة لاستيعابها لنحفظ للفرد عزته وكرامته وحرية ونوفر العنصر الذي نقضى به على الجوع بتوفير فرصة العمل لكل مواطن ، ونؤمن حياته ضد المرض والعجز والشيخوخة ، ونشكر ربنا الذي أطعمنا من جوع وآمننا من خوف .

ونادى نائب الرئيس (بالرحمة) لأنها هدف الله حين أرسل رسوله رحمة للعالمين ، وهدف الثورة حين تأخذ للشعب حقه من أموال الذين حبسوا مال الشعب عن الشعب . فلم يؤدوا الزكاة التي هي أساس التأمين الاجتماعي ، والتي تهدف الى رحمة الفنى من حقد الفقير ، ورحمة الفقير من طغيان الفنى .

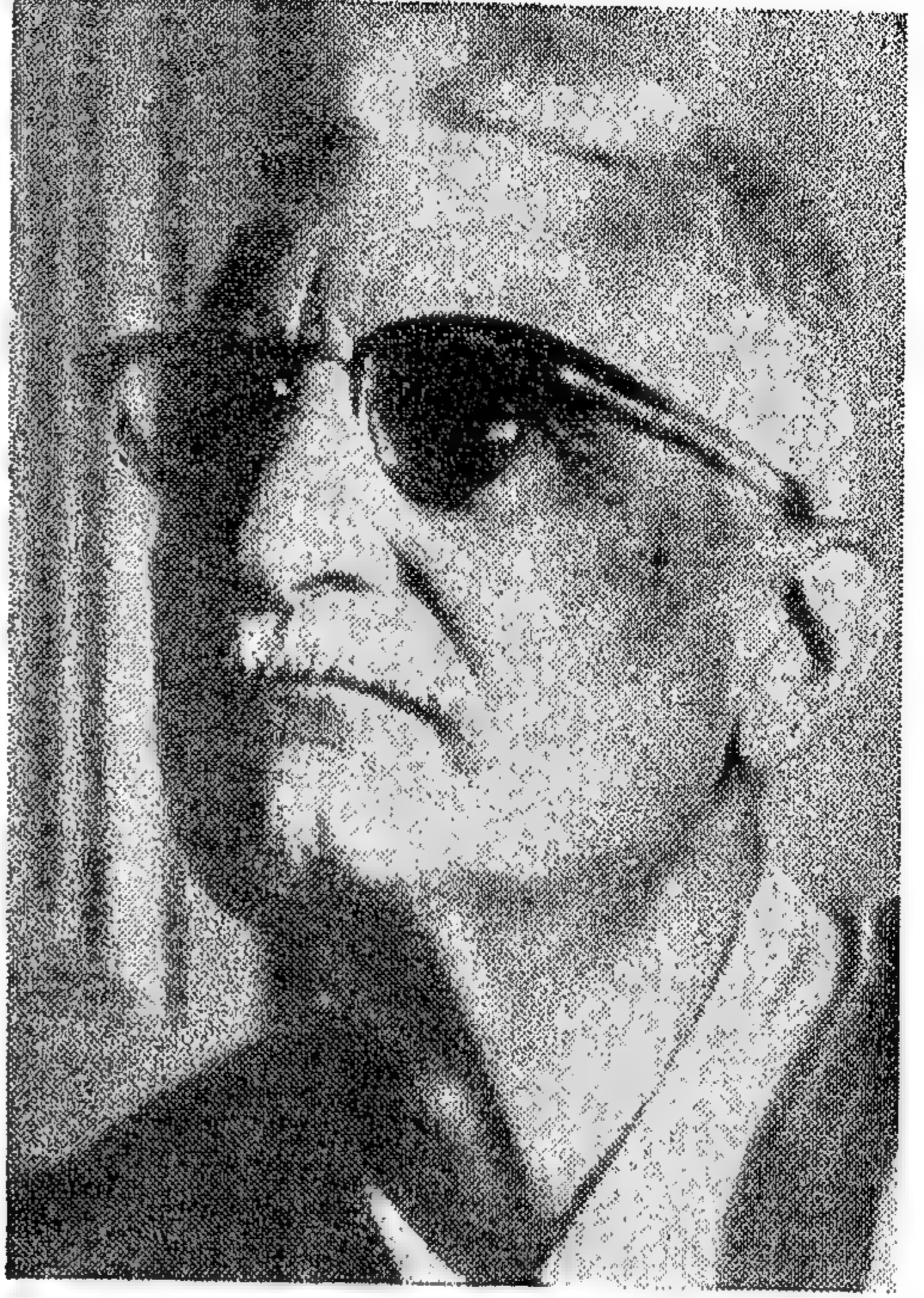
اننا اذا كنا ننادى اليوم بالاشتراكية فذلك لنحقق بها معنى من المعاني السامية التي يدعو اليها الاسلام لتقرير حق الرحمة لكل مواطن وحق الطعام لكل جائع ، وحق الكساء لكل عريان ، وحق الصحة لكل مريض .

نريد أن نحقق الرحمة للفرد وللمجتمع وللبنية جمعاء .

وأكد نائب الرئيس أن اليهود يتحكمون في مصير العالم (بالكنهوت الاقتصادي) ، واشاعة الانحلال الخلقي في الشعوب ، ونادى بالاشتراكية العربية لأنها هي الاسلام ولأنها فطرة الله التي فطر الناس عليها .

وختم كلمته بأن النجاة في هداية الله - عز وجل - وفي الإيمان به وبكتبه ورسوله واليوم الآخر .

الصلوة والعلم



الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد



يقول الأديب « مختار عبد القادر الفيل » الطالب بكلية الآداب :

« .. اننى أومن بالله ايمانا قويا ، وأؤدى فرائض الاسلام ، ولكننى أوجه السؤال اليكم لرغبتي فى المزيد من المعرفة عن أمور اسلامنا وأسأل : ما هى فائدة الصلاة والدعاء الى الله ؟ واننى لأعلم أن الصلاة رياضة وثقافة وصلة وثيقة بالله وعلاقة وثيقة لتقوية العطف بين الناس وبث روح التعاون بينهم لاجتماعهم فى بيت الله . ولكن كيف يفهم الدعاء الى الله طلبا لشيء من الأشياء ؟ فان هذا الطلب اما أن يكون مطابقا لإرادة الله الثانية فلا فائدة فيه ، واما أن يكون مخالفا للإرادة الالهية فلا فائدة فيه كذلك ، ولا يفهم سبجانه وتعالى غير العدل ، فليس ثمة ما يدعى الى مطالبته لأننا فى هذه الحالة كمن ينزله منزلة الحاكم الذى يقضى بقضاء ، ثم يعدل عنه بعد التزلف والاستعطاف .. وأرجو أن أقرأ رد سيادتكم لأعلم قبل كل شيء هل يحرم علينا الدين أن نبحث فى هذه الأمور ؟ »

أودعها الله طبائع الأشياء وبنى عليها نظام الكون كله ، وحسب فريق آخرون - كما قال الطالب الأديب - أن تنزيه الاله سبحانه وتعالى عن تبديل كلماته وتعديل قضائه يوجب على الإنسان أن يتورع عن الطلب الذى يسأله فيه العدول عن قضاء قضاء .

ومن كبار علماء الطبيعة عند الغربيين أناس تصدوا للرد على هذا الاعتراض وأجابوا عن أسئلته جوابا يوافق ايمانهم بالله وايمانهم

وأقول للطالب الأديب انه أحسن فهم الصلاة كما أحسن وصفها حين قال انها رياضة وصلة وثيقة بالله ، وان الأمر الذى أشكل عليه فى فهم صلوات الدعاء قد أشكل على كثيرين وورد عليهم الاشكال فيه على صور كثيرة بين جميع المتدينين فى العصر الحديث من المسلمين وغير المسلمين .. فحسب فريق منهم على أن القول بجدوى الصلاة يناقض القول بالسنن الالهية والقوانين الطبيعية التى

بالعلوم الطبيعية على السواء . وقد فرغ
أحدهم لهذا البحث - وهو الطبيب الجراح
الكبير الكسيس كاريل - Carrel فكتب
فيه رسالة خاصة أجمل فيها صفوة تجاربه
العلمية وجعلها جوابا على قول فردريك
نيتشه « أنه لشيء مخجل أن يتهل الإنسان
بالصلاة » .

فكان من مقرراته في هذه الرسالة أن تقع
الصلاة قد ثبت له - علميا - كما ثبت
التجارب الطبيعية وأنه لا يفرق في هذا بين
صلاة الإنسان لنفسه أو صلاته لغيره مادام
صادق النية صادق الطلب في الحالتين .

واحد هؤلاء العلماء الكبار - أوليفر لودج -
وهو من أشهر علماء الرياضة والطبيعة يرد
على القائلين بمخالفة الصلاة للسنن الكونية
فيقول :

« أنهم يتوهمون ذلك لأنهم يحكمون على
الصلاة حكمهم على ظاهرة غير طبيعية خارجة
من حدود الكون . ولكنها في الواقع ظاهرة
كونية يحسب حسابها في أعمال الكون كما
يحسب حسابها في سائر الحوادث التي تقع
في حياتنا بغير صلاة . . وإذا كانت الصلاة
تربية نفسية فلماذا يحسب المعارضون أن هذه
التربية ليست سببا لتحقيق بعض الحوادث
كما تسببها كل تربية يتم بها استعداد الإنسان
لغاية من الغايات ؟ »

والواقع التاريخي عن الصلاة - بمعنى
الدعاء إلى الله - أنها ظاهرة روحية تعرف في
الديانات العليا ولا تعرف في الديانات البدائية
على هذا المعنى . فهي نتيجة لترقى الإنسان
في فهم وحدة الكون ووحدة القوة الإلهية
التي تقوم بتدبيره ، ولهذا تعرف في أديان
الموحدين والمتحضرين ، ولم تكن معروفة على
هذا النحو بين الهمج الأولين الذين يعددون
الأرباب ويوزعونها بين عناصر الطبيعة في
الأرض والسماء ويطلبون من كل منها ما يقدر
عليه ولا يقدر على غيره ، ويجعلون صلاتهم
من قبيل المساومة على تبادل المنفعة ،
لاعتقادهم أن أربابهم تحتاج إلى دعواتهم
وقرايبتهم كما يحتاجون هم إلى نعمهم
وعطاياها . وقد بقيت من هذا الأسلوب في
الصلاة بقية مشهودة بين الجهلاء الذين

يشاومون الأولياء على الشموع والذبائح إذا
استجابوا لما يدعونهم إليه من اغانة الملهوف
ورد المفقود وتحقيق الفرض المأمول ، ولو لم
يكن من الأغراض التي تحسن بالأولياء .

**فالصلاة في الأديان العليا علامة من علامات
التقدم الإنساني في فهم حقائق الكون وفهم
الصفات الإلهية ، ولا قوام لدين من الأديان
بغير الإيمان بالصلاة على معنى الطلب والدعاء
مع الإيمان برياضتها الروحية وصلتها الوثيقة
التي تربط عالم الشهادة بعالم الغيب ، وتجعل
وجود الإله حقيقة أعلى من حقيقة النواميس
أو حقيقة الحوادث الكونية التي تهمل الإنسان
في مطالب معيشتة كما تهمل في مطالب ضميره**

فلا الدين ولا العلم يقضيان على الإنسان
أن ينكر حقيقة النواميس الطبيعية ، ولكن
وجود الإله قائم في ضمائرنا على إيماننا بأن
النااميس الطبيعية وحدها لا تفنى الإنسان
عن الاتصال بخالقها ، لأن وجود النواميس لا
يلفى عمل الإله ولا يعنى أن الاتصال به والاتقطاع
عنه سواء .

والذين يفهمون أن نواميس الطبيعة واقع
مفروغ منه يخالفون العلم والفلسفة ، وليس
قصارهم أنهم ينكرون الإرادة الإلهية من
ورائها .

فمن المقررات العلمية التي اشتهرت حديثا
باسم نظرية هيزنبرج « Heisenberg » أن
العلم لا يستطيع أن يعرف مقدما كيف يتصرف
كهرب واحد من كهارب الأجسام المادية ، وأن
الذي نعرفه من ذلك إنما هو حكم على الجملة
يستحيل تطبيقه على الأجزاء المتفرقة ، ومن
المشاهدات التي يقربون بها هذا الزاى تقدير
شركات التأمين لحوادث السيارات في البلد
الواحد والسنة الواحدة ، فانهم يحسبون
الحساب لاصابة عشرين سيارة من كل ألف
سيارة - مثلا - فيصدق هذا التقدير
وتنظم عليه موارد الشركة ومصاريفها ، ولكن
أخبر الخبراء في الشركة لو سئل أن يدل
على هذه السيارات العشرين أو على بعضها
لما استطاع .

والعلماء الذين يعتقدون أن النواميس الكونية
مسألة قديمة حصلت وفرغ الأمر منها يمثّلون
الكون كأنه مكنة صنعت وأرسلت في طريقها

وانقطعت عوامل التكوين فيها ، ولكن هذا الاعتقاد ضرب من التصور لا يوافقهم عليه كثير من العلماء والمفكرين ، ومن هؤلاء المفكرين من يقول - كما قال بيرس

ان المصادفات قد تكون اليوم قوانين في دور التكوين وليست شذوذا عن قوانين مبرمة منذ الأزل ، وان القوانين قد تكون مصادفات تكررت على وتيرة واحدة ولكنها لا يرتبط بعضها ببعض ارتباط الأسباب بالمسببات . .

ومذهب بيرس هذا مطابق لقول الحكيم الاسلامي ابي حامد الغزالي ، ومطابق للاجماع الذي انعقدت عليه آراء العلماء المحدثين ، فانهم يقولون ان التجارب العلمية انما هي تجارب وصفية تسجل الواقع كما يتكرر امام المجربين ، ولكنها ليست بالتفسيرات التي تعلل الأسباب بعلة محققة غير علة التكرار والاستمرار .

ومن الأمثلة القديمة التي تضرب لتقريب هذا الرأي ان الديكة تصيح قبل طلوع الشمس ابدا وليست هي علة طلوعها ، وان جرس القطار يدق قبل وصوله الى المحطة وليس هو سبب الوصول ، وان ضوء القذيفة يرى عند انفجارها قبل سماع صوتها ولا علاقة بين سبب الرؤية وسبب السماع .

وأيا كان الرأي في السببية عند علماء العصر الحديث فالقول الفصل الذي لا شك فيه ان قوانين الطبيعة لم تحصر جميع عواملها ، وأن الحصر الذي وصلنا اليه قد يعين على تقدير الحوادث المترتبة عليها بالاجمال ولا يعتمد عليه في تقدير حادثة واحدة بغير الظن والتقريب .

فاذا نظرنا الى التقدير العلمي فالباب مفتوح في الكون للعوامل التي لا تحصرها ضوابط القوانين والنواميس .

واذا نظرنا الى التقدير الديني فالله تعالى فعال لما يريد ، والخلق « عملية مستمرة » ، وليس بالعملية الآلية التي فرغت منها العناية الإلهية ، وتركها هملا بغير تبديل .

وسنة الله لا تبديل لها حقا ، ولكنها لا تعلم من سنة الله الا ما نهتدى اليه بعقولنا وهداية الله . وقد تكون سنة الله في نصيب الانسان موقوفة على تربية نفسية تحققها

الصلاة ، وقد تكون هذه التربية النفسية سببا مشروطا للسنة الإلهية لا يجوز للمؤمن تعطيله او لا يجوز له ان يدعى القضاء فيه باسم الاله .

والطالب الأديب يرى للمسألة وجهين لا ثالث لهما من وجوه البحث في فائسدة الصلاة :

فاما ان يكون الطلب موافقا للارادة الإلهية فهو محقق بغير طلب ، واما ان يكون مخالفا للارادة الإلهية فلا معنى لطلبه ، لأن الله يتنزه عن تغيير ارادته كما يغير الحاكم قضاءه بالملق والاستعطاف .

ولكن مسألة الصلاة لا تنحصر في وجه من هذين الوجهين ، لاننا يجب ان نذكر أولا وأخرا ان ارادة الله متمثلة في طبيعة الانسان وان من طبيعة الانسان ان تطلب الفوئ عند الحاجة اليه ، وان طلبه من غير الله عبث مع الايمان بوجود الاله القادر على كل شيء ، فاذا اندفعت طبيعة الانسان الى طلب الفوئ من الله فمن أين له اذا قمع هذه الطبيعة انه لا يخالف ارادة الله ، ومن أين له ان الاستجابة هي كل ما يرجى من الدعاء ؟ ومن أين له ان الدعاء نفسه هو سبيل الاتصال بالله من جانب الانسان ، لأنه في ذاته عمل من أعمال النفس التي تدل على سجية من سجايها وان لم يكن لها جواب .

ونعود الى رأي الرياضي الكبير اوليفرلودج لان الرياضيين من اقدر الناس على فرض الفروض التي تحل المجهولات ، فنقول : لماذا نحسب الصلاة خارقة للنواميس الكونية وهي ظاهرة كونية كسائر الظواهر التي تحدث كل يوم في هذا الكون ؟

وليكن الطالب الأديب على يقين ان سؤاله عن نفع الصلاة لا يمتنع في الدين الاسلامي بل يجب عليه وجوب التفكير ووجوب سؤال اهل الذكر ، وكلاهما فريضة من فرائض الاسلام ، ولكن لمسألة الصلاة - كما قلنا - وجه آخر لا يضير من السؤال عنه اذ كان السؤال عنه هو جوابه المريح : الا يجوز للانسان ان يكشف عن ذات نفسه امام الله الا ان يعلق هذه المكاشفة مقبلا بضمان الجواب ؟

حاجة العالم إلى الله اليوم



فضيلة الشيخ محمد أبو زهرة

١ - قال الله تعالى : « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » وقد رأى ابن الأرض مارأى ، وكشف ماكشف من خواص الكون ، وقوة ابداع الله فيه ، وقد سخره سبحانه للانسان ليبحث فيه بعقله ، ويوجهه الى ما فيه النفع ان غلبت ارادة الخير ، والى مخارف الشيطان ان تحكم الشر في نفسه .

وقد اطلع الانسان على أسرار النواة ، واستخدم قوتها ، واذا كان قد استخدم قليلا منها في الخير ، فقد استخدم أكثرها لالقاء الذعر في الانسانية كلها ، وتهديد العالم بالفناء ، وكأنها القيامة تقوم ، وساعة الفصل قد حان حينها ، وأدركنا ابانها . وقد روى البخاري عن النبي أن من أمارات الساعة نارا تخرج من الشرق ، فتحشر الناس .

ان الباعث على هذا الكشف الخطير كان آثما ، ولا يزال أكثره في الاثم لتتفق النشأة مع الميلاد ، فقد كشف في الحروب ، لينتصر العدو على عدوه ، ولو أباد خضراء بل ولو قتل من ليس له في الحرب ناقة ولا جمل ، ومن لا يحمل بندقية ، ولا يوجه مدفعا ، ومن يساق اليها غير راغب فيها ولا يريد لها !! ولكنه يساق بحكم الحكام لنسزوات عصبية ، ولناضلات جنسية ، ومعاداة عنصرية !! ولتكون دولة أربى من دولة في بسطة أرضها أو قوة سلطانها ، أو اتساع ثرواتها ، أو لتتحكم في غيرها ! وغير ذلك مما هو ممقوت بين

الآحاد ، وهو في الأمم أكبر مقتا عند الله وكذلك في تقدير كل مخلص أريب يخرج من نطاق العصبية أو العنصرية الى مجال الانسانية الواسع الفسيح ، ويفكر في أن الانسان أخ الانسان ، مهما تنسأى الديار ، وتتباعد الأمصار ، وتختلف الألوان والألسنة .

٢ - انه قد صار كبراء الدول اليوم يصنعون ما كان يصنعه الملوك المستبدون ، من اختلاف على السيطرة والبطان و اتساع رقعة الأرض ، وليباهى كل رئيس بأن الشمس لا تغيب عن أرضه ، أو السحاب حيثما أمطرت فلخرجه ! وأنه اذا قال لا ترد له في الأرض مقالة ، وانقسم العالم الى دول كبيرة لبعضها وحدة تجمعها على غير الخير ، بل على الانقراض والافتراس ، وبعضها الآخر له وحدة تناضل الأولى وتقاومها ، وتنتهز الفرصة مثلها للانقراض والافتراس ، وصغار الدول تابعة : ففريق يتبع هذا ، وفريق يتبع ذاك ، وما كان لأحدهما اختيار في التبعية ، ومن لا يتبع أحدهما يكون هدفا لهما معا ، يريد كل منهما على الانحياز اليه ، فتتخذ معه طرق الاغراء ، فان لم تجد اتخذت معه طرق الارهاق .

والتبعية التي يريدونها ليست تبعية فقط في سياسة الركب الذي تسير فيه ، بل تبعية أيضا في النظم الاجتماعية والاقتصادية ، وسائر الشئون الحيوية ، ومقومات الأمم في ذات نفسها ، مطرحة عنصر تكوينها .

٣ - ولقد صار العالم اليوم بسبب ذلك في فتن مظلمة كقطع الليل ، لا تدري الانسانية منتهاها ، ولا تعرف الى أى طريق تسير : « وانا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا » . وانه اذا كانت المقدمات التى نراها تنتج نتائجها ، فاننا يائسون من الرشدا ، قانطون من الخير ، الا بهداية من السماء ، ونور نزل منها . وكان هذه الفتن هي ما صورته النبى - صلى الله عليه وسلم - فيما وراه حذيفة بن اليمان ، وقصه على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : فقد جاء فى صحيح مسلم عن حذيفة قال : كنا عند عمر بن الخطاب ، فقال : أيكم سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يذكر الفتن ؟ فقال قوم : نحن سمعناه ، فقال : لعلمكم تعنون فتنة الرجل فى أهله وجاره ؟ قال : تلك تكفرها الصلاة والصيام والصدقة ، ولكن أيكم سمع النبى صلى الله عليه وسلم - يذكر الفتن التى تموج كموج البحر ؟ قال حذيفة : فأسكت القوم . فقلت : انا . فقال : أنت ! لله أبوك ! قال حذيفة : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا ، عودا ، فإى قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء ، وإى قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء ، حتى تصير على قلبين : على أبيض مثل الصفا ، فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض ، والآخر أسود مربادا كالكوثر مجخيا ، لا يعرف معروفا ، ولا ينكر منكرا ، الا ما أشرب من هذاه » (١) .

وان النبى - فى تنبئه بهذه الفتن - عبارته - عليه السلام - عامة ، لا تخص المؤمنين ، بل تعم الانسانية كلها ، وانا نرى نبوءته تتحقق فى العالم ، فلا نرى من ينكر المنكر ، ويدعو الى المعروف ، الا أصواتا خافتة تكتم قبل أن تجهر ، بل تجمجم ولا تتكلم ، حتى صارت الانسانية فى عمياء من أمرها .

ألم تر المؤتمرات تجتمع وتنفض ، وعقب الانفضاى يكون التهديد بالويل والثبور ، والهلاك . والحرب النووية - التى لا تبقى ولا تذر - لا تدع قائما الا هدمته ، ولا تراثا

انسانيا الا أزالته ، ولماذا كان ذلك كله ؟ لان الزعماء يختلفون على برلين الشرقية مثلا ، وكل فرح برأيه ، مستمسك به ، لا يهمله خرب العالم أو عمر ، وبقي أم فنى ، ما دام ذلك رأيه ! وأين الشعوب التى تكون حطب هذه الحروب ، والتى تذوق ويلاتها ؟ وأين العلماء المفكرون ، والكتاب الباحثون ؟ لا نجد صوتا يقول لهم : مكانكم ، ما هذه العصبية الجاهلية التى تودى بالانسانية الى بوار ، وبالعالم الى الفناء أو الخراب ؟ لا نجد شيئا من ذلك ، بل صحف كل فريق تنادى بالانحراف الجامح ، والتعصب الشامخ ، ولا تفكر فى الانسانية ومآلها ، والعالم ونهايته !

٤ - لا منجاة للعالم اليوم الا بهداية السماء ، الا بدين يعمر القلوب ، وينير البصائر ، ويوجه العالم كله الى الانسانية الجامعة ، ويبعدها عن العصبية الجامحة !! فما هذا الدين الذى يكبح جماح الملوك والكبراء ، ويهدى للتي هي أقوم ؟

وانه للإجابة عن هذا السؤال نجد الأديان التى انتشرت بين العالمين خمسة أديان : وهى المسيحية ، والبوذية ، واليهودية ، والبرهمية ، والاسلام . فلنختبر حقائق هذه الأديان كما هى بين معتنقيها ، لنعلم أيها أصلح لعلاج ذلك الداء الذى تفشى فى العالم الآن .

واننا نجد دينين يتلاقيان فى معنى ، وأمامهما دينان آخران ينافران هذا المعنى ، ودين قد انفرد وحده بمعنى ليس فى الدينين الآخرين .

فالمسيحية كما هى فى الأناجيل التى تقرا فى هذه الأيام ، تدعو الى التسامح المطلق ، كما ورد على لسان المسيح ، فقد جاء فى انجيل متى ما نصه : « انا أقول لكم لا تقاوموا الشر ، بل من لطمك على خدك الأيمن ، فحول له الآخر أيضا ، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك ، فاترك له الرداء أيضا ، ومن سخرك ميلا واحدا فاذهب معه اثنين ، ومن سألك فأعطه ، ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده ، سمعت أنه قيل : تحب قريبك وتبفض

(١) النكتة : الأثر الباقي بعد لس الشيء ، والعفاء : السحاب الذى لا غيم فيه ، أو الحجر الأملس الذى لا غبار عليه . والمرباد : الغير المقيم . والمجنى : هو المائل المنعرج .

عدوك ، وأما أنا فأقول لكم : أحبوا أعداءكم ، وباركوا لاعنيكم ، أحبوا مبغضيكم ، وصلوا لأجل الذين يسيئون اليكم ويطردونكم) .

وانك لتجد ذلك بيننا في الأناجيل التي بين أيدينا ، وانه لتتلاقى البوذية الى حد كبير مع المسيحية في هذا ، فهذا الذي ينسب الى المسيح - عليه السلام - قد نسب الى بوذا قبل ميلاد المسيح بنحو ثلاثة عشر قرنا .

ولكن هذه وصايا ، ان طبقت على الآحاد ، لتوثيق القربى ، فانها لا يمكن أن تكون قانونا عاما بين الناس ، ولا يمكن أن تكون نظاما دوليا . والاسلام قد جاء فيه الوصايا بالمودّة والرحمة ، في مثل قوله تعالى : « خذ العفو ، وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين » وقوله تعالى : « ادفع بالتي هي أحسن ، فاذا الذي بينك وبينه عداوة ، كأنه ولي حميم » وكان مع هذه الوصايا أحكام القطصاص والحدود ، والمعاملات الدولية ، التي أساسها المعاملة بالمثل في دائرة الفضيلة .

ولقد ترك المسيحيون تلك الوصايا وأخذوا بشريعة التوراة ، وزادوا عليها قسوة وعنفا ، واندفعوا في الشر ذلك الاندفاع الذي نراه الآن ، فان شريعة الغاب ، التي لا تعرف مروءة ولا أخلاقا ولا إنسانية ، هي التي تحكم في العلاقات الانسانية العامة ، والعصبية الجنسية أو العنصرية . تتحكم في كل شيء في داخل هذه الدول وعلاقاتها الخارجية .

وقد كان كذلك البوذيون في الصين واليابان والهند ، فان عدوى الحقد تسرى في النفوس سريان النار في الهشيم ، بل سريان السم الزعاف في الجسم الانساني السليم .

هـ - لنترك هذين الدينين من غير أن نمس احساس الذين يؤمنون بهما حق الايمان ، ولننتجه الى البرهمية واليهودية ! وانا نرى أنهما قد بنيا على العنصرية والعصبية الجامحة ، فالبرهمية أو الهندوسية بنيت على الطبقات التي تورث في الأخلاف ، وبنيت على اعتبار كل مخالفينهم من الأنجاس ، لا يؤاكلون ، ولا يشاربون ، ولا يعيشون متجاورين !! ولذلك نسمع كل يوم عن المذابح التي يقيمونها في جيرانهم المسلمين ، ولا يحبرك الحاكمون ساكننا عند قيامها الا قليلا !

وقريب منها اليهودية ، فهم يجعلون أنفسهم أبناء الله وأحباءه ، وأنهم المختارون من بين الناس لمحبة الله تعالى ، اذ يقولون أنهم شعب الله المختار ، ويحرمون على أنفسهم ما يحلونه في معاملاتهم مع غيرهم ، فتوراتهم تحرم الربا فيما بينهم ، وتبيحه عند الأخذ من غيرهم ، وينظرون الى الانسانية على أنها مستغلهم ، وانهم لا يستطيعون استغلالها الا في تفرقها ، ولذلك يفرون دائما بالعداوة بين الناس ، ويقدمون أسباب الحروب بينهم .

وننتهي من هذا الى ان الهندوسية واليهودية تتلاقيان في معنى واحد ، وهو تقوية العنصرية ، واتخاذ العالم كله عدوا مبينا ، فلا يمكن أن يكون العلاج لأدواء البشر اليوم فيهما ، لانهما تنشران العصبية ، وهي داء العالم الدوى الآن ، فلا يكون الدواء دواء .

٦ - ان العالم اذن في حاجة الى دين يدعو الى الوحدة الانسانية الجامعة ، ويكرم الانسان ، لانه انسان ويدعو الى المحبة في ظل العدالة ، والى الأخوة في ظل الرحمة ، والى التعاون في ظل الله .

واننا اذا أخذنا مخرنا لنختبر به الاسلام في هذا المقام ، نجده وحده هو الذي يتضمن هذه الحقائق ، وهو الذي يهدي اليها ويرشد في أقوال صريحة قاطعة في دلالتها ، وأحكام قوية تنظم السلوك الانساني ، لا في علاقة الآحاد بعضهم مع بعض ، بل في علاقات الدول بعضها مع بعض .

واننا عندما نتجه الى نصوصه يواجهنا قوله سبحانه : « ان الله يامر بالعدل والاحسان ، وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى » ، ويواجهنا قوله تعالى : « ولا يجرمكم شئان قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى » فالعدالة الاسلامية تعم العدو والولى على سواء ، والعدالة واجب انساني عام ، تعيش في قانونه الانسانية كلها على هدى مستقيم لا عوج فيه ، وهي حق للضعيف والقوى ، والجاهل والعالم ، والدول المتقدمة ، والدول المتخلفة ، فالتخلف لا يبخرس المتخلف حقا ، والمتقدم ليس له حق فوق حق المتخلف في الوجود .

ان الأحاديث النبوية تدعو الى العدل المطلق ، وقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم - عن ربه : « يا عبادى ، انى قد حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما ، فلا تظالموا » وان النبي - صلى الله عليه وسلم - ليصرح بأن كل عمل يقبل الففران الا ظلم العباد ، فان الله لا يفره اذا لم يسامح العباد الذين وقع الظلم منهم ، وان الاسلام قد وضع بالنسبة للعدالة المطلقة فى داخل البلاد ، وفى علاقات الدول نظاما لم يشهد العالم مثله عدلا .

٧ - واذا نسى التاريخ شيئا فلن ينسى عدالة المسلمين فى ميدان القتال ، وتمسكهم بحقوق الانسان ، بل لا نسى المعاملة العادلة التى لا تفرق بين عدو وولى فى ميدان القتال ، ولا نوازن فى هذا المقام ما كان بين المسلمين وما كان من غيرهم فى الحروب الصليبية وانظر الى صلاح الدين عندما عجز عن ان يطعم الأسرى ، فأطلق سراحهم ، ولما أطلقهم فقد قيل له : ان الأولى أن تقتلهم ، لأنهم سيكونون قوة عليك ، فقال : نهينا عن أن نقتل بالجوع والعطش ، ولأن أقتلهم فى الميدان خير من أن أقتلهم جوعا وهم فى يدي . وقد تجمعوا وقاتلوه وهزمهم . ثم انظر الى عمل « ريكارد » ملك الانجليز اذ وعد طائفة من المقاتلين بألا يمسهم اذا استسلموا ، وكانوا قلة يقاتلون قتال الموت ، فسلموا ، فنسى الغادر عهده وقتلهم جميعا غدرا وغيلة .

ولكننا نترك هذه الموازنة لنذكر خبرا صغيرا تحكيه كتب التاريخ فى زواياها ، ذلك أن أهالى سمرقند شكوا ظلما من قتيبة بن مسلم ، قائد جيوش المسلمين ، الذى ساح بها فى شرق آسيا حتى وصل بها الى الصين . وكانت شكواهم أنه دخل ديارهم بجيوشه ، ولم يخيرهم (كما أمر النبي - صلى الله عليه وسلم -) بين العهد أو الاسلام أو القتال وكانت هذه الشكوى الى عمر بن عبد العزيز ، فأمر - رضى الله عنه - بأن يجلس القاضى ، ويتحقق من صدقهم ، فان تبين صدق الشكوى أمر الجنود بأن يتركوا الديار التى دخلوها ، ويعودوا الى ثكناتهم ، ففعل القاضى ما أمر به ، وتحقق صدقهم ، فأمر الجنيد

فعادوا الى ثكناتهم ، فهل علم العالم عدلا اجل من هذا ؟!

وان العالم الآن يتنسم نسيم العدالة التى قررتها الأديان ، ونسيم المعاملة التى لا تفرق بين دولة قوية ودولة ضعيفة ، وانا لنقرأ اليوم أن دولة معتدية أرهقت شعبا ضعيفا ، فوجد الضعيف جارا من لونه وعنصره ينصره ، فنصره وحرزه ، فشكا المعتدى الى اخوانه ، وهددهم بأن ينسحب من حلفهم ، لأنهم لم ينصروه على الشعب الضعيف ، ولم يؤيدوا اعتدائه ، واغتياله لحقوقه (١) !!

٨ - والسبب فى العدالة الاسلامية ، هو أن الاسلام جعل العالم كله أمة واحدة ، فقد صرح القرآن الكريم بأن الناس جميعا مع اختلافهم أمة واحدة ، فقد قال تعالى : « كان الناس أمة واحدة ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم ، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه ، والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم » .

وقد نادى الاسلام بالتعارف الانسانى العام منبها الى أن الجميع لآدم وخواء ، فقد قال تعالى : « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم ، ان الله عليه خبير » فالجميع ينتهون الى ذكر وأنثى ، وأن كانوا قد خلقوا شعوبا وقبائل فلكي يتلاقوا على أخوة واحدة ، ولا يبغى بعضهم على بعض ، وليس الشرف بينهم بلون أو عنصر ، انما الشرف بالتقوى والعمل الصالح . ولقدكرر النبي - صلى الله عليه وسلم - هذا المعنى فقال - عليه الصلاة والسلام - : « كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، لا فضل لعربى على أعجمى ، ولا لأبيض على أسود ، الا بالتقوى » . وان لناس الآن لا ينظرون الا الى العنصرية أولا ، والى القوة ثانيا ، والى حب الغلب ثالثا ، وكلها أدواء وأسقام ، ونيران تتأجج ، اللهم هب للانسانية من أمرك رشدا .

(البحث موصول)

(١) تلك هى دولة البرتغال مع شعب جوا .

من أبواب التكافل الاجتماعي في الإسلام

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

«وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ..»
قرآن كريم

فضيلة الشيخ محمد المصطفى عيسى طه

مشاركين في المسؤولية عن هذا العصيان لأمر الله ، ولهذا نرى من المستفيض بين الناس الذي يقوله عامتهم وخاصتهم ان الدعوة الى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية اذا قام به البعض سقطت عن الباقين ، واذا تركه الكل اثموا جميعا ، وهو في ذلك بمنزلة الصلاة على الميت أو اتباع جنازته ، أو ارشاد التائه أو الأعمى ونحو ذلك .

وليس هذا الرأي بالجيد ، وليس العمل به والبناء عليه بالذي تصلح عليه حال الأمة ، فان افراد طائفة من الناس بالدعوة الى الخير قصور وتقصير في أمر هذه الدعوة وأن الاكتفاء بما يفعله الوعاظ والمرشدون بحكم وظائفهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس من شأنه أن يربى في الأمة معنى التضامن . والتكافل بين سائر أفرادها وقد يربى فيها خلق التواكل والتخفف من هذه المسؤولية على اعتبار أن الأفراد غير مكلفين بها تكليفا عينيا ، وانما هو تكليف كفاي قد كفتهم الدولة أمره حين عينت في كل مركز واعظا ، وفي كل مسجد اماما ، وفي كل قرية مأذونا أو فقيها الخ .

من أساليب البيان العربي نوع يسميه العلماء ((بالتجريد)) ومثاله أن تقول لصاحبك : لي منك أخ صادق ، ومعناه أنت أخ صادق ، فلفظ « من » هنا لا يراد به معنى التبعية وكذلك يقولون : رأيت فيك رجلا فاضلا ، وليس المعنى على أن الرجل الفاضل فيه وداخله ، وانما المعنى : رأيتك رجلا فاضلا ، ويقولون أيضا : لقيت بفلان بحرا في العلم ، ومعناه أنه كالبحر في العلم سعة وعمقا ، وهذا معنى قول العلماء أن التجريد يكون تارة بمن ، وتارة بفي ، وتارة بالباء .

اذا تبين هذا فاننا نستقبل قوله تعالى : «وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ» فنقول ان بعض المفسرين يجعل لفظ «(من)» في الآية على معناه الأصلي وهو المفيد للتبعية ، ويقول : ان الله يأمر المؤمنين بأن يكون فيهم ومن بينهم طائفة من الناس يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، والمؤمنون بجملة من مسئولون عن وجود هذه الطائفة فيهم بينهم ، فان وجدت فقد نزلوا على امر الله واطاعوه ، وان لم توجد كانوا جميعا متحملين للآثم

وانما الراى الجيد فى تفسير هذه الآيه بما ترشد اليه الآيات الأخرى ، والأحاديث النبوية وعمل الصحابة والتابعين ، ويحقق المصلحة المقصودة من هذا التشريع هو أن يقال : ان الدعوة الى الخير ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، مطلوب من كل مؤمن لا يكفى أن يفعلها البعض لتركها الآخرون ، ومثلها فى ذلك كالصلاة والزكاة والحج وغيرها من الواجبات العينية ، وعلى هذا تكون « من » فى قوله « منكم » على معنى التجريد الذى شرحناه فى أول هذا الكلام لا على معنى البعضية والاكتفاء ، والمعنى : ولتكونوا أيها المؤمنون أمة من شأنها وطابعها العام الذى يشمل سائر أفرادها ، الدعوة الى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وهذا رأى يقول به حذائق المفسرين وهو الراجح لأمر :

١ - منها أن الله سبحانه وتعالى يقول فى سورة التوبة :

« **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ** »
فقد اشتملت هذه الآيه على صفات وصف الله بها المؤمنين ، والشأن فيهم أن يكونوا متصفين بها ، وليس من الممكن أن نحمل ذلك على أن يكون من بينهم من يفعلها ، فتكون فرائض على الكفاية ، لأن من بينها بعد الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر اقامة الصلاة وإيتاء الزكاة واطاعة الله ورسوله ، وظاهر أن ذلك كله على معنى الفرائض العينية التى يقوم بها كل انسان ، ولا يكتفى فيها بفعل البعض ، ولا معنى للتفريق بين ما جمعه الله واعتبار الأمر والنهى عن المنكر خاصة من بين هذه الخصال كلها فرضا كفايا على غير المتبادر من الكلام ، وشبيه بهذه الآيه الكريمة قوله تعالى فى سورة آل عمران :

« **كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** » .

وقوله جلت كلماته فى سورة الحج :

« **الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ** »

فالآيه الأولى تتبع الحكم على الأمة بالخيرية بأوصاف يشعر الكلام بأنها السبب فى هذا

الحكم ، وهى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والإيمان بالله ، وما دام الإيمان بالله مذكورا ومعدودا على هذا النحو ، فالمتبادر الظاهر أنه يعنى ما لا غنى عنه للمؤمن فى أية حال ، وهذا هو شأن الفروض العينية لا الكفائية ، وكذلك الآيه الثانية حيث يجمع للمؤمنين أوصافا من بينها اقامة الصلاة وإيتاء الزكاة التى هى واجبة على كل فرد .

٢ - ومنها أن الله سبحانه وتعالى يقول فى سورة العصر :

« **وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَلُوا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ** » .

فقد بنى هذا الكلام على أسلوب النفي والاستثناء والمعنى فيه أن الله يحكم على كل أفراد الانسان بالخسران والهلاك ، إلا الذين توجد فيهم هذه الخصال ومن بينها التواصى بالحق والتواصى بالصبر ، فمن لم يوجد فيه ولم يتصف بهما فهو محكوم عليه بالخسار كمن لم يوجد فيه الإيمان وعمل الصالحات تماما ، وقد عبر الله سبحانه فى هذه السورة بالتواصى بالحق والتواصى بالصبر ، وهما فى قوة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والدعوة الى الخير وانما ذكر الحق والصبر تنبيها على أن الحق من شأنه أن يبعث فى الانسان كل معنى الخير ، وأن الصبر من شأنه أن يدفع عنه كل خصال الشر ، فمن كان فيه ملكة القبول للحق فى كل شأن من شؤنه الاعتقادية والواقعية فاز ، واستطاع أن يبنى كل أموره وتصرفاته على الأساس الصحيح ، ومن كان خلق الصبر فيه سجية كان هذا الخلق ناهيا له عن التورط فى الشرور اذ يصير على شهوات نفسه ودوافعها من حقد وحسد وحب للاستعلاء وتمكين للنفس مما تشتهى وترغب وشبيه بهذا ما جاء على معنى المقابلة فى وصف الذين كفروا من بنى اسرائيل فى قوله « **كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ** » ، وصيغة التناهى كصيغة التواصى فى افادة معنى التبادل الذى يشترك فيه الجميع ، لا البعض دون البعض .

٣ - ومما يدل على ذلك أيضا أن هذه الآيه التى نفسرها قد ختمت بقوله تعالى « **وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَالِحُونَ** » .

فان المعنى فيه : وأولئك القائمون بالدعوة الى الخير ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هم المفلحون ، فاذا جعلنا هذه الخصال لطائفة من الناس دون طائفة كما هو فرض الكفاية - فقد حكمنا بحرمان باقى المؤمنين من الفلاح والفوز بالخير فى الدنيا والآخرة وقصرناه على طائفة من المؤمنين دون طائفة ، ولا شك أن هذا لا يستقيم .

٤ - وقد جاءت السنة المطهرة بما يفيد ذلك ومنها قوله - صلى الله عليه وسلم - « لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعوا خياركم فلا يستجاب لهم » وقوله « المؤمن مرآة المؤمن » ، وفى رواية أخرى « المؤمن أخو المؤمن يكف عليه ضيعته ويحوطه من ورائه » وظاهر من هذه الأحاديث أن ذلك لجميع المؤمنين وليس لبعضهم دون بعض .



بهذا يتبين أن الأمر الالهى فى الآية موجه الى المؤمنين على أساس التكليف العينى لكل واحد منهم بأن يكون داعياً الى الخير أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ، فمن كان كذلك كان مطيعاً لأمر الله ، ومن كان على خلاف ذلك كان عاصياً لهذا الأمر ولو قام به سواه .

وقد يرد هنا سؤال أو اعتراض على هذا التقرير ، وهو سؤال قديم يذكره من يرى رأى الأول ، يقولون : لا شك أن من الناس قوماً غير عالمين بالمعروف والمنكر وليستوا أصلاً بالدعوة الى الخير ، وهم غير المتعلمين من عامة الناس ، وهؤلاء لا يمكن أن يكونوا مطالبين بشيء لا يعرفون حدوده وشروطه ، فاذا جعل هذا الأمر فرضاً على كل انسان - من لم يفعله فقد عصى الله - لكان ذلك أمراً بما لا يستطيع ، وتأتيما لعدد كبير من المؤمنين الذين لا يعرفون علم الدين والحلال والحرام ، كما يعرف المتفقهون .

والجواب عن هذا أن يقال : ان العلم بالخير والشر ، والمعروف والمنكر أمر فطرى مركز فى الطباع ، فما من انسان الا ويستطيع أن يدرك بحاسته وقلبه السليم وفطرته أن هذا

الفعل خير ، وأن هذا الفعل شر ، وأن هذا معروف ، وذاك منكر ، ولو بصورة اجمالية ، ولا يوجد مؤمن ليس عنده هذا التصور الاجمالى للخير والشر والمعروف والمنكر لأنه بحكم إيمانه يكون عنده هذه الحاسة المميزة ، وليس المراد أن يكون عارفاً بالتفاصيل على نحو فقهي استدلالى متتبع للفروع والتأويلات كأهل العلم والفقه .

ولعمري ان احساس المؤمن وادراكه لأصول الخير والشر على وجه الاجمال لهو أنفع وأجدى على الأمة من فلسفة المتظاهرين بالعلم الذين عندهم الشكشكة والقدرة على التأويل لما يرون من منكر ، وتبرير السكوت عن الأمر بالمعروف ، والركون فى هذا وذلك الى قول ضعيف أو فتوى أو تعليل ، ذلك بأن العامى اذا وجدت عنده الفيرة الدينية كان أهيب وأقوى على دفع المنكر والأمر بالمعروف .

وكم رأينا من أناس يرتكبون شيئاً امام الخاصة ولا يجرون على فعله امام العامة بحجة أن العامة لا يعذرون ، فهم يهابونهم ولا يهابون الخاصة الذين يمكنهم أن يسكتوهم ويدفعوهم عنهم بشيء من الجدل والتأويل ، والحقيقة أن هذا انما كان ، لأن العامة يعرفون الخير والشر والمعروف والمنكر بالفطرة ، لا بقول فلان وتخريج فلان ، ويكرهون الجدل فيما هو ظاهر لأنهم يستفتون قلوبهم وأرواحهم ، ولا يلجأون الى المناورات والمخادعات بالالفاظ العلمية ، والمصطلحات الفنية ، واذا كان الأمر كذلك فكيف يسوغ لنا أن نحرم العامة من هذا المركز ، بل أن نحرم الأمة نفسها من الانتفاع به وهم فى الحقيقة السياج القوى ، والحاجز المنيع الذى يهاب اقتحامه كل متجربى على الله ؟!

على أنه اذا فرضنا عامياً لم يدرك ما هو المعروف أو المنكر فى مسألة بذاتها لدقة فيها ، فانه حينئذ يسقط عنه ما لم يستطع ، ويبقى مطالباً بما يعرف ويستطيع ، ولا يسقط ذلك عنه بفعل غيره ، وظاهر أنه لا يوجد مسلم يجهل كل أنواع الخير والمعروف ، وكل أنواع المنكر حتى يقال ان العامى مبعد عن هذا المركز غير مسئول كسائر المؤمنين عن تبعاته .

محاربة الإسلام لبادئ النفرة العنصرية

موازنة بين موقف الإسلام في هذا الصدد
وموقف مآعده من النظم والشرائع

الدكتور على عبد الواحد وافي

يقرر الإسلام أن الناس جميعاً متساوون في طبيعتهم البشرية ، وأن ليس هناك جماعة تفضل غيرها بحسب عنصرها الانساني ، وخلقها الأول ، وانحدارها من سلالة خاصة ، وما انتقل اليها من أصلها هذا بطريق الوراثة ، وأن التفاضل بين الناس إنما يقوم على أمور أخرى ، خارجة عن طبيعتهم وعنصرتهم وسلالاتهم وخلقهم الأول ، فيقوم على أسس كفاياتهم وأعمالهم ، وما يقدمه كل منهم لربه ونفسه ومجتمعه والانسانية جمعاء .

وفي هذا يقول الله تعالى : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله اتقاكم ، ان الله عليم خبير » . أي أنكم جميعاً متحدون من أب واحد وأم واحدة ، فأنتم جميعاً من

عنصر واحد وطبيعة واحدة ، فلا فضل لأحدكم على غيره بحسب عنصره وطبيعته ، وإذا كان الله تعالى قد جعلكم شعوباً وقبائل ، فإنه لم يجعلكم كذلك لتفضيل شعب على شعب ، أو قبيلة على قبيلة ، وإنما قسمكم هذا التقسيم ليكون ذلك وسيلة للتعارف والتمييز والتسمية ، كشأن الأفراد يحمل كل منهم اسماً ليعرف به ويتميز عن سواه ، والتفاضل بينكم في نظر الله إنما يجري على أساس أعمالكم ومبلغ محافظتكم على حدود دينكم ، فأكرمكم عند الله اتقاكم . ويقول الله تعالى في آية أخرى : « ولقد كرّمنا بني آدم ، وحملناهم في البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً » . فالله تعالى قد كرّم بني آدم على العموم ، وفضلهم على كثير من خلقه ولم يخض بذلك جماعة دون أخرى .

ويقول تعالى في صدد المساواة بين الذكر والأنثى في القيمة الانسانية المشتركة :
« فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى ، بعضكم من بعض » .
 أي أن الذكور من الاناث ، والاناث من الذكور وليس بينهم فرق في جوهر الطبيعة ، فلا يفرق الله بين الذكور والاناث في جزاء ما يعملونه ، ولا يضيع عمل عامل منهم ويقول تعالى :
« يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ، وبث منها رجالا كثيرا ونساء » . فزوجها مخلوق منها ، ومن عنصرها نفسه ، لا من عنصر آخر ، وقد انبث منها جميع الرجال والنساء ، فالجنسان كلاهما يرجعان الى أصل واحد .

ويقول عليه الصلاة والسلام مقررا هذا المبدأ في أقوى العبارات وأبلغها دلالة في خطبة الوداع التي جعلها دستوراً للمسلمين من بعده :
« أيها الناس : ان ربكم واحد ، وان أباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، وليس لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أبيض ، ولا لأبيض على أحمر فضل الا بالتقوى » .
« ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد » . ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب » .
 . وحينما رأى الرسول عليه السلام أبا ذر الغفاري يحتد على بلال - وهو يحاوره - ويقول له « يا ابن السوداء » ، غضب غضبا شديدا وانتهر أبا ذر وقال :
« طف الصاع ، طف الصاع ! » أي قد تجاوز الأمر حده « ليس لابن البياض على ابن السوداء فضل الا بالتقوى أو عمل صالح » .
 فوضع أبودر خده على الأرض ، وأقسم على بلال أن يطأه بحذائه ، حتى يغفر الله له زلته هذه ، ويكفر عنه ما بدر منه من خلق الجاهلية الأولى .

هذا ، ويظهر سمو هذه المبادئ الاسلامية ، بالموازنة بينها وبين العقائد والشرائع التي كانت سائدة في هذا الصدد عند كثير من

شعوب العالم المتحضر قبل ظهور الاسلام ، وخاصة عند الهنود واليونان والعبريين والعرب في الجاهلية ، ولا تزال رواسب منها سائدة في بعض الشعوب غير الاسلامية في الوقت الحاضر .

١ - فالكتب المقدسة للهند البرهميين ، تقرر التفاضل بين الناس بحسب عناصرهم ونشأتهم الأولى فتذكر أن براهيماً قد خلق فصيلة « البرهميين » من فمه ، وفصيلة « الكشترين » من ذراعه ، وفصيلة « الفيسائيين » من فخذه ، وفصيلة « السودرائيين » أو « المنبوذين » من قدمه . ولما كان أشرف الأعضاء وأطهرها هو ما علا السرة ، وأشرفها وأطهرها جميعا هو الفم ، ويليه في ذلك الذراع ، ولما كان أحط الأعضاء هو ما كان أسفل السرة وأحطها جميعها هو القدم ، لذلك كان أشرف الناس جميعها وأطهرهم بحسب العنصر والنشأة الأولى هم الذين انحدروا من فم براهيم ، وهم « البراهميون » ، يليهم في الفضل الذين انحدروا من ذراعه وهم الكشثريون ، وكان أحط الفصائل الانسانية هم الذين انحدروا من فخذه وقدمه وهم « الفيسائيون » و « المنبوذون » ، وأكثرهم رجسا ونجسا هم « المنبوذون » المنحدرون من قدم براهيم .
 وتقسم هذه الاسفار الوظائف الانسانية بين هذه الطبقات بحسب منزلة كل طبقة منها ، وبحسب شرف الوظيفة نفسها وأهميتها ، فللبراهميين أرقى الوظائف ، وهي الوظائف الدينية ، فهم وحدهم الذين يعلمون الناس « الفيدا » (الاسفار المقدسة للبرهميين) ويشرفون على المذابح والضحايا ، وهم وحدهم الذين لهم الحق في « المنح والقبول » .
 وللکشثريين الوظائف الحربية وحماية الشعب والعمل على استتباب الأمن ، وللـفيسائيين القيام على تربية الانعام وقلع الارض وشئون

التجارة . وأما « السودرا » أو « المنبوذون » فلم يعطهم « السيد الأعلى » الا وظيفة واحدة، وهى أن يكونوا خدما للطبقات السابق ذكرها، وهم فوق ذلك رجس ونجس ، فلا يصح لمسهم، ولا مؤاكلتهم ، ولا مصاهرتهم ، ولا الارتباط بهم بأية علاقة ، غير علاقة السيد للمسود (مادة ٣١ ومواد ٨٧ - ١١٩ من الكتاب الأول من قوانين مانو ، ومواد الكتاب الرابع)

٢ - وكان قدماء اليونان ، يعتقدون أنهم شعب مختار ، قد خلقوا من عناصر تختلف عن العناصر التى خلقت منها الشعوب الأخرى التى كانوا يطلقون عليها اسم البربر ، وأنهم كاملو الانسانية قد زودوا بجميع ما يمتاز به الانسان عن الحيوان من قوى العقل والارادة ، على حين أن الشعوب الأخرى ناقصة الانسانية ، مجردة من هذه القوى لا تزيد كثيرا عن فصائل الأنعام . وقد عبر عن وجهة نظرهم هذه اصدق تعبير وصاغها فى قالب نظرية « بيولوجية اجتماعية » كبير فلاسفتهم أرسطو ، اذ يقرر فى كتابه « السياسة » أن الآلهة قد خلقت فصيلتين من الأناسى . وفصيلة زودتها بالعقل والارادة ، وهى فصيلة اليونان . وقد فطرتها على هذا التقويم الكامل ، لتكون خليفتها فى الأرض ، وسيدة على سائر الخلق ، وفصيلة لم تزودها الا بقوى الجسم وما يتصل اتصالا مباشرا بالجسم ، وهؤلاء هم البرابرة - أى من عدا اليونان من بنى آدم - وقد فطروا على هذا التقويم الناقص ليكونوا عبيدا مسخرين للفصيلة المختارة المصطفاة .

٣ - وكان الاسرائيليون يعتقدون أنهم شعب الله المختار ، وأن الكنعانيين شعب وضيع ، خصصه الله تعالى ليكون رقيقا لهم ، مسخرا لخدمتهم ، وكانوا يعتقدون أن هذا الوضع قد نشأ من الدعوة التى دعاها نوح على ابنه (حام) ونسله . فقد ورد فى الاصحاحات (٢٠-٢٩) من سفر « التكوين » أن نوحا قد شرب مرة

نبذ العنب الذى غرس كرمه بيده بعد الطوفان بدون أن يعلم خاصته المسكرة ، ففقد وعيه ، وانكشفت سوائته ، فرآه ابنه (حام) على هذه الصورة ، فسخر منه وحمل الخبر الى أخويه (سام ويافت) ولكن هذين كانا أكثر أدبا منه فجملا زداء وسارا به القهقري نحو أبيهما حتى لا يقع نظرهما على عورته ، وسترا به ما انكشف من جسمه ، فلما أفاق نوح وبلغه ما كان ، من موقف أولاده حياله ، لعن كنعان ابن حام ، ودعا عليه وعلى نسله أن يكونوا عبيدا لعبيد أبناء سام ويافت .

٤ - وكان العرب فى جاهليتهم ، يعتقدون كذلك أنهم شعب كامل الانسانية ، وأن الشعوب الأخرى ، التى كانوا يطلقون عليها اسم « الأعاجم » شعوب وضيعة ناقصة الانسانية ، وقد ترتب على عقيدتهم هذه مظاهر كثيرة فى علاقاتهم بالشعوب الأخرى وفى أنظمتهم ومعاملاتهم . فمن ذلك أن العربى ما كان يقبل أن يزوج ابنته من أعجمى، مهما كان عظيما ، ويرى فى ذلك امتهانا لشعبه وانسانيته وانسانية ابنته . ويروى المؤرخون أن أحد ملوك الفرس (وهو كسرى أبرويز) خطب حرقه بنت النعمان بن المنذر ، فرفض النعمان مصاهرتة خضوعا لهذه التقاليد ، مع أن النعمان كان من ولاية كسرى الخاضعين لسلطانه ، وأن كسرى قد ثارت لذلك ثائرتة ، فاستقدم عاهل العرب الى المسدائن (عاصمة فارس فى ذلك العهد) ، وتهدهه بشتى صنوف العذاب ، فلم يزد ذلك الا عنادا فى المحافظة على تقاليد قومه ، فأمر بطرحه تحت أقدام الفيلة ، وسوى معالم جسمه بالتراب ، وظن كسرى أن ذلك سيوقع العرب فى نفوس العرب ، فطلب حرقه من هانىء بن قبيصة الشيبانى (من بنى بكر) الذى أودعه النعمان

ابنته قبل سفره الى المدائن ، فلم يكن نصيبه منه بأحسن من نصيبه من صاحبه . فأرسل فيالقه لتوقع الخسف بهذه الأمة التي استأسدت في وجهه ، واحتجرت فتاتها دونه . فنفر العرب على بكرة أبيهم ، دفاعا عن تقاليدهم وزيادا عن حوزتهم ، والتقت جيوشهم بجيوش الفرس في موقعة « ذى قار » الشهيرة التي انتهت بانتصار العرب على الفرس وتحريرهم من رقهم .

ويروى كذلك أن أحد دهاقين الفرس (وهم رؤساء الفرس وكبار أغنيائهم) قد خطب امرأة من باهلة (وهي قبيلة من أوضع قبائل العرب ، بل كان يضرب بها المثل في الضعة والانحطاط) فأبى عليه ذلك أهلها ، على الرغم مما لدهاقين الفرس من سعة العيش ونعومة الحال ، ومابلغته باهلة بين العرب من لؤم الحسب وانصداع النسب .

هـ - وقد تركت نظم التفرقة العنصرية رواسب كثيرة لدى كثير من الأمم الغربية في العصر الحاضر . ففي الولايات المتحدة الأمريكية - مثلا - تفرق القوانين ويفرق العرف بين البيض والسود من أبناء الشعب ، وتبدو هذه التفرقة في مختلف مظاهر الحياة ، وشتى أنواع المعاملات ، حتى في الشئون القضائية ، وتقدير العقوبات وطريقة تطبيقها ، وحتى أنه ليجوز للجماهير هناك أن تربط الأسود الى شجرة أو سارية وتوثق كتافه وتحرقه حرقا

أو تقطعه اربا اربا بدون محاكمة ولا مقاضاة اذا اتصل بامرأة بيضاء . أو لم يلتزم الحدود التي ألزمه القانون والعرف - بحكم لونه - ألا يتعداها ، وحتى أنه في بعض هذه الولايات لا يسمح لأولاد السود بدخول المدارس المخصصة لأولاد البيض ، وفي بعضها يفرق في السيارات العامة نفسها بين مقاعد البيض ومقاعد السود . وفي اتحاد جنوب افريقيا نظم التمييز العنصرى بين البيض وغيرهم ، في أعنف مظاهرها وأشدّها مجافاة للأخلاق وحقوق الانسان . وعلى الرغم من الثورات العنيفة والمجازر الدامية التي حدثت في هذا الاتحاد من جراء ذلك ، وعلى الرغم من استنكار شعوب العالم أجمع لمسلك حكومته في هذا الصدد ، وعلى الرغم مما أصدره مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة وأصدرته (مؤتمرات الكومنولث) نفسها - وهي المنظمة التابع لها اتحاد جنوب افريقيا - من أحكام بادانة حكومة الاتحاد وقرارات ضد التمييز العنصرى وأوامر بوجود الغائه فان حكومة الاتحاد لم تأبه بشيء من هذا ، بل زادت عنفا وقساوة في مسلكها ضد السود والملونين من أهل البلاد !

ومن هذا كله يظهر لنا الفتح العظيم الذى فتحه الاسلام فى تاريخ النظم الاجتماعية ، اذ قرر أن الناس جميعا سواسية فى القيمة الانسانية المشتركة ، لا فضل لأحد منهم على الآخر الا بكفايته وعمله وخلقه ودينه .

قال أبو عمرو بن العلاء : (كن من الكريم على حذر اذا أهنته ، ومن اللئيم اذا أكرمته ، ومن العاقل اذا أخرجته ، ومن الأحمق اذا رحمته » .

دقة مع من يفسرون القرآن

فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكي عضو هيئة كبار العلماء

١ - بين البين والتخمين

١ - في عدد جمادى الأولى ١٣٨١ من مجلة منبر الاسلام قرر السيد الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد « أن المسلم عليه أن يؤمن بأن الله تعالى بث روح الحياة في الطين بعد أن سوى الطين سلالة ، ثم خرج منها آدم - عليه السلام - ولكن ليس لأحد أن يفرض عليه كيفية للتسوية ، أو النفخ أو الخلق ويلقى ما عداها » الخ . كما قرر الأستاذ الكبير أن أخبار الغيب بالنسبة لله تعالى معلومة الكلمات ، مجهولة الكيفيات ، فلا نبحت عن معانيها في القواميس اللغوية ، ولا نفسرها بمثل أعمالنا ، لئلا يكون ذلك تشبيها لأفعال الله بأفعالنا . وهذا تفسير فيه تخمين لكلام الله ، لأن الله تعالى نزه عن التشبيه في ذاته ، وصفاته وأفعاله . وهذا هو الحق الذي يطمئن اليه المؤمنون .»

٢ - ونحن فيما نستريح اليه من كلام الأستاذ الكبير نكون على مذهب السلف من أولى العلم . وإيضاح ذلك أن في القرآن آيات بينات ، وآخر متشابهات كما قال الله سبحانه : والمتشابه ما لا تستطيع الأفهام تحديد معناه ، بل الله وحده هو العالم بالمراد منه حقا . ومذهب السلف أن تؤمن بالمعاني المتشابهات دون تعرض لتحديداتها كما فهمت من تقرير الأستاذ العقاد .

٣ - ونجد المتشابه في مفردات وتراكيب الآيات ، وأمثلة ذلك :

((يد الله فوق أيديهم)) - ((و يبقى وجه ربك)) - « ولتصنع على عيني » - « واصطنعتك لنفسى » - ((ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي)) - ((بتثنية اليد)) - ((بل يده مبسوطتان ينفق كيف يشاء)) الخ . فالفاظ اليد ، والوجه ، والعين ، كلها من قبيل المتشابه ومعناها معلوم لله سبحانه ، مخالف لما عندنا .

وكما نجد متشابهها في فواتح السور : ألم - الر - طسم - حم - الخ . والسلف يؤمنون بكل ذلك أجلا دون تخمين ، ويساعدتهم على الاكتفاء بذلك أن الله - سبحانه - يمتدح المحتاطين في الفهم بقوله في شأن المتشابه ((وما يعلم تأويله إلا الله . والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا » . فالراسخون ليس معطوفا على ما قبله ، بل هو مبدأ كلام مستأنف . والحمد لله الذي لم يجعل المتشابه فيما يناط بنا بحثه ، لمعرفة حكم تكليفى ، فيمكن اعتباره للاعجاز وكفى . .

٤ - غير أن الخلف بعد السلف من العلماء - ولا أسميهم المتأخرين - يرون التماس معنى للمتشابه يكون مفهوما لنا ، ولأننا بجانب الله تعالى : فاليد هى القدرة ، والوجه هو الذات وهذا - ولا شك - من قبيل الاعجاز ، إذ لا يمكن - في اعتبارهم - بناؤه على حقيقته ، ويرون ذلك تأويلا ميسورا للراسخين في العلم ، يقرءون قوله عز شأنه ((وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم .)) فعطف الراسخين على لفظ الجلالة - عندهم - يؤذن بالتجاوز فيما يمكن تأويله من كل متشابه .

٥ - وماذا نصنع نحن في مذهبين لكل منهما وجاهته ووجهته ؟!!

تصادفنا تراكيب نتعثر فى فهمها ، ولا نستريح علميا لتركها على أجمالها :

منها قوله سبحانه لموسى عليه السلام : ((واصطنعتك لنفسى)) ، وقوله سبحانه فى تعنيف إبليس - عليه اللعنة - ((ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي)) - بتثنية اليد - ، وقوله فى تسخيف اليهود حينما ذكروا أن يد الله مغلولة ((غلت أيديهم ، ولعنوا بما قالوا ، بل يده مبسوطتان)) فاصطناع الله يدين لنفسه - سبحانه - وخلق آدم باليدين منه تعالى ، وبسط يديه بالعاء ، تراكيب ، وفيها مفردات تتعلق بالمولى عز وجل ، وحمل اليد على معنى القدرة كما تأول الخلف ، أو تركها على المعنى

الحقيقى المجهول كلاهما لا يستقيم ، ولايكفيهما فى الفهم — لاعلى مذهب السلف ، ولاعلى مذهب الخلف — فلا بد لنا من تفسير نستمد منه السياق ، ونقترب به من تأويل المتشابه ، وعندئذ تكون الضرورة خولت لنا صرف اللفظ عن معناه ، وهو ما أسلفنا فيه كلاما وافقنا عليه السيد الأستاذ العقاد فيما أرى ، ولا يكون تخميننا فى تفسير كلام الله ، فان للسياق دخلا كبيرا فى فهم المقصود .

٦ — هذا وقد زعم أناس أن مذهب السلف يقتضى تشبيه الله بعباده ، وحيث جعلوا ليده ، ووجهه ، وعينه معانى لها مدلولات فى ذاتها وان لم تكن من قبيل ما عندنا .

وزعم أناس أن مذهب الخلف يقتضى تعطيل الألفاظ عن مدلولات حقيقية ، حيث يعتمدون فيها على التجوز بالتأويل ، ولا يليق تعطيل لفظ فى جانب الله عن حقيقته !!

وتلك مناقشات جدلية ، ومغالاة مذهبية تعصبية ، ولسنا بحاجة الى نقاش كهذا اليوم ، وحسبنا أنهم جميعا قدوة لنا فيما نراه صوابا وملائما لجلال القرآن — ولا أطيل ..

ب - التفسير على وفق العلم الحديث

١ — من المظاهر الطبيعية أن ترى لبعض الأفاضل — من غير علماء الدين — محاولات كريمة فى تفسير الآيات الكونية فى القرآن الكريم .

فمن الحق على كل مسلم أن يتعمق النظر فى كتاب الله ، والاقتباس من هديه ، ومن حق كل باحث قادر أمين أن يقدم للقراء ما يهتدى اليه من فهم صحيح ولو كان جديدا — ان كان لديهم جديد — ونحن نعهد أن القرآن الكريم يواجهنا بالكثير من آياته الكونية فى شأن الانسان ، والسموات ، والأرض ونحو هذا من بدائع الله سبحانه فى دنيانا .

٢ — ولكنه تعرض اجمالى بقدر ما يثير اهتمامنا نحو المعرفة ، وبقدر ما يزيدنا ايمانا بقدرته ، واقتناعا بفضله على خلقه فيما خلق وأبدع وأودع فى الكائنات من منافع ونحوها لصالح الانسان .

ونعهد كذلك أن القرآن لم يقف بنا عند الاجمال فى هذه الآيات ، بل يستنهضنا كثيرا الى التدبر فى كل ما نشهده من سموات وما فيها ، وأرض وما عليها ، وفيما بين السماء والأرض من سحب ، ورياح ، وأمطار ، وطيور فى الهواء وغير ذلك كله .

وبقدر تدبرنا ومعرفتنا يزداد الايمان ، وتتأكد القيمة الانسانية فى أشخاصنا ، وازاء العظمة الالهية وتلك هى الغاية البادية من طلب النظر ، والتفكر والاطمئنان عن طريق الحس ، والعقل الى جانب الاطمئنان عن طريق النقل الصادق عن الانبياء .

فاذا اكتفينا بالمشاهدة الحسية ، ورغبنا عن الامعان والتفقه ، لم نكن نتجاوب مع القرآن فيما حتم علينا من بحث واستطلاع . واذا عرضت لنا آيات من هذا القبيل ، وأردنا بحثها ، واشباع الرغبة منها ، وبراء ذمتنا من التكليف بتدبرها ، وتفقه ما فيها ، وجدنا أنفسنا — على هامش الموقف — فى حاجة الى خبرة علمية بالمقررات الحديثة التى انتهت اليها تجارب العلماء الفنيين الاخصائيين بعلوم المادة وغيرها ، وعندئذ يظل الواحد منا محجوبا عن مضمون الآية ، مشوقا الى المزيد من أسرارها ومراميها . والجهالة مريرة على النفس ، فضلا عن عدم القيام بحق الدين فى طلب العلم كيفما كان نوعه .

واليك أمثلة مما يحتاج عالم الدين الى هضمها فهما ، ودراية ، ليطمئن وليستطيع اقناع طلابه ، وسائليه .

١ — يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث !!

٢ — ويسالونك عن المحيض — الحيض — قل هو اذى فاعتزلوا النساء فى المحيض .. !!

٣ — أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما ؟ .. ؟

٤ — تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا .

٥ — وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته ، حتى اذا أقلت سحابا ثقالا سقناه الخ

٦ — ألم تر أن الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما . فترى الودق يخرج من خلاله ..

فهذه آيات ولها نظائرها الكثيرة . نقرأ عنها في كتب التفسير ، فنجد بابها مفتوحا لفهم جديد . . . وبحث فني علمي ، فاذا سمعنا وجهة الطبيب في أذى المحيض ، وسمعنا وجهة علماء الطبيعة ، والكيمياء ، ونحوهما من أهل الذكر في كل جانب ، وضحت لنا معرفة قيمة ، واحطنا بأسرار كونية ذات شأن كبير .

وان لم يتح لنا هذا ، ضاعت علينا بهجة الآيات ، وحاق بنا نفاقها ، وأحسنا أننا في عزله عن مقررات علمية تتصل بحياتنا الواقعية اتصالا لا يستهان به وقد يتأثر نشاطنا الديني نفسه بانقطاعنا عن المجال العلمي الحديث في زمن تتوثب فيه الحضارة ، ويشع ضوء العلم في كل واد .

٣ - لا ندعى أن كتب التفسير تفنينا في هذا الصدد ، ولا ندعى أن كل ذي تخصص علمي قادر على الوفاء بهذه البغية ، ولكن بيننا رجالا ذوي كفاية وأمانة ، والعلم كله خيوط متصلة ، ولا حرج علينا أن نقتبس من جانب لجانب آخر . . . فالعلم رحمة بين أهله .

ويتضح من هذا الحديث أنني - على الأقل - لا أنكر على من يستعينون بالمقررات العلمية في فهم آيات من القرآن الكريم . . .

٤ - ولكنني قرأت لبعض المتضلعين في الثقافة المدنية والدينية ، انكارا شديدا - بل أشد الانكار - على من يحاولون تفسير القرآن بالعلم ، والوجهة في ذلك : أن القرآن ينتج إلى الناحية التشريعية بما فيها من أحكام وآداب ، وقصص ، وليس من مقاصده إثارة نحو البحوث العلمية . . .

ووجهة ثانية : هي أن نظريات العلم في طريقها إلى الأمام ، وهي عرضة للإيجاب والسلب يوما بعد يوم ، فاذا ربطنا بها آيات الله ، فقد عرضناها للذبذبة في مدلولها تبعاً لنظريات العلم :

فواجبنا في نظر حضراتهم أن لا نتكلف هذا التفسير الحديث ، حتى ولو كان صحيحا أحيانا ، فأنها صفة غير مأمونة الدوام !

وأنا بقدر ما أستطيع - أؤيد هذه الفيرة على القرآن وتفسيره - غير أنني أريد أن يكون العلم مساعدا على فهم الآيات لا أن تكون الآيات

ساعية إلى افهام الباحثين !! على معنى أن العالم الباحث يخضع مقررات العلم لنص الآية ، ويدخلها في مفهومها إذا استطاع . فان كان حقا ثابتا كان مبتغانا الذي نشتهي ، وان لم يكن حقا فعليه معابة الخطأ . . . والآية بجلالها وقداستها لا يشوبها خطأ الفهم ، كما لم يشبها خطأ نحن في تفاسيرنا الكثيرة .

أعني أننا نطوع العلم للقرآن ، ونتقرب بمقدراته الصحيحة إلى فهم الآيات في دقة وجلاء ، وإلى هذا يتضح كثيرا أننا لا نفتح الباب على مصراعيه لكل حدس ، وتخمين على حساب العلم لكل زاعم ! وإنما نعتمد الحق الذي لا ينكره العقل ، ولا يخافيه الدين والتدين ، ولا تشوبه ريبسة التحكم ، وتطويع الآيات للنظريات الفضة ، والأفكار الوليدة ، كما يخشى السادة الفيورون (مشكورين) .

ولقد قرأنا تفسيراً علمياً لغير واحد من رجالنا ، فكان التهافت والتكلف أبرز ما لديهم فيما حاولوا ، وقرأت كثيرا مما نشرته مجلة منبر الاسلام للاستاذ عبد الرزاق نوفل ، فبدأ لي - وفي حدود ما فهمت - أنه يسير على منهج رشيد إذ هو لا يعتمد على اقتياد الآية ، وتطويعها لما يقول به العلم على علته !! بل هو يعتمد إلى المقررات العلمية التي لم تعد في مرحلة الاختبار ، بل تكون مستوية معقولة مسلما بها ، ثم ينبه إلى أن العلم مسبق - فيما قرره - بآيات القرآن . . .

وينبه إلى أن القرآن يدخر في مفاهيمه ما جاء به العلم - حديثا - من أفهام جديدة صحيحة ، وهذه وجهة حميدة ، فان تكن في واقع الأمر حقا فهو مجتهد مصيب ، وله أجران ، وان تكن غير ذلك - على فرض - فهو مجتهد مخطئ وله أجر واحد . . . وحينما يكون صادقا في تطبيقه للعلم على مدلول الآية ، يكون مقيدا لنا وخادما للآية . . . وحينما يكون غير متحد في توفيقه بين العلم والقرآن فتظل الآية على جلالها . . . لا يمسها وهن .

وعلى الذين ينكرون كلامه أن يتسداركوا بالتصميم الحق أن استطاعوا . . . أما آيات التشريع والأحكام ففي صيانة عن تطرق الحديث إليها في هذا المقام الخاص .

كَلِمَةُ صَرِيحَةٍ هَادِئَةٍ

فِي مَا يُشَارَحُ حَوْلَ الْأَدْيَانِ

- إِنَّهُ أَتَمُّ عَالِمٍ هُوَ الصَّادِرُ
عَنِ اللَّهِ الْعَلِيمِ بِمَنْ خَلَقَ
- الْأُمَّةَ هَدَا وَحَدَّيْجِبُ أَنْ يَعْمَلَ
بِضَعِ الْقَانُونِ فِي الضُّعُفِ الْفَاسِدِ
- قَطَعَ يَدَ السَّارِقِ دَوَّارَ نَاجِعٍ
وَدَرَسَ نَافِعٍ .
- عَالِمُ السَّارِقِ نَفْسَانِيًّا
فَكْرَةٌ خَيَالِيَّةٌ لَمْ يَتَّبِعْ نَجَاحَهَا ..
- وَلَوْ رَدُّوا لَعَادُوا لَمَا نَهَوْا عَنْهُ

فضيلة الشيخ
عبد الجليل عيسى

بيناً في العدد السابق (رجب) تعريف السرقة التي توجب حد القطع . كما أوضحنا أنها محصورة في دائرة ضيقة . واليوم نبدأ في رد الشبه التي أوردتها صاحبنا على تنفيذ هذا الحد في زماننا الذي نعيش فيه . وليكون القارئ على ذكر من هذه الشبه نلخصها فيما يلي :

الأولى - أن الأمم المتحضرة الآن تعمل على وقاية الانسان مما يشوّهه . فكيف نقدم نحن مختارين على تشويهه بقطع يده .

والثانية - أن قطع اليد سيزيد من عدد المتعطلين في الوقت الذي تجاهد فيه الأمة للتقليل من عددهم .

والثالثة - أن من قطعت يده ستضططر الدولة للانفاق عليه مع يأسها من قدرته على عمل ما في المستقبل .

والرابعة - أننا في عصر أرهقت أحاسيس أهله حتى أصبحت ترى أن من القسوة قطع يد شخص لمجرد أنه سرق أشياء قد يكون الدافع له طيشاً طارئاً مثلاً .

والخامسة - هل يصح التمسك بتنفيذ هذا الحكم في الوقت الذي تكون فيه الأمم المتحضرة اللجان من علماء النفس والأخلاق وغيرهم للبحث عن علاج للمجرمين بواسطة الإصلاح والتهديب حتى لا تحتاج الى هذه العملية القاسية ؟ .

هذه خلاصة الشبه التي ساقها صاحبنا على حكم الشريعة في قطع يد السارق . وبعد ما بينت في المقال السابق أن الصور التي توجب هذا الحد قليلة جداً بالنسبة لبقية الجرائم قلت له : اسمع رد شبهك هذه واحدة بعد الأخرى .

أما عن الشبهة الأولى وهي الاقدام على تشويه انسان . فأقول : انك نظرت الى هذا الحد من زاوية خيلتها في نظرك تشويهاً .

لكنك لو نظرت الى المسألة من زاوية أخبرى لوجدتها علاجاً . واصلاحاً . ألا ترى الرجل الذي أصيب في يده مثلاً بمرض السرطان . وقرر الأطباء الاخصائيون أنه لا ينجيّه من الهلاك المحقق الا قطع هذا العضو الكامن فيه المرض . فهل يغد هذا المريض عاقلاً اذا امتنع عن هذه العملية الجراحية تحت تأثير أن فيها تشويهاً له . وأنه يفضل أن يموت كامل الأعضاء على أن يعيش ناقص يد مثلاً ؟ أم العقل والحزم يقتضيان أن يسارع الى الطبيب الجراح ويقدم نفسه مختاراً يعمل فيه مبضعه بما ينقذ حياته من الخطر . وبما أن مجتمع الأمة كالجسم الواحد . فالعضو الفاسد فيه يجب أن يعمل فيه مبضع القانون . وكم يسر المجتمع أن يتخلص من أمراضه حتى لا يعيش منعصاً . كما يسر الشخص المريض بنجاح العملية الجراحية التي بتر فيها جزءاً من جسمه .

أما عن الشبهة الثانية ، وهي أن هذا الحد سيزيد عدد المتعطلين . فالرد عليها أن السارق الذي تقطع يده لم يكن في عداد المنتجين بل هو معول اتلاف . ومثار ترويع للمنتجين . . . واقلاق للعاملين . . . فالضرر اللاحق للمجتمع من تغطله أقل بكثير من الضرر الحاصل ببقائه سليماً معافى . يعيث في الأرض فساداً . ومن المقرر شرعاً أنه اذا كان لا بد من ارتكاب أحد أمرين أحدهما أشدّ ضرراً من الآخر ، فإنه يجب أن يرتكب أقلهما ضرراً .

أما الشبهة الثالثة ، وهي أن الدولة ستضططر للانفاق على هذا الذي تقطع يده مع أنه لا يقوم للمجوع بعمل ما .

فألرد عليها أن ما تنفقه الدولة عليه لا يضيع سدى . بل سيعود عليها بأعظم فائدة . كأنفاقها على الوعظ وإرشاد الناس الى البعد عن مكان الخطر . وكالمال الذى تنفقه الدولة فى سبيل الاعلان والدعاية لشيء يفيد الأمة ، ويوجه أبناءها لما فيه مصلحتهم ماديا واجتماعيا . وما قطع يد السارق . واعلانه بين الناس . ومشاهدتهم للسارق مقطوع اليد الا نوع من الدعاية للأمانة . والتنفيذ من السرقة . وايداء الناس فى أموالهم . ثم هو بعد ذلك أروع رادع . وأقوى زاجر . لمن تحدثه نفسه بالانحراف عن سبيل الاستقامة . ولا ريب أن ما لا ينفق لتحقيق هذه الأغراض لا يعد كثيرا مهما تصورت ضخامته .

على أنه إذا نفذ هذا الحد فإنه لا ينقض كثير زمن حتى يختفى وجه السرقة القبيح عن الأنظار . وعند ذلك لا تقطع يد . ولا يصرف درهم فى غير ما فائدة .

ولا شك أنه إذا اطمأنت النفوس فإن الانتاج سينمو ويتكاثر والثروة ستزداد . ويتوفر للدولة الكثير من الأموال التى تنفق على جهاز الأمن والمرصودة لمطاردة هذا النوع من الجرائم .



أما الشبهة الرابعة . وهو ادعاء أن فى هذا الحد قسوة على الإنسان الخ . فالرد عليه فضلا عما فى الرد على الشبهة الأولى ، فانا نقول : فى أى عرف رشيد يعد من القسوة معاقبة الظالم الباغى ؟ وهل فى عرف العقلاء أن يعد من الرحمة الرفق بوحش شرير يعدو على الآمنين من الشيوخ والنساء والأطفال . . فيروعونهم . . ويسطو على أموال الناس . . بل وعلى أرواحهم إذا وقفت فى طريقه ؟ وهل من القسوة قطع يد لانتفاذ مئآت من بطشها ؟

وهل من الرحمة أن نرفق بيد تسلب الناس قوام حياتهم . بل كثيرا ما سلبت مصدر قوتهم الضرورى . وتركهم حيارى فى لجج من القسوة . والآلام . والذل . ومد الأيدي لالتقاط فتات من أيدي الناس . لا يسمن ولا يغنى من جوع ؟



أما الشبهة الخامسة وهى امكان علاج اللصوص بالتهذيب ، فالرد عليها أن هذه فكرة نظرية هى الى الخيال أقرب منها الى الحقيقة ، وشاهد ذلك هذه السجون التى يرتفع فيها صوت الوعاظ والمرشدين والعلمين فهل استأصلت تلك الجنود جريمة السرقة . وأراحت الناس منها ؟ كلا . . ودليلنا على ذلك ما قرره رجل من كبار رجال القانون الذين أمضوا زمنا غير يسير فى محاكمة هؤلاء اللصوص فاستمع اليه وهو يقول : « ان صحف السوابق تشهد بأنه يندر أن نجد فيها من ليس له عدد عديد من السوابق » . ومعنى ذلك أنه كلما أطلق سراحه عاد لما كان عليه ، فلم ينفعه وعظ . ولا إرشاد وصدق الله العظيم القائل فى أمثالهم « ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه » ولما كان النبى - صلى الله عليه وسلم - يعلم طبيعة النفس البشرية وأنه لا يصلح لعلاج أمراضها الا الدواء الذى وصفه العليم الخبير بطبائع خلقه ، قال - صلى الله عليه وسلم - فى هذا المجال كلمته الحاسمة « والذى نفسى بيده لو سرق فاطمة بنت محمد لقطعت يدها » . وما هى ذى صحافتنا مليئة كل يوم بما يؤيد ذلك . فقد جاء فى بعضها أن ثلاثة من اللصوص الخطيرين حاولوا نقب جدار حانوت بائع بجوار قسم الوايل بالعباسية فى الساعة الثانية بعد منتصف الليل . وكادوا يقتلون بواب العمارة التى فيها الحانوت . ولولا يقظة رجال الشرطة والقبض عليهم لتمت جريمتا القتل والسرقة ، وتبين بعد القبض عليهم

انه لم يمض على اطلاق سراحهم من معتقل الطور سوى بضعة ايام . . . والاعجب من ذلك ما نشرته جريدة الاخبار يوم ١٣-١١-١٩٦١ تحت عنوان « مسجون ينشل متفرجا في قاعة الجلسة » قالت : اغرب حادث نشل وقع في قاعة الجلسة بمحكمة عابدين . . . ذلك ان المسجون احمد يوسف حسين . وهو داخل قفص الاتهام . وكان يجلس بجوار القفص التاجر « رمضان على » مد يده الى محفظة التاجر والتقطها ، وتمكن الحراس من ضبطه ، وفي جريدة الاهرام يوم ٢-١١-١٩٦١ تحت عنوان « ينشلون حافظة نقود والقيود الحديدية في ايديهم » كانوا بالمترو تحت الحراسة ، ونشل احدهم حافظة وكيل شركة طيران كان يجلس قريبا منهم ، وكان مقبوضا عليهم في حادث نشل سابقة وكانوا في طريقهم للمحكمة .

وفي اهرام ٩-١١-١٩٦١ الذي يقول : « رجال الشرطة تقبض على لص تعود سرقة نزلاء الفنادق » وله اربعون حادث سرقة . . . وعثر في منزله على ثلاثين حقيبة مليئة بالمسروقات . وقد اعترف في التحقيق بأنه ارتكب آخر سرقة بعد خروجه من السجن في حادث سرقة .

ولهؤلاء اللصوص من الحيل والخديعة ما حير رجال الأمن ، من ذلك ما جاء في اخبار

يوم ٢٦-٩-١٩٦١ تحت عنوان « القبض على لص يتنكر في زي رجل دين » وتبين ان له ٦٠ حادث سرقة . وجاء في اهرام يوم ١١-٩-١٩٦١ تحت عنوان « ٢٥ شابا يؤلفون عصابة نشل بالجيزة » ، وقد تبين ان لاكثر افراد العصابة عدة سوابق ، وان لهم صوراً في مكاتب المباحث الخ . . . نقول فهل أغنت هذه الصور من الأمر شيئاً ، اذا كان صاحبها لا يكاد يخرج من السجن حتى يسارع الى هوايته المطبوع عليها . وبعد كل هذا لا تكفى كل هذه العبر في أن تكون حافزا لعلاج هذا الوباء بالدواء الذي وصفه العليم بدقائق احوال خلقه وما يصلح لشفائهم من امراضهم ، بعد أن فشلت كل هذه المحاولات المجلوبة من الخارج ؟ وقبل أن نغادر هذا الموضوع نضع أمام اولى الأمر منا ضرباً من العلاجات تفسح لهم مجال التصرف بما يحقق النظام ويريح النفوس . ويحفظ الدماء والأموال ، وتلك ما تضمنته آية ٣٣ من سورة المائدة ، وهي : « انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف ، او ينفوا من الأرض ، ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم » .

صدق الله العظيم وبه سبحانه التوفيق الى اقوم سبيل





إبن رشد الحفيد وكتابه «بداية المجتهد»

بأنه «الشارح» كما عرف أيضا بأنه فيلسوف الأندلس وقرطبة الزهراء!

وفى الحق ، لقد نبغ ابن رشد فى هذه النواحي كلها ، فكان فى عصره كبير القضاة وكبير الأطباء وكبير الفلاسفة ، وعرف له الغربيون فضله وبخاصة من الناحية الفلسفية فأقبلوا على كتبه ينقلونها الى لغاتهم ، ويتدارسونها ، بل ويدرسون بعضها فى جامعاتهم .

ونحن فى هذه الكلمة نتناوله من الناحية الفقهية بخاصة ، ونعرف بكتابه القيم «بداية المجتهد ونهاية المقتصد» وذلك بعد أن نترجم له ترجمة موجزة كما تعودنا فى هذا المجال .

يجار الباحث عندما يريد الكتابة عن ابن رشد الحفيد ، هل يتناوله من جانب الفقه والقضاء ؟ فقد نبغ فى هذه الناحية حتى صار كبير الفقهاء والقضاة فى زمنه بالمغرب والأندلس ، أو من جانب الطب الذى برز فيه وفاق حتى كتب فيه كتاب «الكليات» الذى يعرفه أساطين هذا العلم ؟!

أو جانب الفلسفة التى أنفق من وقته وجهده الكبير ليوفق بينها وبين الشريعة الإسلامية ، كما عمل على شرح فلسفة المعلم الأول أرسطوطاليس حتى عرف بين الفلاسفة

أولاً: الكاتب والمؤلف العظيم

١ - مولده وأسرته :

ولد هذا الفقيه والفيلسوف الكبير سنة ٥٢٠ هـ بمدينة قرطبة عاصمة الأندلس في عصره ، ولذلك اشتهر بأنه فيلسوف قرطبة اذ كانت هذه المدينة موطن أسرته ومنبته ، ومفداه ومراحه ، وكانت من أعظم مدائن الأندلس وفيها يقول أحد شعراء هذا الفردوس المفقود :

باربع فاقت الأمصار قرطبة

منهن قنطرة الوادي وجامعها

هاتان ثنتان ، والزهراء ثالثة

والعلم أعظم شيء وهو رابعها

ومن الحق أن قرطبة كانت في ذلك الحين سوق العلم ومركز طلابه ورجاله ، وقد يبين لنا هذا ما رواه المقرئ اذ يقول : جرت مناظرة في مجلس ملك المغرب المنصور يعقوب بين الفقيه أبي الوليد بن رشد وبين الرئيس أبي بكر بن زهر ، فقال ابن رشد لابن زهر في تفضيل قرطبة :

ما أدري ما تقول ، غير أنه اذا مات عالم بأشبيلية فأريد بيع كتبه حملت الى قرطبة حتى تباع فيها واذا مات مطرب بقرطبة فأريد بيع آلاته حملت الى اشبيلية . ثم يختم من روى هذه المناظرة الطريفة بكلامه بقوله : « وقرطبة أكثر بلاد الله كتباً »

وكان ابن رشد سليل أسرة ظلت زمناً طويلاً صاحبة مركز عال ملحوظ في العلم والفقه والقضاء ، فكان جده أبو الوليد أحمد ابن محمد بن رشد قاضي القضاة بالأندلس ، وأمير الصلاة بالمسجد الجامع بقرطبة ، وكان عالماً مقدماً في الفقه على جميع أهل عصره ، ولذلك كان الناس يلجئون اليه ، ويعولون في مهماتهم عليه ، كما يقول ابن بشكوال .

وكان أبوه له ما يقارب هذا المركز المرموق في الفقه والقضاء على ما يذكر الرواة ، ومن الأقوال المأثورة التي تظهرنا على شرفه ومنزلته ، أنه بحسبه شرفاً أن يكون ابن ابن رشد الجد وأبا ابن رشد الحفيد .

٢ - دراساته ومؤلفاته :

شاء الله العليم الحكيم أن ينحدر ابن رشد الحفيد الفيلسوف من هذا البيت ذي المركز العالي - كما عرفنا - في العلم والفقه والقضاء ، وذو المنزلة الرفيعة لدى الأمراء ، فكان كما عرفه التاريخ فرداً في العلوم الإسلامية على اختلافها وتعددتها ، كبيراً في علوم الأوائل وفلسفتهم .

نشأ وهو فتى في هذه البيئة العلمية ، وبعد أن حفظ القرآن الكريم درس على الشيوخ وعلماء زمنه الفقه وأصوله ، وعلم الكلام والجدل والخلافات والأدب شعره ونثره ، واستظهر في الفقه بخاصة موطاً الامام مالك ، وكان في اللغة والأدب يحفظ ما اثر من شعر أبي تمام والمتنبي ، حتى كان يتمثل بذلك في مجلسه ويورد ما يريد التمثل به أحسن ايراد كما حكى عنه أبو القاسم بن الطليسان .

وبعد أن حذاق ذلك كله وما اليه ، سمت به همته الى دراسة الرياضيات والطبيعات وغيرها من العلوم الفلسفية التي برع فيها اليونان .

ولم يغفل دراسة الطب قبل توغله في دراسة الفلسفة ، بل درسها وأخذها عن أشهر رجالها ، حتى صار يرجع الى رأيه في هذه الصناعة الشريفة كما يرجع الى رأيه في الفقه ، على ما يرويه ابن أصيبعة وكما يشتهر كتاب « الكليات » في هذا العلم .

وهكذا درس أبو الوليد ابن رشد الحفيد العلم من معينه ، وأخذ عن أعلامه ، وعنى به منذ حداثته ، واستمر دائماً على هذه العناية حتى ليروى ابن الأبار في كتابه « التكملة » (أنه لم يدع النظر ولا القراءة منذ عقل الا ليلة وفاة أبيه ليلة بنائه على أهله ، وأنه سود فيما صنف وقيد وألف وهذب نحواً من عشرة آلاف ورقة) !

ولعمر الحق أن هذا فضل الله يؤتيه من يشاء ، وهو - سبحانه وتعالى - يمنح بحكمته ما يشاء من أفضال وهبات ، وقد كان فقيهننا العظيم وفيلسوفنا الكبير اهلاً لما

آتاه الله من فضله، فقد كان ذا استعداد طيب كبير ، وطبع موات أصيل ، ودين وخلق كريم نبيل .

وبحسبنا أن نشير الى أن الدين ترجموا له، من العلماء المعاصرين له أو الدين تأخر بهم الزمن عنه ، يكادون يجمعون على أنه لم ينشأ بالأندلس مثله : كمالات ، وعلماء ، وفضلاء .

كما نشير الى بعض ما قاله ابن الأبار عنه ، مثل « أنه كان أشد الناس تواضعا وأخفضهم جناحا » وأنه « تأملت له عند الملوك وجاهة عظيمة فلم يصرفها في ترفيع حال ولا جمع مال ، وإنما قصرها على مصالح أهل بلده بخاصة ومنافع أهل الأندلس بعامة » .

ذلك بعض الجوانب من حياته ودراساته وخلقه ، أما عن مؤلفاته فيكفى أن تتركز

بإيجاز أنه ترك لنا كتباً ورسائل كثيرة في الفقه والنحو والطب ، والفلك وعلم النجوم ، والالهيات وسائر فروع الفلسفة بصفة عامة ، وغير ذلك من العلوم التي كانت معروفة في عصره . وكثير من هذه المؤلفات لا تزال حتى اليوم باللغة العبرية التي نقلت إليها بعد وفاته أو اللغة اللاتينية ، وكثير منها أيضا يعرفه علماء الغرب أكثر منا !

ولعل الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية أو المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، تعنى بجمع تراث هذا المفكر الاسلامي الكبير من مؤلفاته العديدة المختلفة ، وهي معروفة لنا ولسائر الباحثين ، وحينئذ تكون قد أدينا بعض ما يجب علينا لأحد أعلام العروبة والاسلام .

ثانياً : الكتاب القيم الكبير

الأفراد والجماعة كلها ، وهذا مانجده واضحا تماما في خاتمة هذا الكتاب

فقد ذكر في هذا الموضع أن من أوامر الدين وأحكامه ما يرجع الى تربية الفضائل النفسية ، ومنها ما لغرض منه تثبيت العدالة الخاصة والعدالة العامة في الأقوال والأعمال ، ومنها ما هو سنن واردة في الاجتماع الذي هو شرط في حياة الانسان وحفظ فضائله العملية والعلمية .

وهكذا نلمح هذه النظرات الفقهية النبيلة ، والاجتماعية والفلسفية ، في كثير من آرائه التي عرف بها في الفقه ، وذلك في مواضع كثيرة من هذا الكتاب .

٢ - نماذج من الكتاب :

هنا نجد مجال القول ذا سعة ، ولكن المكان ضيق ، ولهذا نكتفي بالقليل من النماذج التي تفصح عن منهج الكتاب والروح السارية فيه ، كما تبين الغاية التي قصدها المؤلف من كتابته .

١ - من المعروف أن الزكاة واجبة شرعا فيما تخرجه الأرض من زروع ، ولكن هل تجب هذه الزكاة في الأرض المستأجرة على المالك أو على

يقول الامام ابن فرحون وهو يتكلم عن ابن رشد الحفيد ومؤلفاته : وله تأليف جليلة الفائدة ، منها كتاب « بداية المجتهد ونهاية المقتصد » في الفقه ذكر فيه أسباب الخلاف وعلل وجهه فأفاد وأمتع ، ولا يعلم في وقته أنفع منه ولا أحسن سياقاً

١ - منهج المؤلف :

إذا أراد الباحث تحليل هذا الكتاب ، وفهم الروح الذي يسرى فيه جميعه ، يتبين من دراسته أمرين ثانيهما يعتبر نتيجة للأول ، وهما :

١ - أن النظر العقلي والقياس في الفقه ، في حدود أصوله المعروفة ، كان أغلب عليه من الاعتماد على كل مايقع له من الأحاديث وأقوال الفقهاء السابقين . وهذا مايجعلنا نقرر أن نزعتة الى النظر العقلي والتفلسف بدت أول ما بدت في الفقه ، كما يجعلنا نرى مصداق ما أجمع عليه الذين أرخوا له من أن « الدراية كانت أغلب عليه من الرواية » .

ب - أن الدين - كما يقول بحق - يقصد بما جاء به من شعائر وعبادات ، وأوامر ونواه ، الى غابات خلقية واجتماعية ، بها سعادة

المستأجر ؟ هنا يختلف الفقهاء ، وهنسا يقول
الفقيه ابن رشد وهو يتكلم فى باب
الزكاة :

ان قوما قالوا : الزكاة على صاحب الزرع،
وبه قال مالك والشافعى والثورى وابن
المبارك وأبو ثور وجماعة ، وقال أبو حنيفة
وأصحابه : الزكاة على رب الأرض وليس على
المستأجر منها شيء . والسبب فى اختلافهم
هل العشر حق الأرض أو حق الزرع ، أو حق
مجموعهما ؟ الا أنه لم يقل أحد أنه حق
مجموعهما وهو فى الحقيقة حق مجموعهما .
فلما كان عندهم أنه حق لأحد الأمرين ،
اختلفوا فى أيهما هو أولى . فذهب الجمهور
الى أنه الشيء الذى تجب فيه الزكاة وهو
الحب (الذى نتج من الأرض وحينئذ تكون
الزكاة على المستأجر) ، وذهب أبو حنيفة الى
أنه الشيء الذى هو أصل الوجوب وهو الأرض
(وحينئذ تكون الزكاة على المالك)

ب - الوفاء بالنذر واجب على تفصيل فى
فى كتب الفقه ، ولكن ما حكم من نذر على
نفسه تحريم شيء مباح له ؟ هنا يقول ابن
رشد :

واختلفوا فيما حرم على نفسه شيئا من
المباحات، فقال مالك : لا يلزم (أى الوفاء به)
وقال أهل الظاهر ليس فى ذلك شيء ، وقال
أبو حنيفة : فى ذلك كفارة يمين . وسبب
اختلافهم معارضة مفهوم النظر لظاهر قوله
تعالى : «(يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك
تبتغى مرضاة أزواجك)» .

وذلك أن النذر ليس هو اعتقاد خلاف الحكم
الشرعى ، أعنى تحريم محلل أو تحليل محرم ،
وذلك أن التصرف فى هذا إنما هو للشارع ،
فوجب أن يكون لمكان هذا المفهوم أن من حرم
على نفسه شيئا أباحه الله له بالشرع أنه
لا يلزمه ، كما لا يلزم أن نذر تحليل شيء جرمه
الشرع الى آخر ما قال

ج - الصانع كالمودع ، يده يد أمانة ، فلا
يضمن ما هلك عنده للناس الا اذا ثبت تعديده ،
ولكن ورد أن سيدنا على بن أبى طالب حكم
بضمان الصانع وقال : لا يصلح الناس الاذاك
وعلى هذا اختلف الفقهاء ، وفى ذلك يقول
ابن رشد :

وأما الذين اختلفوا فى ضمانهم من غير
تعد الا من جهة المصلحة فهم الصانع . . فقال
مالك وابن أبى ليلى وأبو يوسف : يضمنون ما
هلك عندهم . وقال أبو حنيفة : لا يضمن من
عمل بغير أجر ولا (الأجير) الخاص ويضمن
(الأجير) المشترك ، وللشافعى قولان فى
الأجير المشترك . .

وتحصيل مذهب مالك على هذا ، أن الصانع
المشترك يضمن ، سواء عمل بأجر أو بغير أجر
وبتضمنين الصانع قال على وعمر ، وان كان قد
اختلف عن على فى ذلك ، وعمدة من لم ير الضمان
عليهم أنه شبه الصانع بالمودع عنده والشريك
والوكيل وأجير الفنم ، ومن ضمنه فلا دليل له
الا النظر الى المصلحة وسد الذريعة، أى باب
الوسيلة الى التعدى أو التقصير أو الخيانة
فيما جعل أمانة لديه .

وبعد : هذه نماذج ترينا كيف كان المؤلف
دقيقا فى ايجاز، وكيف كان صنيعة فى هذا
الكتاب عملا عظيما من أعمال الفقه المقارن
وكيف يعتبر الكتاب نفسه بداية طيبة لمن يريد
الأخذ بأسباب الاجتهاد ، مع كفايته لمن لا يقدر
على الاجتهاد .

وكل هذا بعض ما قصده الامام ابن رشد من
كتابه العظيم ، فقد افتتحه بعد حمد الله
والصلاة على رسوله بقوله : فان غرضى فى هذا
الكتاب أن أثبت فيه لنفسى على جهة التذكرة
من مسائل الأحكام المتفق عليها والمختلف
فيها بأدلتها ، والتنبيه على نكت الخلاف فيها
ما يجرى مجرى الأصول والقواعد ، لما عسى أن
ترد على المجتهد من المسائل المسكوت عنها فى
الشرع . .

وهى المسائل التى وقع الاتفاق عليها ، أو
اشتهر الخلاف فيها ، بين الفقهاء الاسلاميين
من الصحابة - رضى الله عنهم - الى أن فشا
التقليد ، الى آخر ما قال - رحمه الله تعالى -
وكل ما نرجوه من هذه الكلمة أن يقبل طلاب
الفقه ورجاله على دراسة هذا الكتاب دراسة
علمية جدية ، وأن يفيدوا منه ومن الجهود التى
بذله المؤلف فيه ، هذا الفيلسوف والفقيه
العظيم الذى ذهب الى لقاء ربه سنة ٥٩٥ هـ
بعد أن أدى رسالته فى الفقه والطب والعلوم
الفلسفية . . رضى الله عنه وأرضاه .

التربية الإسلامية

فضيلة الشيخ السيد سابق

مدير الثقافة الدينية بوزارة الأوقاف

ما من سبب من الأسباب التي تبعث
على غلو الرمة والإلحاد والقناعة
ومجانبة الرب واحتمال الأذى
من أجهل الحق والصبر على تبعاته
إلا وله في تعاليم الإسلام مجال
رحب وميدان فيج .

((اذا ساءت سيئتك ، وسرتك حسنتك

فانت مؤمن)) .

وهي مظهر رضا الله و ارادته الخير بالانسان
يقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - :

((اذا اراد الله بالعبد خيرا جعل له واعظا

من نفسه)) . .

والطبيعة الخيرة من شأنها أن تتجه هذا
الاتجاه الخير ، وتسعى اليه ، وتحرص عليه ،
ويسوءها أن تنحرف عنه . .

يقول الرسول - صلوات الله وسلامه
عليه - :

((البر ما اطمأن اليه القلب . واطمأنت اليه
النفس . والاثم ما حاك في النفس ، وتردد في
الصدر ، وكرهت أن يطلع عليه الناس)) . .

المنهج

والتربية الدينية تكتسب بالتعليم والمران
منذ الحداثة ، وبممارسة الفضائل النفسية ،

الوسيلة

ان أمثل الوسائل في تقويم الأخلاق ، وتهذيب
السلوك هو الأخذ بالتربية الدينية ، لأن الدين
بما له من تأثير على النفوس ، وسلطان على
القلوب ، هو الذي يوظف حواس الخير ، ويوجه
الى المكارم ، ويبعث على الفضائل ، ويحيى
الضمير . .

والضمير - كما يقول علماء الأخلاق - هو
الشعور النفسى الذى يقف من المراء موقف
الرقيب ، يحث على أداء الواجب ، وينهى عن
التقصير ، ويحاسب بعد أداء العمل ، مستريحا
للإحسان ، مستنكرا للإساءة ، وهذه اليقظة
الروحية هي حقيقة الايمان وجوهره .

علامات الإيمان

وقد سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
عن علامة الايمان فقال :

وأداء الواجبات الدينية سواء كانت شخصية أم اجتماعية ، ومن ثم يقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - :

« مروا أولادكم بالصلاة لسبع ، واضربوهم عليها لعشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع » .

ويقول صلوات الله وسلامه عليه :

« الزموا أولادكم .. وأحسنوا أدبهم »

ويقول عليه الصلاة والسلام :

« انما العلم بالتعلم . والحلم بالتحلم »

أى انما يكتسب العلم والحلم بالدربة وأخذ الأسباب اليهما ، والعبادة من أعظم الوسائل لأحياء الضمير لأنها تجدد الايمان بالله ، وتعصم من الانزلاق الخلقى ، وتحفظ من اتباع الشهوات ، وتباعد بين الانسان ونفسه الأمارة بالسوء ، وتبعث فيه الرغبة فى التسامى ، والشوق الى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ... هذا من جانب ..

والاسلام - من جانب آخر - يمدح الفضائل ، ويعد عليها بحسن الجزاء .. كما يذم الرذائل ويتهدد مقترفيها بشر العواقب .. ثم الاسلام بعد ذلك يتخذ جميع الذرائع لفرس العدل والانصاف وايحاء فضيلة الايثار ، وانكار الذات ، ويحبب الى النفس المعاونة والمؤازرة والمحبة والرحمة والكرم والاحسان ، ويروضها على الصدق والاخلاص والأمانة والوفاء ، وما من سبب من الأسباب التى تبعث على علو الهمة ، والاباء والقناعة ، ومجانبة الريب ، واحتمال الأذى من أجل الحق ، والصبر على تبعاته الا وله فى تعاليم الاسلام مجال رحب ، وميدان فسيح .

إيقاظ وإصلاح

والنفوس الانسانية ليست كلها مستعدة لأن تنهض بأعباء الفضائل ، وتسير وفق قانون الأخلاق ..

فمن القلوب جداول وجملامد

ومن النفوس حرائر واماء

والاسلام يضع العلاج الناجع ، والخطوة المثلى ، ليرعوى الجاهل عن جهله ، ويرجع الشارد عن شروده ، فهو يوجب على كل مسلم أن يطارد الرذيلة ، ويقوم الاعوجاج ، ويغير المنكر ، وينصب من نفسه رقيباً على كل شذوذ يتنافى مع العرف الصالح ، والأدب الرفيع .

يقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - :
« من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان . »

رقابة المؤمنين

وهذه الرقابة تكون رأياً عاماً تكون له الهيمنة على المثل العليا ، والقيم الفاضلة ، والرأى العام سياج منيع ، وقوة لها وزنها فى الحفاظ على العادات الحسنة ، والتقاليد الصالحة .

يقول الله سبحانه :

« والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرهم الله » .

حكمة العقوبة

وفى الوقت الذى يفرض فيه الاسلام الرقابة العامة على السلوك لا يففل جانب القوة المادية ، واستعمال العنف ، والأخذ بالحسم ، والضرب على أيدي العابثين بالقانون ، والخارجين على النظام ، فان من الناس من لا ينفع فيستهم الا الشدة والقسوة .

فقسا ليزدجروا ومن يك حازماً

فليقس احساناً على من يرحم

ومن ثم فهو يقرر لكل جريمة عقوبة ليستوفى المجرم جزاءه من ناحية .. ويرتدع أمثاله من ناحية أخرى ، يقول الله تعالى :

« وجزاء سيئة سيئة مثلها . فمن عفا وأصلح فأجره على الله » ..

للمى جريمة القتل يوجب القصاص :

« ولكم فى القصاص حياة »

وفى الاعتداء على العرض بالزنا أو القذف
يوجب الجلد :

« الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما
مائة جلدة ، ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله
ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد
عذابهما طائفة من المؤمنين »

« والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا
بأربعة شهداء ، فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا
تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون .
الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله
غفور رحيم »

وفى جريمة السرقة يقول سبحانه :

« السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما
جزاء بما كسبا نكالا من الله ، والله عزيز
حكيم . »

وفى الحراة أو السرقة الكبرى يقول جل
وعلا :

« انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله
ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا
أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا
من الأرض ، ذلك لهم خزى فى الدنيا ، ولهم
فى الآخرة عذاب عظيم . الا الذين تابوا من
قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور
رحيم » . .

وفى غير هذه الجرائم يضع الاسلام الأصل
العام الذى يرجع اليه الحاكم فى تقدير العقوبة
وهذا الأصل هو المنصوص عليه فى قوله
تعالى : « وجزاء سيئة سيئة مثلها »

وهذه العقوبة هى التى يعبر عنها فى الفقه
الاسلامى : بالتعزير . .

وفى الوقت الذى يقرر فيه الاسلام العقوبة
لا يفرضها فرضا ، ولا يجعلها حتمية ، بل

يفتح باب العفو عنها فى غير الحدود ، ففقد
يكون العفو أصلح لنفس الجانى من العقوبة ،
« فمن عفا وأصلح فأجره على الله »

وفى الحديث :

« لأن يخطئ الحاكم فى العفو خير من أن
يخطئ فى العقوبة »

وكثيرا ما يلفت الاسلام أنظار الناس الى
الواقع التاريخى للأمم السابقة ليدكرهم بسنن
الله فى الاجتماع البشرى ، فالإنسان يستمتع
بالحياة الطيبة ما أقام السنة الصالحة ، فاذا
جحد بها ، وتكر لها ، دمر الله عليه وعذبه
عذابا نكرا ، وفى هذا التذكير بالعبرة النافعة،
والعظة البالغة يقول الله سبحانه وتعالى :

« لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب »

ويقول :

« وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت
به فؤادك » . .

الغاية

والغاية من التربية الدينية ، أن تهذب
نفس الإنسان ، وتكامل ليستطيع القيام
بواجبه نحو الله ، ونحو أسرته ، ونحو أخوانه
فى الإنسانية . . وأن يقول الصدق ويحكم
بالحق ، وينشر الخير بين الناس . . .

وهذه هى درجة الصالحين التى يريد هـا
الله للذين يتمسكون بالدين ، ويحرصون عليه:

« رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت
على وعلى والدى . وأن أعمل صالحا ترضاه
وادخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين . »

مظاهر التدين

وللتربية الدينية مظاهر تبدو فى سلوك
الفرد ، وتصرفاته ، منها : انتقاء اللفظ النظيف
والعبارة المهذبة حين الكلام ، يقول الله تعالى :

« وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن . ان

الشيطان ينزغ بينهم ، أن الشيطان كان
للإنسان عدوا مينا))

ومنها اتباع أهدي السبل وأقوم المناهج
وأولها بالحق في العمل . يقول الله سبحانه :
((فبشر عباد ، الذين يستمعون القول فيتبعون
أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله ، وأولئك
هم أولوا الأبواب .

والمتدين يصون قلبه من أن تعبت به الأهواء
ويتطلع دائما الى ما هو أَرْضَى ، وأنقى ،
وأنقى .

ومن مظاهر هذه التربية علو الهمة ، وكبر
النفس بحيث تترك الدون من شئون الحياة .
وتقتحم الصعاب في اكتساب الفضائل ،
والأخلاق العالية ..

والى هذا يشير الرسول - صلى الله عليه
وسلم - فيقول :

((ان الله يحب معالي الأمور وأشرافها .
ويكره سفاسفها)) .

وهذا المعنى أخذه أحد الشعراء فقال :

إذا غامرت في شرف مروم
فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في أمر حقير
كطعم الموت في أمر عظيم

ومن مظاهرها قوة الإرادة ، والشجاعة
الأدبية ، بمعنى أن يتمرس المرء بالصبر والثبات
والجلد ، ويطارد الجزع واليأس . ويقول
الحق دون أن يخشى في الله لوم اللائمين ،
والى هذا تشير الآية الكريمة :

((يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا
ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون))

وقد كان النبي - صلى الله عليه وسلم -
يبايع أصحابه على أن يقولوا الحق ، ولو كان مرا ،
ولا يخافوا في الله لومة لائم ، والإنسان الذي
يتمرس بالتربية الدينية الصحيحة لا يعطل
عقله ولا مواهبه الفكرية ، فلا يصدق الوهم

ولا يأخذ بالحدس والظن ، لأن الظن لا يوصل
الى الصواب ، ولا يغنى عن الحق شيئا ، وإنما
يحكم العقل فيما يعرض عليه من مسائل العلم
والكون والطبيعة والحياة ليصل الى العلم ،
وليبلغ اليقين .

وفي هذا يقول الله سبحانه وتعالى :

((ولا تقف ما ليس لك به علم ، ان السمع
والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا))

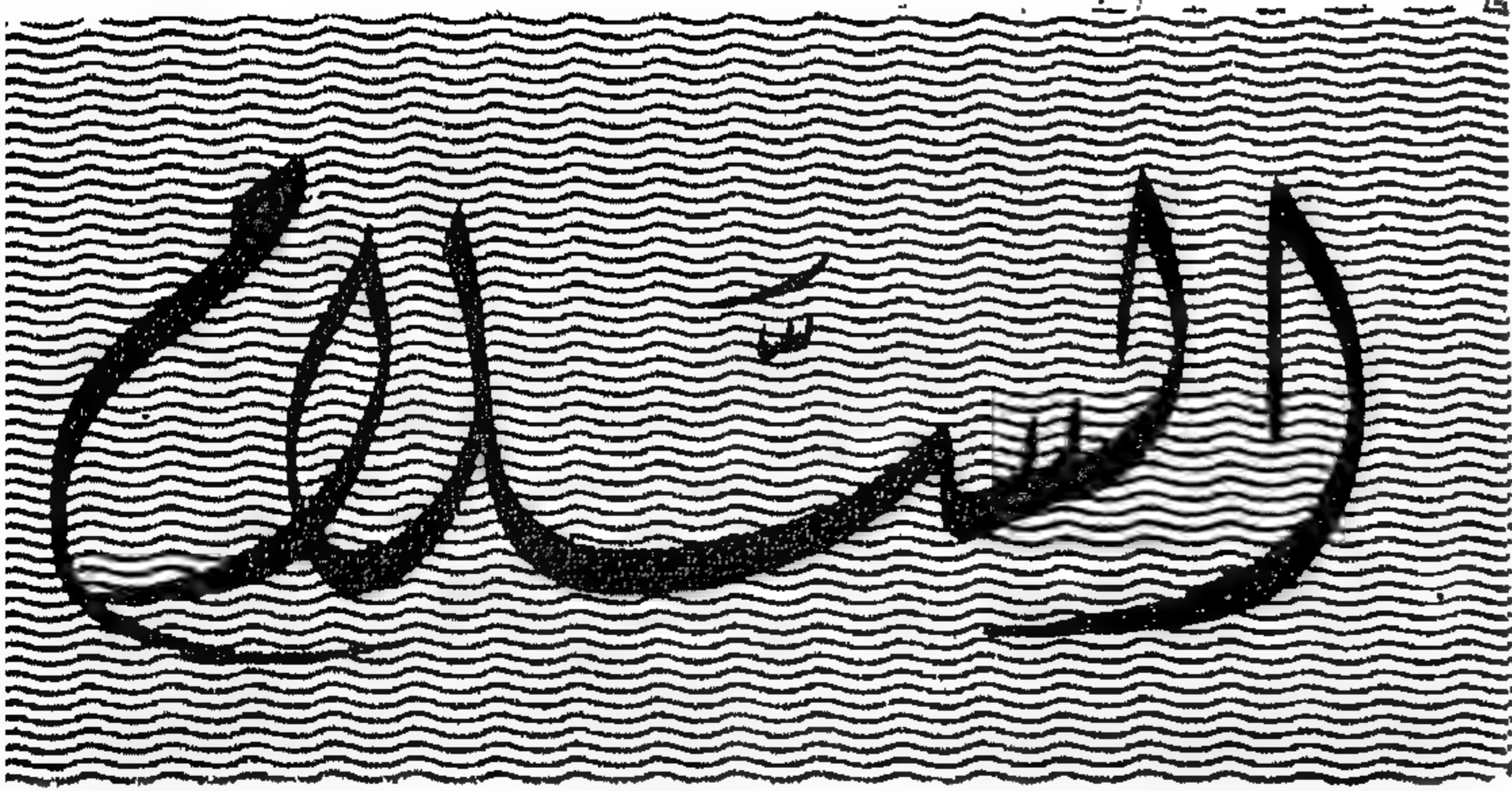
أى لا تقل علمت والحال أنك لم تعلم ، ولا
سمعت والحال أنك لم تسمع .. لأن الله - سبحانه -
سيسألك من أين جاءك العلم بما رأيت وسمعت
وعلمت .

وقد تصل التربية الدينية بالإنسان الى
حد الاستهانة بالحياة والتضحية بالنفس ،
وبكل شيء من أجل انتصار العقيدة ، وإحقاق
الحق .

فمن أنس بن النضر - أنه لم يشهد مع رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - غزوة بدر ، فشق
ذلك عليه ، وقال : ((أول مشهد شهده رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - غبت عنه ..
لئن أراني الله تعالى مشهدا فيما بعد مع
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليرين
الله تعالى ما أصنع)) .

فشهد مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
يوم أحد . فاستقبل سعد بن معاذ
فقال له أنس : يا أبا عمرو ، أين وأها لريح
الجنة . انى أجده دون أحد .. ثم قاتلهم حتى
قتل رضى الله عنه . فوجد في جسده بضع
وثمانون بين ضربة بسيف أو طعنة برمح أو
رمية بسهم .. قالت اخته الربيع : فما
عرفت أخى إلا ببنايه . وفيه وفى أصحابه
نزلت هذه الآية :

((من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله
عليه ، فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ،
وما بدلوا تبديلا)) .



القيم الإسلامية

الدكتور أحمد فؤاد الأهواني

ثم يشعرون بها بعد فهمها ، فتتضح بذلك قيمتها ، وترتفع بعد انخفاض .

ونحن نطالب جميع المسلمين أن ينفضوا عن أنفسهم غبار التقليد ، وأن يخرجوا عن نطاق التقليد ، وأن يتأملوا سلوكهم الديني من قراءة للقرآن للتدبر ، ومن صلاة فيها ذكر لله ، وأن يتأملوا بوجه خاص هذه التحية التي تجرى على ألسنتهم صباح مساء ، وهي « السلام عليكم » .

السلام من أسماء الله

والسلام اسم من أسماء الله الحسنى ، كما جاء في سورة الحشر : « هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن ... » فما معنى أنه سبحانه السلام ؟

قال الغزالي في كتابه : « المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى » ما نصه : « السلام ، هو الذي تسلم ذاته عن العيب ، وصفاته عن النقص ، وأفعاله عن الشر ، حتى اذا كان كذلك لم يكن في الوجود سلامة الا وكانت معزوة اليه ، صادرة منه . وقد فهمت أن أفعاله تعالى سالمة عن الشر ، أعني الشر المطلق المراد لذاته لا لخير حاصل في ضمنه أعظم منه . وليس في الوجود شيء بهذه الصفة كما سبق الإيماء اليه » . فالسلام ، باعتباره اسما من أسماء الله ، له قيمة مطلقة ، حتى

السلام شعار المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها منذ ظهور هذا الدين الكريم حتى اليوم ، وهو شعار يلقيه المسلم على صاحبه كلما لقيه وكلما انصرف عنه ، فيقول له : « السلام عليكم » . ويلقيه المسلم كل يوم خمس مرات حين يصلى ويقرأ التحيات ويختتم صلاته بقوله : « السلام عليكم ورحمة الله وبركاته » مرتين : مرة ذات اليمين ، وأخرى ذات الشمال . وهو كذلك يبدأ التحيات بقوله « التحيات لله ... السلام عليك أيها النبي ... الخ » .

لا بد - اذن - أن يكون هذا الشعار الذي يردده المسلم كل يوم ، وكل ساعة ، من أعظم القيم الدينية .

ولكن هذه القيمة ترتفع وتنخفض حتى تنمحي بمقدار ما يعيها حاملها ، وقائلها ، وما يفهمه منها ، وبمقدار ما ينعدم الوعي بها ، وما يترتب على ذلك من عدم فهمها . وأخشى ما نخشاه أن هذا التكرار يجعل من قولة السلام عبارة آلية وتمتمة بالشفاه ، مثلها في ذلك مثل كل شيء يعتاده المرء ويألفه بعد التكرار .

وهذا لا ينفي أن بعض المسلمين ينفضون عن أنفسهم غبار التقليد ، ويخلعون بين حين وآخر رداء الآلية العادية ، لينعموا النظر فيما ينطقون به من عبارات دينية ، وعندئذ يفهمونها

إذا نزلنا إلى مرتبة البشر كان السلام إضافيا لا مطلقا ، وكانت قيمته الانسانية أقل بطبيعة الحال من قيمته الالهية . والعلة في ذلك أن الانسان تدفعه شهواته التي ركبت فيه ، ويدفعه بدنه المادى ومصيره الى الفناء والفساد ، يدفعه كل ذلك وغيره الى النقص والى الشر ، فلا يمكن أن يكون سالما من كل شائبة ، ولا بريئا من كل نقص ، أو خالصا من كل شر . ولذلك أضاف الغزالي بعد شرح اسم السلام الذى هو أحد أسماء الله الحسنى هذا التنبيه، قال: «كل عبد سلم عن الفس ، والحقد والحسد واردة الشر قلبه ، وسلم عن الآثام والمحظورات جوارحه ، وسلم عن الانتكاس والانعكاس صفاته ، فهو الذى يأتى الله بقلب سليم . وهو السلام من العباد ، القريب في وصفه من السلام المطلق الحق الذى لا مثوية في صفته . وأعنى بالانتكاس في صفاته أن يكون عقله أسير شهوته وغضبه اذ الحق عكسه ، وهو أن تكون الشهوة والغضب أسير العقل وطوعه . فاذا انعكس فقد انتكس . . »

فاذا وعينا ذلك ، عرفنا أننا مطالبون بأن نكون في صفاتنا قريبين من صفات الله وترتفع قيمتنا كلما تدرجنا في سلم هذه الصفات بحيث نكون أقرب شيء الى الله تعالى . وكلما ابتعدنا عن تلك الصفات هبطت قيمتنا . نحن - اذن - عندما نلقى بالتحية على الناس ، انما نلقى عليهم اسما من أسماء الله ، يحفظهم ، وكأننا ندعو لهم أن يكونوا في صفاتهم قريبين من صفة السلام ، وهى السلامة عن العيب والنقص والشر .

السلام والاسلام

ومن هنا تنعقد الصلة بين السلام والاسلام .

لقد قيل في تعريف الاسلام الشيء الكثير . قيل انه من الانقياد ، ومن الاستسلام ، أى

الانقياد الى أوامر الله ونواهيه ، والاستسلام له تعالى . ولكن هذا المعنى تطرف به كثير من المسلمين حتى خرجوا به عن معناه الأصيل ، وقيمته الحقيقية ، وظنوا أن الاستسلام هو هذا السلوك السلبي الذى يهدر معنى الانسانية ، وأصبح الاسلام مجرد خضوع وخنوع .

وقيل ان الاسلام من السلامة ، والخلوص من الشوائب والنقص . وهذه القيمة قريبة ان لم تكن مطابقة للمعنى الذى ذهب اليه الغزالي في تعريفه لهذا الاسم من أسماء الله .

وقيل ان الاسلام من السلام الذى هو ضد العدوان ، سلام - أولا - بين العبد وبين نفسه ، ثم سلام - ثانيا - بينه وبين الله تعالى ، ثم سلام - ثالثا - بينه وبين غيره من الناس .

وهذا المعنى الأخير يلائم المفاهيم الجارية في العصر الحاضر . فالعالم يعيش في خوف وهم وقلق خشية الوقوع في حرب مدمرة تاتى على الحرث والنسل . وهناك أمم تدعو الى الحرب ، وتعد لها العدة ، وأخرى تنادى بالسلام ، وعلى رأسها جمهوريتنا العربية ومن يتفق معها من الدول غير الانحيازية .

والاسلام دين يدعو الى السلام، ويضع هذه القيمة على رأس القيم التى فيها صلاح العالم وخيره والأخذ بيده . واذا كانت قد نشبت حروب في الاسلام منذ ظهوره ، فانما كانت لدافعين ، الأول : رد العدوان والدفاع عن النفس ، والثانى : محاربة المشركين اقارارا لدين الله والايمان بالواحد القهار .

ولم تكد هذه القيمة الجديدة تلقى في الميدان الدولى ، ونعنى بها السلام ، حتى لقيت آذانا صاغية ، فقبلتها أولا جميع الشعوب في سائر الدول ، وقبلتها دول كثيرة لا مصلحة لها في الحرب . وهكذا نرى ان دعوة السلام ، ومن ورائها الاسلام ، تفوز

العالم كله من جديد ، وستنتصر باذن الله
لأنها الحق .

فمن جاءك مسلما ، مسلما ، فهو آمن ، ولا
باس عليه ، وينبغي أن تتعاونوا وإياه ، وأن
تولينه ثقتك ، وبهذا التعاون يتم التآلف ويقوم
ال عمران ، ويذهب الاضطراب من النفوس ،
ويرتفع القلق من القلوب .

قال تعالى في سورة الأنعام : « واذا جاءك
الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم » .

بل أكثر من ذلك ، ينبغي أن تجتهد في
الصفح والمغفرة لمن اعتدى عليك بغير الحق ،
إذا كان من الممكن التجاوز عن هذا العدوان ،
وبخاصة إذا صدر عن جهل . ومن آفاتنا
الشائعة ما يصدر عن بعض الناس من شتائم
في ساعة الغضب أو عن سوء تربية ، وعندئذ
تنشب المعارك الكلامية أولا والتي تنتهي آخر
الأمر بالنزاع والاشتباك والضرب وقد تصل
إلى حد سفك الدماء ثم الأخذ بالثأر .
فانظر إلى هذه السلسلة العجيبة التي تبدأ
بلفظة جارحة نابية ، وتنتهي بالقتل . وقد
حلت في القرآن الكريم بشيء بسيط
هو السلام . قال تعالى في سورة الفرقان :
« واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » . ولكن
هذا العلاج القرآني لا ينفع الا عند من يؤمن
بقيمة السلام .

السلام في الآخرة

ولما كانت قيمة السلام عظيمة على النحو
الذي رأينا ، فقد جعلها الله جزاء للذين آمنوا

وعملوا الصالحات ، وثوابا لهم في الآخرة ، وفي
ذلك آيات كثيرة ، تصور الجنة أولا أنها دار
سلام ، وتصور أصحاب الجنة أنهم في سلام
جزاء على ما فعلوا في هذه الحياة الدنيا .
فالجنة دار السلام ، وهذه أعظم صفة
توصف بها .

قال تعالى : « والله يدعو إلى دار السلام »
وقال أيضا : « لهم دار السلام عند ربهم
وهو وليهم بما كانوا يعملون » . وكذلك فإن
السلام ثمرة الصابرين مصداقا لقوله تعالى :
« سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » .

والسلام عاقبة المهتدين ، كما جاء في محكم
التنزيل في سورة طه : « والسلام على من اتبع
الهدى » . وهو كذلك عاقبة الذين يصطفاهم
الله . مصداقا لقوله : « وسلام على عباده
الذين اصطفى » . ثم هو جزاء الأنبياء
 والمرسلين في قوله تعالى : « سلام على نوح في
العالمين » و « سلام على إبراهيم » و « سلام
على موسى وهارون » و « سلام على المرسلين »
واذا كانت تحيتنا في هذه الحياة وعلى هذه
الأرض « السلام عليكم » وهى شعارنا الذى
نهتدى به ، فهى شعار أصحاب الجنة في
الآخرة ، لأنها أعظم قيمة ينالها المرء في دنياه
وآخرفته .

« دعواهم فيها سبحانه اللهم وتحيتهم فيها
سلام » .

فليتدبر المسلمون هذه القيمة ، وليتفكروا
فيها ، حتى يعوا منزلتها ويعرفوا أسرارها ،
ليهدوا بها في حياتهم وسلوكهم .



المثل الأعلى للأخلاق العربية

الدكتور عثمان أمين
رئيس قسم الفلسفة
بجامعة القاهرة

٢ - دعى الحرية والشعور بالمسؤولية

المسلمة الثانية

في حديث سابق ، بينت أن الكرامة الانسانية هي المسلمة الاولى من مسلمات الأخلاق العربية . وأود الآن أن أبين أن المسلمة الثانية لذلك المثل الأعلى هي وعى الحرية والشعور بالمسؤولية .

ذلك أن المكانة السامية التي جعلها القرآن للإنسان من بين سائر الحيوان قد استتبع أن يكون ذلك الإنسان الممتاز قادرا على الاختيار . مسئولاً عما يقوم به من أعمال .

واقرار الحرية واقامة المسؤولية ، أمران خطيران منصوص عليهما في القرآن الكريم وفي الحديث الشريف نصاً واضحاً صريحاً لا يحتاج الى بيان أو تأويل : قال تعالى في سورة الرعد : « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » وقال في سورة البقرة : « لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » . وقال في سورة الاسراء : « من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ،

ومن ضل فانهما يضل عليها . ولا تزر وازرة وزر أخرى » وقال في سورة البقرة : « وأن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله » . وظاهر أن هذه الآيات كلها تقرر أن الإنسان ، من حيث هو انسان ، حر مسئول ، لا مجبر مقهور .

من رأى منكم منكراً

أما أحاديث النبی العربی وتوجيهاته ، لبيان هذا المعنى واقرارها في الأذهان ، فكثيرة مشهورة لا حصر لها ، واكتفى بذكر مثل أو مثلين منها . قال عليه الصلاة والسلام : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده . فان لم يستطع فبلسانه . فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان » .

وواضح أن أضعف الايمان ، في نظر الرسول ، هو استنكار المنكر بالقلب فقط - أى في السردون الجهر - وواضح كذلك أن

الاستنكار القلبي ضعيف ان ظل مطويا ، لان فيه قعودا عن العمل ، وفرارا من المسؤولية .

للمخطيء أجر

وموقف الرسول العربى من حرية الانسان ومسئوليته ، يعيننا على النفاذ الى المعنى المقصود من قوله عليه الصلاة والسلام فى مقام آخر : « للمخطيء أجر وللمصيب أجران » . وهذا الحديث الشريف قد روى برواية أخرى فى صحيح البخارى ، قال عليه الصلاة والسلام : « اذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر ، واذا اجتهد فأصاب فله أجران » .

واذا تأملنا هذا الحديث تأملا جوانبيا وجدناه متضمنا لمعان أخلاقية عديدة :

متضمنات الحديث

١ - فى الحديث دعوة الى « الاجتهاد » فى النظر والاستقلال فى رأى . وبعبارة أخرى فيه تعبير عن معنى أرادته النبى العربى للمسلمين ، وهو الاعتزاز بشخصياتهم والاستمسك بحرياتهم . وحرية الارادة نعمة من نعم الله . ويكون شكر هذه النعمة بالتصميم على العمل والتنفيذ ، والسمى الى تحقيق ما يرسمه الوعى المستنير .

٢ - وفى الحديث كذلك دعوة الى مجاوزة مجال الاعتقاد والسير الى حيز الفعل ، وفقا لمطالب الايمان الصحيح من « الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » : فذلك الايمان شئ أعمق من مجرد الاقرار باللسان . والرسول لا يحب من الكلام الا ما تحته عمل . وبهذا المعنى يقول عليه الصلاة والسلام : « والذي نفسى بيده ، لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنون حتى تحابوا » . وواضح من هذا الحديث أن المحبة . وهى فى صميمها عمل ايجابى هى أوثق عرى الايمان . وصحة الايمان مشروطة بفعل من أفعال المحبة

٣ - وفى الحديث أيضا دعوة الى التفاؤل والاستبشار والاقدام . والاسبلاام دين

الصراحة والشجاعة والقوة ، ولذلك كان النبى العربى يتعوذ من النفاق والجبن والضعف ، ويقول : « ان الله لا يقبل من العمل الا ما كان خالصا وأريد به وجهه » . ويقول أيضا : « المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف » وكان خالد بن الوليد يقول : « حضرت كذا وكذا زحفا فى الجاهلية والاسلام وماقى جسدى موضع الا وفيه طعنة برمح أو ضربة بسيف . وهانا أموت على فراشى . . فلا نامت أعين الجبناء » .

٤ - وفى الحديث كذلك دعوة الى الثقة بالنفس والى الثقة بالله . ومعلوم أن الثقة بالنفس والثقة بالله لا تكونان مع التردد والتخاذل والتراخى عن نصره الحق ، وانما تكونان فى السعى مع الرضى والاطمئنان ، والاعتقاد بأننا مسئولون عن الحق والخير مسئولية شخصية ، لا مسئولية جماعية فقط . وقد رأينا أن أضعف الايمان هو استنكار الانسان للمنكر بقلبه ، دون سعى الى تغييره بالقول والفعل .

أجر الثقة والاطمئنان

ويتبين مما تقدم أن الانسان اذا اجتهد فأصاب كان له أجران : أجر الاجتهاد ، أى استعمال ملكة الحرية عنده ، وأجر الاصابة ، أى أجر الخير الذى يعود على الناس من اشاعة الثقة والاطمئنان . أما اذا اجتهد فأخطأ فله أجر واحد ، هو أجر الاجتهاد . ويمكن ان يقال ان المجتهد الذى يخطئ مأجور على قوته وشجاعته واقدامه ، مأجور على ثقته بنفسه وثقته بالله . وبعبارة أخرى هو مأجور على خطئه ذاته ، لأن هذا الخطأ يفيد أنه آمن فسعى وعمل وصبر ، وأنه لم يكن من المتشككين أو المترددين أو المتواكلين أو المتشائمين .

والايمان - كما قال الامام على - الايمان الصحيح يقوم على أربعة أمور : على اليقين ، والصبر ، والعدل ، والجهاد . وظاهر أن الأمر الأول نظرى والأمور الثلاثة الأخرى كلها سلوكية وعمل ، وكلها تقتضى وعيا للحرية وشعورا بالمسئولية .

السعي ركيزة للأخلاق

وما من شك في أن مداومة السعي ، وبذل
الجهد ، والاقبال على الحياة ، كلها ركائز
للحياة الأخلاقية في نظر الاسلام . والقرآن
والحديث حافلان بالحث على العمل والجهد
والتشمير ، ونبد الدعة والاستسلام
والاسترخاء . ومن هذه الجهة نرى الكتاب
المجيد يجعل الناس مراتب ودرجات ، ويصرح
بتفضيل « المجاهدين » أى العاملين ، على
« القاعدين » أى المستكينين ، فيقول : « فضل
الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين
درجة » ، ويقول : « ولكل درجات مما
عملوا » .

وأحاديث النبي كثيرة في الحث على توخي العمل النافع وتحصيل الرزق الحلال . يقول عليه الصلاة والسلام : « ما أكل أحد طعاما خيرا من كسب يده » ، ويقول أيضا : « احرص على ما ينفعك ، واستغن بالله ، ولا تعجزن » . ويقول : « لأن يغدو أحدكم فيحتطب على ظهره فيتصدق ويستغنى ، خير من أن يسأل » . وقد امتدح بعض الصحابة رفيقا لهم في السفر كان لا ينقطع عن تلاوة الأدعية حين ركوبه ، وإقامة الصلاة عند نزوله . فسألهم النبي : فمن كان يكفيه علف بغيره وإصلاح طعامه ؟ قالوا : « كلنا » . قال : « فلكم خير منه » . وكثيرا ما ذم النبي المهملين للمصالح الدنيوية ، والمنفقين لأموالهم في وجوه البر ، والتاركين إبناءهم عالة على الناس . فقال مستنكرا سلوكهم : « يأتي أحدكم بجميع ماله فيقول : « هذه صدقة » ثم يقعد يتكفف الناس » .

السيطرة على النفس

ان المثل الاعلى للاخلاق العربية هو الاهتداء
بالعقل المستنير في توجيه الارادة الحازمة التي
تقتضى مجاهدة النفس ، والسيطرة على

أهوائها . قال تعالى في الكتاب المبين : « وأما من خاف مقام ربه ، ونهى النفس عن الهوى ، فإن الجنة هي المأوى » . وقال الرسول العربي : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » وتعريف الرسول الكريم للمجاهد والمهاجر تعريف جواني ينفذ إلى الجواهر واللباب ، ويدل على أهمية العنصر النفسي في تحقيق المعاني الدينية تحقيقا سليما . قال عليه الصلاة والسلام : « المجاهد من جاهد نفسه » . وقال : « المهاجر من هجر ما نهى الله عنه » . ولا ريب أن جهاد النفس - وهو جهاد جواني - أصعب من جهاد الغير ، ولذلك سماه الرسول « الجهاد الأكبر » . لأنه يقتضي جهدا دائما وعملا متواصلا لمغالبة الشهوات . ومن خطبة للامام علي قوله : « اعلّموا أنه ما من طاعة الله شيء إلا يأتي في كره ، وما من معصية الله شيء إلا يأتي في شهوة . فرحم الله رجلا نزع عن شهوته وقمع نفسه » .

وبالتأمل فى آى الذكر الحكيم وفى أحاديث
النبي الكريم يتبين لنا أن قوام الدين الحنيف
خلق ومعاملة : صدق العزم ، وبذل الجهد ،
واخلاص العمل ، لما يكون لذلك من أثر فعال فى
اصلاح النفس واصلاح الجماعة . قال تعالى :
« وأن ليس للإنسان الا ما سعى » وأن سعيه
سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الأوفى » . وقال
أيضا : « لهم دار السلام عند ربهم ، وهو وليهم
بما كانوا يعملون » . وقال عليه الصلاة
والسلام : « أفضل الجهاد كلمة حق عند
سلطان جائر » . وقال أيضا : « من لم يدع
قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن
يدع طعامه وشرابه » .

فلا ريب أن وراء كل دعوة إصلاحية - فردية
كانت أو جماعية - إيماناً راسخاً بالحرية
ووعياً واضحاً للمسئولية : وهذا هو الأساس
المتين للأخلاق العربية . .



ونظريية التطور

الأستاذ البروفيسور الخولي

القرود ، اما المحض الكرامة والتعلق بالأصل الطيب ، واما لمخالفة ذلك للمأثور من نصوص الدين ، واما لكليهما معا ٠٠ وقد استغل دعاة الانحلال والاحاد هذا الشعور الطيب في نفوس الكرماء والمتدينين فراحوا يشيعون في الناس أن نظرية داروين تقرر أن الانسان أصله قرد ، ليبرهنوا على أن مقررات الدين لا تثبت أمام الحقائق التي استخرجها العلم من الحفريات الدفينة والتاريخ الجيولوجي للأرض ، ليصلوا بذلك في النهاية الى زعرة اليقين ، وبذر الشك والبلبل في نفوس المطمئنين ، خدمة لما ربهم الوضيعة .

ب - وعلاوة على أن داروين لم يقل ان الانسان أصله قرد ، فان كثيرا من الأحكام التي قررها في النشوء والارتقاء ، وتنازع البقاء ، وأصل الأنواع ، مؤسس على فروض اجتهادية لجأ اليها ليسد ثغرات في البحث بعد أن عجز عن ايجاد حفريات تسدها ، وكثيرا ما نقرأ فيما بين أيدينا من بيانات ودراسات لنظرية التطور أمثال هذه العبارات : « ويظن كذا » « ويفلب على الظن أن يكون كذا » « ومن الراجح .. » « ومن المحتمل .. » « ومن

كتب صحفى معروف كلمة في جريدة الأخبار - من مدة - عرض فيها لنظرية التطور وأصل الانسان والأجناس المعزوة لداروين ، ثم دعا رجال الدين أن يقولوا كلمتهم في ذلك ليوضحوا للناس آراءهم في هذه النظرية ، لما بينها وبين ظاهر نصوص الدين من مباينة .. ويقتضينا المقام أن نقرر - أولا - الأمور الآتية :

أ - أن عامة المثقفين أو أشباه المثقفين لا يحضر في أذهانهم حين يذكر داروين أو نظريته الا أن « الانسان أصله قرد » .. وذلك خطأ محض لأن نظرية داروين لم تقرر ذلك ، بل قررت لونا من المشابهة بين أجناس منقرضة من البشر وبين القردة العليا أمثال : الفول « الفوريل » والسعلاة وهي أنثى الفول ... وقررت أيضا فروقا واسعة تباعد بين الانسان الحديث الحال ، والأجناس البشرية المنقرضة ، وبالتالي تباعد أشد المبعاد بين الانسان والقردة .

ويشعر كثير من الناس باشمئزاز كبير من أن يكونوا منحدرين في الأصل من أصلاب

حقنا أن نفترض .. « الى آخر ما هنالك من عبارات منبئة عن ثغرات في البحث وخلخلة سببها ايغال اليهود في القدم الى مئات الملايين من السنين ، وقلة كفاية ما عثر عليه من الحفريات ..

واذن فتلك الثغرات ، والفروض ، والظنون تبعد نظرية التطور عن أن تكون هي القول الأخير الفاصل في كل ما عرضت له من احكام ..

وايماننا بحقائق الدين معناه أنها تحل محل التصديق اليقين الذي لا يتطرق اليه الشك بحال من الأحوال ، وليس من منطق الايمان ، ولا من منطق العقل والانصاف العلمى أن يطلب اليينا أن نتحول عن احكام يقينية ثابتة في نفوسنا الى احكام لم تبلغ مرتبة اليقين بعد .. ولا أن يطلب الى المشتغلين بدراسة العقائد الدينية واحكامها ونصوصها أن يبدوا آراءهم في نظرية كان لها خصوم مخالفون في حياة صاحبها وما زال أتباعها منشقين على أنفسهم الى اليوم، مجدين في البحث عن الحلقات الحفرية المفقودة أو المفروضة .. وليس من شأن الدين أن يتعقب بحوثا ما تزال في دور التمحيص واستكمال الحلقات ليبدى رأيه فيها ..

ح - ذلك الى أن النصوص الدينية انما نزلت لتهدى الى الله ، وتحرر القلب والعقل من الوثنية والسطحية .. وذلك بتقرير العقائد السليمة .. وبعث العقل على التأمل في الكائنات لاستخراج ما لها من دلالة على الله وما فيها من مختلف المنافع .. وتوجيه الانسان الى الفايات والأهداف الروحية التي تجعله صاحب رسالة في الأرض تعملو بهمته عن الهوى ، وشهوات الحس والمنافسة البغيضة على العرض الأدنى .. وترسم له اصول التعاون على البر والتقوى في مجتمع يسوده الاخاء والحب ..

فالكتب السماوية كتب هداية ربانية ، وارشاد الى ما ينير القلوب والطباع .. وليست كتباً لتقرير النظريات العلمية في مختلف ميادين المعرفة في الفلك ، والطب

والجيوولوجيا والتشريح ، وعلم الحيوان ، والنبات ، والكيمياء ، والهندسة ، والموسيقى ، والفلسفة والنحت والتاريخ .. الخ .. الخ . فان ذلك يخرج الأديان عن طبيعتها ويصرفها عن أهدافها .. علاوة على أن جمع العلوم والفنون كافة في كتاب واحد بدقائقها الظاهرة والخافية وتفاصيلها التي لم تنته الأيام من كشفها الى اليوم .. ان جمع تفاصيل العلوم ودقائقها في كتاب واحد على ما هي عليه في علم الله تعالى أمر يجافي الحكمة ، فان الكتب السماوية نزلت أول ما نزلت ، ومدارك البشر تخطو خطواتها الأولى في سبيل المعرفة والترقى ، فلم يكن من الطبيعي أن يواجه الناس أويخاطبوا بما لا تبلغه عقولهم ...

وقد توزعت ألوان المدارك في البشر بحسب تنوع ألوان العلم والمعرفة بحيث لا تنشط طبيعة الذهن في انسان ما الا لما يلائمها ، فتقبل على علم أو على طائفة قليلة منه ، وتصعد عن أخرى لاتسيغها .. وما يقبل عليه فرد قد يصد عنه آخر .. ذلك أن طاقة العقل - مع هذا التخصص - تعجز قطعاً عن استيعاب تفاصيل العلم الذي خصصت له .. فاذا أنزل الله كتاباً سماوياً على النمط الجامع ، لكان من مقتضى الايمان أن يلزمهم باحصاء التفاصيل في كافة العلوم ، ولم يقبل منهم أن يؤمنوا ببعض الكتاب دون بعض .. وذلك ضرب من التكليف بالمحال تنزهت عنه حكمة الله سبحانه بقوله تعالى : ((لا يكلف الله نفساً الا وسعها)) .

واذا فرضنا جدلاً أن الله أنزل هذا الكتاب السماوى الجامع ، وأن مدارك البشر قد أطاقته ، فماذا تكون قيمتنا ، وماذا يكون طعم الحياة في نفوسنا .. ؟

هل يتغير منظر الحياة ، وطعمها ، وأسلوبها بجديد تكشف عنه الأيام ويخترعه العقل ، بعد أن لم يترك للعقل شئ يخترعه أو يستكشفه ؟ . الا تلزم الحياة نمطاً واحداً نسأله ونضيق به ؟ .. أو ليس في هذا - مع ذلك - حكم على العقول بالركود والسلبية المتلقية المتلقنة ، وتجريدها من عبقریات الايجاب المتأمله ،

الباحثة المستنبطة ، التي تبدع كل آن طريفا يتجدد به وجه الحياة ، وتكشف كل يوم عن جديد من آيات الله ودلائل معرفته ؟ . وحرمان الانسان مايجده من لذة وفرح بتجدد الحياة . . ولذة وفرح بتجدد معرفة الله فى الضمير ، وترادف آيات الايمان ودلائله على العقل والقلب ؟ . .

لذلك ونحوه اقتضت حكمة الله تعالى أن تكل الى الكتب السماوية ترقية الخصائص المعنوية فى الانسان ، ورفعها من حيز الفايات الحسية الى مستوى الأهداف الروحية الكريمة . . . وأن تجنبها ما عدا ذلك ، وتدعه للعقل يبدعه على ما شاء الله من سنن وقوانين

على أن النص الدينى كثيرا ما يساق للتأمل فى أحوال الماضين ، أو للنظر فى أسرار النفس الانسانية ، أو للتفكير فى خلق السموات والأرض ، فترداشارة - غير مقصودة لذاتها - الى قصة تاريخية ، أو أمر كوني لاستخراج العبرة من قدرة القادر ، وحكمة الحكيم ، وتفرد الخالق بالابداع والهيمنة والتصريف فتتفصح آفاق الانسان الروحية ، وترسخ العقيدة على أساس من حسن النظر ، ودقة الاستدلال . . هذه الاشارات التى لم ترد لتقرير حقيقة علمية ، لا يجوز اطلاقا أن نسميها علما بالمعنى المعروف فى مصطلحاتنا الحديثة . . وكل ما تصالح له بعد تحقيق أغراضها الروحية ، هو استخراج أمثلة جديدة تضاف الى شواهد صدق القرآن الكريم ، يزيد بها ايمان المؤمنين . . وليست هى من قبيل الاعجاز ، لأن شرط الاعجاز أن يقتصر بالتحدى ، ولا تحدى هنا فى تلك الاشارات التى ان وافقها العلم القاطع كان لها شاهدا بأنها تنزيل من حكيم حميد . .

واذن ، فلا معنى لأن نطالب ببيان موقف الدين من أى نظرية علمية ، ولا سيما نظرية مليئة بالثغرات . . فليس الدين موضوعات علمية كيميوية أو غير كيميوية ، كما أنه ليس خصما متربصا بالعناد للعلم ، يستشير

المستثيرون كلما جد جديد فى أفق الحقائق الكونية .

ان الله هو الحقيقة الأولى فى هذا الكون . . بل هو الحقيقة الأولى والأخيرة فيه . . وكل من لم يصل الى هذه الحقيقة فعلمه مدخول . . والدين فى لبابه منهاج للوصول الى الله ، وما العلم الصحيح الا أحد عناصر هذا المنهاج ، فاذا عرف العلماء سبيلهم الى الله فأولئك هم العلماء حقا ، المؤمنون حقا . «انما يخشى الله من عباده العلماء» . . واذا عجز علم العلماء عن أن يهديهم الى الله أى عن أن يوصلهم الى الحقيقة الأولى فى الحياة ، فهو علم الجهلاء . . وليس من الطبيعى أن يطالب الدين ببيان موقفه من هذا الجهل ، ولا أن يشكك الناس فى ايمانهم ليعبدوا من دون الله ما ليس لهم به علم ، ومع ذلك فماذا فى نظرية التطور . .

ان تطور الكائنات - الحى منها والجماد - معناه فى الجملة أنها دائمة التحول والتنقل من طور الى طور بحيث لا تلزم حالة واحدة . . وذلك أمر مشاهد ، وحقيقة واقعة ، التفت اليها كبار المفكرين والعلماء من قبل داروين بقرون كثيرة . . اذ تناولها أرسطو ، ولوكريتيوس ، وعلماء مدرسة الاسكندرية الفلسفية ، كل بما تيسر له من اسباب البحث والنظر . .

وتناولها فى العصور الحديثة جان دى لامارك (١٧٤٤ - ١٨٢٩) ففصلها وفرعها ، ومهد أكنافها . . ثم جاء داروين من بعد هؤلاء جميعا فعدل من نظراتهم ما عدل ، و اضاف ما أضاف فى نسق علمى يمتاز بكثرة الأمثلة ودقة الشواهد . .

ومما ينبغى التنويه به فى هذا المقام أن علماء المسلمين تناولوا تلك النظرية ، بأوسع ما سمحت به أمكنة البحث فى عصور سميت بالعصور الوسطى ، فتكلم عنها اخوان الصفا فى رسائلهم المعروفة ، وابن مسكويه ، والقزوينى فى عجائب المخلوقات ، وابن طفيل فى قصة حي بن يقظان .

ومن العجيب ان اخوان الصفا وابن مسكويه لم يفتهم في ملاحظة ظواهر التطور والتنوع ، ما لاحظته داروين من المشابه الواضحة بين الانسان والقروء ، وقالوا في ذلك ما لا نطيل بذكره ، الى أن انتهى لواء البحث الى مبدع علم الاجتماع العلامة ابن خلدون ، فاتى في بابهِ - على قصور الأسباب والوسائل - بالعجب المدهش ، اذ قرر في صراحة كثيرا من قوانين التطور والتنوع ، فسبق لامارك ، وداروين . . ولاسيما نظرية تولد الأجناس بعضها من بعض على سنة التطور ، ومن يرجع الى صفحة ٢٥٤ وما بعدها من طبعة لجنة البيان العربى بتحقيق الدكتور على عبد الواحد وافي ، يجد علامتنا العبقري أول من كشف ذلك الناموس قبل داروين وغيره بمئات السنين ، حتى ليعلق الأستاذ سلامة موسى على ذلك بقوله : انه « لو كان تبسط في الكلام على الحيوان والنبات لكانت نظريته لا تخالف نظرتنا الآن » . .

وابن خلدون وغيره من علماء الاسلام انما يفكرون داخل الاطار الفسيح الذى ترسمه الثقافة الاسلامية ، بوحى عقائدها ، وتعاليمها ، ونصوصها المرنة الرائعة التى لا تقف بالذهن المتحرر عند حد معين من التطور والرقى . . واذا كان ابن خلدون قد سبق داروين بتقرير قانون تولد الأجناس بعضها من بعض - على ما سنبينه فيما يأتى - فانه لم يقف بالتطور والترقى عند الحد الذى وقف عنده داروين . . بل تكلم عن تطور الانسان وارتقائه في خصائصه النفسية ، وتدرجه في السمو مع المثل العليا حتى بلغ به افق الملائكة ، وهو الافق الذى يلى افق الانسان في سلسلة تدرج الكائنات نحو الرقى في سلم التطور . . ولولا الاسلام وما قرر من عقائد في الملائكة والنبوة . . وما أحدثت تلك العقائد في نفوس أتباعه - فعلا - من نبل في الطباع ورقى في الخصائص والصفات ، وتطور أبعدها من ظلمة الحيوانية وأنانية الفرائز الى الاقتراب من افق الملائكة في الايثار والحب والتراحم ، والترفع عن التقاتل من أجل العرض الأدنى . . لولا ثقافة الاسلام القائمة على تلك العقائد ، ولولا ما أحدثته تلك

الثقافة من تطور خصائص الانسان ، لما التفت ابن خلدون الى ذلك اللون من التطور الذى لا يتعلق بتطور الأعضاء في الكائنات ، بل يتعلق بتطور أهداف الانسان ، وترقى نظريته الى الغاية من الحياة ، وما ينشأ عن ذلك من خصائص كريمة في النفس . . واذا كان الغرب قد تنبه أخيرا الى وجوب أن يتطور الانسان الحالى الى «سوبرمان» يكبر عقله وتتغير بعض معالم بدنه ، فان ابن خلدون هو السابق - بفضل الاسلام - الى هذا التطور المعنوى ، مع فارق كبير بين تطور يرتقى فيه وجدان المرء من الحياة فى محيط المادة المحدودة ، الى حياة روحية واقعية تجعل المادة فيها نقطة ارتكاز للانسان يطل منها على غير المحدود : كالصديقين والأنبياء . . أقول مع فارق كبير بين ذلك التطور الذى أراده ابن خلدون ، والتطور الذى لا يرتقى فيه سوى حجم الدماغ على ما تخيله هؤلاء - ولا يخرج به وجدان صاحبه عن منطق التفكير الحسى ، الذى تحده في النهاية أوضاع المادة وأحكامها .

- ٣ -

واذا كان التطور هو السنة التى تنتظم كافة ما نرى ونحس من الكائنات ، وتنتقل بها من حال الى حال : حال حسية أو معنوية - عضوية أو وصفية ، أو روحية ، فانا نستطيع أن نرى وميض هذه الحقيقة في مثل قول الله - تعالى - : «يسأله من فى السموات والأرض ، كل يوم هو فى شأن» . . فكل يوم يمر ، بل كل لحظة ، يتجدد فيها للكائنات شأن جديد ، يصير بها الى حال جديدة غير التى كانت لها بالأمس . . وليس ضروريا أن نرى ذلك التغير ، أو الانتقال واضحا بملامحه الجديدة التى تميزه عن ملامحه السابقة ، فقد يكون التغير ظاهرا ، وقد يكون باطنا . . وقد يتم بسرعة ، وقد يتم ببطء شديد ، فلا تتضح معالم المباشرة فيه الا بعد أجيال ، أو بعد ملايين السنين كما يقول علماء التطور أنفسهم . .

والذى يعيننا أن ظاهرة التطور تشمل كل كائنات السموات والأرض على ما تنصه الآية الكريمة وفق ما أراد لها الله من سنن وقوانين .

وقد التفت المسلمون منذ نزول الآية الكريمة الى مضمونها التطوري ، فسألوا عنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ولكن الرسول الحكيم لم يكن ليجيب أهل بيئته البدوية الا بما يقر العقيدة ، ويجنبهم البلبلة بما لم يستعدوا لقبوله ، فاكتمى - عليه السلام - من بيان ذلك الشأن الذي هو الله كل يوم مع خلقه ، بقوله : « من شأنه أن يغفر ذنبا ، ويفرج كربا ، ويرفع من يشاء ، ويضع من يشاء » . . وهو قول دقيق عظيم المرونة والدلالة كما ترى . . فلما رسخت العقائد ، واستقرت أركان الدولة بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، واستبحر العمران والعلم ، فسر بعضهم ذلك الشأن بقوله : « من شأنه تعالى أن يولج الليل في النهار ، ويولج النهار في الليل ، ويخرج الحي من الميت ، ويخرج الميت من الحي ، ويشفي سقيما ، ويسقم سليما ، ويبتلى معافى ، ويعافى مبتلى ، ويعز ذليلا ، ويدل عزيزا ، ويفقر غنيا ، ويفني فقيرا » . .

وهو تفسير - أن لم يجمع مضمون الآية الكريمة - يدل على تطور الأذهان في فهم مدلول النص الكريم ، حتى يشمل تبدل الليل والنهار ، والتطور بالجامد الى حي . . وتتسع دائرة الثقافة ، وتتسع معها دائرة العقول في البحث والتأمل حتى يصل شأن التطور الى ما انتهى اليه ابن خلدون . .

والتطور - على ما يبدو من ظاهر الآية - يشمل ثلاث حقائق أساسية ، لم يعرض لها « لا مارك » ولا « داروين » في بحوثهما . .

الأولى : أن التطور ليس مجرد قانون أو سنة كونية فحسب ، بل هو الى ذلك ضرورة ذاتية بالنسبة للكائنات وحاجة فطرية لها . . وذلك واضح من قوله تعالى : « يسأله من في السموات والأرض . . الآية » فان فعل السؤال وارد بصيغة المضارعة التي تفيد الاستمرار والتجدد . . والسؤال المستمر المتجدد انما يكون عن اضطرار دائم ، وحاجة متجددة في نفس السائل . . فالكائنات في سؤال دائم

لله تعالى ، كلما قضيت لها حاجة ، نشأت لها في المزيد حاجة أخرى ، لجأت في طلبها لله سبحانه ، فاذا تحقق لها المزيد الذي انتقل بها من حال الى حال ، أحست ضرورة التحول من تلك الحال الى سواها ، فلجأت الى الله تسأله ضرورة ذلك التحول ، فاذا تحولت الى ما تريد ، جد في كيانها باعث آخر الى التحول ، كأنما يفرعها البقاء على حالة واحدة فتضرع الى الله أن ينجيها من عطبه بتحويلها الى حال أفضل . . وهكذا : فالسكون مهلكة لا ينجي منها الا الحركة . . والنقص - ايا كان نوعه - فساد لا يعالجه الا طلب الكمال . . والجهل ظلمة وموت ، لا يشفيه الا العلم . . والسقم والاختلال علة دواؤها الصحة والاستواء على النمط الأمثل . . والعزلة شقوة وقحط . . روحى لا يزيله الا الترابط ، والتجاذب ، والحب ، والرحمة . . والخلو والجوع - على اختلاف ألوانها - مفسدة لا يصلحها الا كفاء ما تطلبه فطرة الكائن من الزاد والامتلاء . .

ومن البديهي أن الكائنات اذ تفرع الى الله في هذا لا تسأله بلسان المقال - فلسان المقال لدى من يملكونه أضعف وسائل البيان حين الفزع اليه - سبحانه - بل هي تسأله بمحض فطرتها ، وطبيعة حاجتها اليه ، وأن لم تنطق بكلمة واحدة ، وما برح لسان الحال أبين من كل دلالة . . وذلك من قبيل ما خاطبنا به الله سبحانه : « وآتاكم من كل ما سألتموه » فان هناك أمورا كثيرة ونعما شتى لم نسأله اياها ، ومع ذلك فقد من بها سبحانه ، لأننا سألناه اياها بمحض فطرتنا ولسان حاجتنا اليها في الحياة . . وقد نظر الامام البيضاوى الى هذا المعنى فقال : « انهم مفتقرون اليه في ذواتهم ، وصفاتهم ، وسائر ما يهمهم ، ويعن لهم . . والمراد بالسؤال ما يدل على الحاجة الى تحصيل الشيء في ذواتهم وصفاتهم ، نطقا كان أو غير نطق » .

فالآية الكريمة - على هذا - تعلن تطور الكائنات على أنه ضرورة فطرية لها ، الى جانب أنه سنة كونية ، وهو شأ نود لو تطور علماء العلم الطبيعي في طرائق بحثهم ، ومناهج نظرهم لكى يدركوه ، ويجلوا لنا سر حقيقته .

والحقيقة الثانية هي أن التطور سنة

تشمل كل كائنات السماوات والأرض من جماد، ونبات، وحيوان، وإنسان، وملك ..

وحين ننظر في نص الآية الكريمة نراها شاملة لكائنات السماوات والأرض، وكائنات السماوات والأرض في مفاهيم الدين واللغة تشمل الأنواع التي ذكرناها .. وقد كان العلماء إلى عهد قريب لا يدخلون الجماد في زمرة الكائنات المنظورة، ولكن ما أسفرت عنه الجهود من الكشف عن سنن الله، جعلهم يدركون من دقائق التطور في الجماد ما يدهش العقل ويشهد بقدرة الخالق سبحانه، فأضافوه إلى الأحياء المنظورة .

أما الملائكة فحاجتهم متجددة إلى فضل الله وعلمه ودوام تسيبجه وتقديسه، وفي ذلك زكاة حقائقهم ورقى مراتبهم لا يستغنون عن ذلك طرفة عين: ((يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون)) يسبحون الليل والنهار لا يفترون)) .

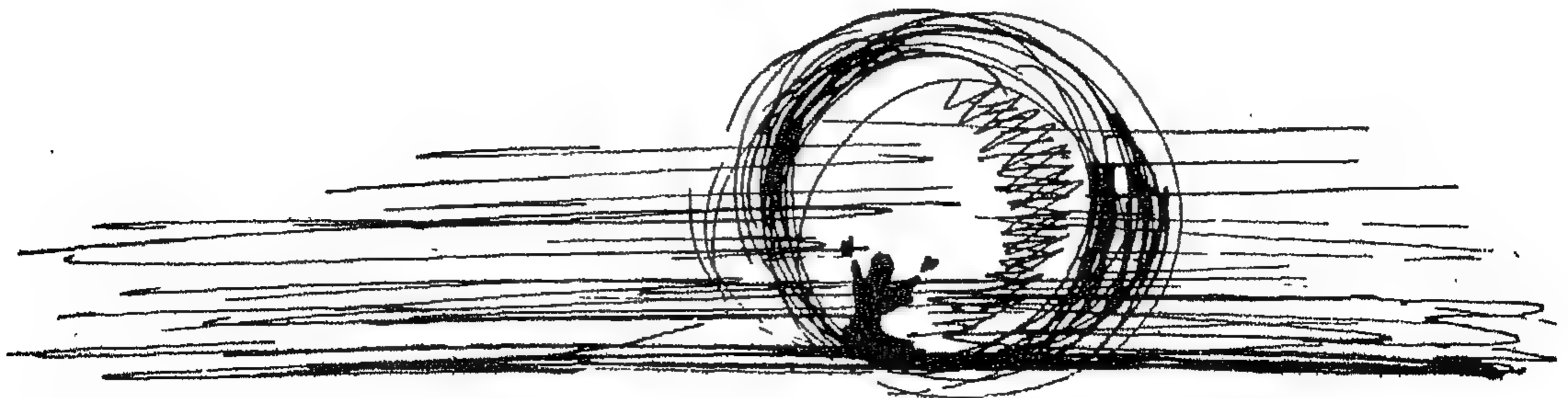
وإذا كنا لا نطمع الآن في أن يؤمن علماء العلم الطبيعي بأن للملائكة في عالمها الروحي تطورها الملائم لها، فانا على يقين بأن ماتأتى به الأيام من حقائق غيب الله سيضيف جديدا إلى معارفهم يقنعهم بتطور الملائكة، كما آمنوا من قبل بتطور الجماد ..

والحقيقة الثالثة: هي أن زمام قوانين التطور بيد الله سبحانه، وهو الواضح من قوله تعالى: ((يسأله من في السموات والأرض .. الآية)) على ما أشرنا إليه من قبل .. وقبل أن يخلق الله الكائنات قدر لكل كائن سنة وجوده، ونظام حياته، ثم سواه على المثال

الذي يحقق المنفعة المنوطة به، وهداه إلى النهج الذي يتطور به ويترقى على نحو ما قال سبحانه: ((ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى))، اذ ليس التطور مجرد «عمليات» عشوائية تتنوع بها الكائنات، وتتغير بها أعضاؤها وصفاتها على ما تسوقه المصادفة المحضة، بل مرد الأمر إلى أسباب، ومقدمات، وعوامل تتجه بالتطور إلى أهداف معينة، وغايات مقدورة .. وكل ذلك لا بد له من اعداد وتدير، أو قوانين مرتبة تنتهي بكل نوع، وكل كائن إلى ما يراد له ..

على أن القوانين ليست كائنات حية تدبر للتطور ما تريد بل هي قواعد أرادها الله لينتم لكل نوع، ولكل كائن ما أراد له في علمه القديم من أطوار .. وليست قواعد تلقائية نشأت من غير شيء لتهيمن على مبادئ الأنواع ومصائرهما في كافة البيئات على مدى العصور إلى آخر ما يهرف به من لا يريدون الاذعان لحكم العقل ومنطق الواقع ..

ان المصادفة العشوائية تفسير يلجأ إليه اللاجئون حين يعز عليهم أن يؤمنوا بالخالق المدبر لكل شيء من وراء الطبيعة .. وان القوانين التلقائية التي وجدت من لا شيء فحكمت الكائنات، وسلكت كلا منها في منهاج تطوره، أهون قبولا في منطقهم من أن تكون سننا كونية فصلها الله على علم لينتظم فيها كل كائن على ما أراده له .. وما أحسن مايقول الدكتور الفندي وزميله في قصة السماوات والأرض: ((انهم يقولون عن قانون التطور هو الفعال، ونحن نقول: انه مجرد أداة في يد الفعال)) وهو كلام جميل فيه فصل المقال ..



دراسة الفضاء طريق إلى إيمان

بقلم الأستاذ عبد الرزاق نوفل

فهذا جاجارين «أول رائد للفضاء» لم يتمالك نفسه وهو في أول مرحلة من مراحل الفضاء أن يصيح وهو ما زال في مركبته «يا للروعة .. انه منظر لا أستطيع وصفه .. انه شيء جميل .. ألوان لا يمكن أن أصفها .. ليت الشعراء معي ليروا هذا الجمال» ! لقد أدهشه ما رآه من أبداع ، ولابد أنه سأل نفسه : من أبداع هذا ؟ فيأثري ماذا كان جواب نفسه عليه ؟ .. وهل مازال ينتظر الإجابة ، وهل يمكن أن تكون غير ما أجاب به القرآن الكريم في آياته الشريفة «بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كال شيء وهو بكل شيء عليم . ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل » .

ثم انطلق تيتوف الذي جاوز بمركبته ما وصل اليه من سبقه، وظل يدور حول الأرض عدة مرات ويرى طلوع الشمس وغروبها في يوم واحد أكثر من عشر مرات . لقد رأى أيضا من جمال الصورة وروعة اختلاف الليل والنهار ما جعله يصرح بقوله وهو مازال في رحلته بأنه لشيء فوق الوصف أو التخيل وحقا انها آيات ناطقة وقاطعة تدل على وجود الله سبحانه وتعالى - وفي ذلك يقول القرآن الكريم : «ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الأبصار » وبعد ذلك يعتسف تيتوف بعد عودته من الفضاء اعترافا واضحا صريحا لا لبس فيه ولا غموض أمام مؤتمره الصحفي الذي ضم مندوبين عن صحافة العالم

بدأت البشرية تعيش عهدا جديدا في حياتها الأرضية بانطلاق الانسان في أول رحلة خارج الأرض نحو الفضاء ، فقد ظل التاريخ منذ أن عرفه الانسان يسجل ما أمكن للعلماء معرفته بأبحاثهم التي ظلت تتصل بالارض أو بدراساتهم للكواكب والنجوم . وهم على بعد ساحق منها ، هو بعدها عن الأرض التي لم يغادرها الى خارجها من قبل انسان فيما يقرره التاريخ . وجدير بأن يسمى هذا العصر الذي نعيش فيه الآن عصر الفضاء ، فان النجاح المتلاحق الذي صادف الانسان في رحلاته خارج الأرض انما يبشر بمزيد من النجاح في اكتشاف مجهول الفضاء بالقدرة التي تسمح به امكانيات الانسان العلمية والى الحد الذي لا يمكن للمادة بتركيبها المعروف أن تتجاوزه . فهل سيكون عصر الفضاء عصر الحصاد أم لا بد أن يكون طابعه الايمان ؟

ان من أهم ما تتميز به العصور العلمية : الايمان المطلق بالله - جل شأنه - اذ ان العلم هو طريق الايمان ، وما انتشر الاتحاد الا في عصور تفشى فيها الجهل أو قل فيها البحث العلمي . فالعلم والاتحاد نقيضان لا يجتمعان وخصمان لا يتفقان فهل ينطبق ذلك على عصرنا هذا بعد أن وصل العلم الى طفرة لم يكن يظن الانسان أنه سيصل اليها بهذه السرعة والى هذا قدر ؟

ان الأدلة كلها تؤكد تأكيدا قاطعا أن العالم في طريقه الى عهد سيكون أهم ما يميزه ، الايمان الكامل المطلق بالله - سبحانه وتعالى .

فيقول بأنه عندما رأى الأرض فوق رأسه في الفضاء وهى تسبح وتدور ، سأل نفسه ، ترى ماذا يمسك الأرض فيجعلها معلقة في هذا الفضاء ؟ . فهل هناك جواب على سؤاله هذا الذى يعتبر بداية طريق الايمان غير ما تقرره الآيات الشريفة في القرآن الكريم ؟ مثل (ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا » وقوله تعالى :

« ويمسك السماء أن تقع على الأرض الا بأذنه »

ليست هذه الاعترافات التى اعترفها رواد الفضاء تعتبر بداية الطريق الى ايمانهم بالله سبحانه وتعالى الذى خلق فائقين وصور فأبدع وأراد فهدى ؟

لقد آن لهم بعد ما شاهدوا ولغيرهم اذا ما نقل اليهم وصفه أن يتفكروا . . واذا ماتفكروا فقد وضح لهم الأمر وظهرت آيات الله ساطعة لهم بعد أن كان يحجبها عنهم ستر المادية الكثيفة التى ماكانوا يروا سواها ويشعروا بغيرها ، ولم يعد الأمر يحتاج بعد ذلك الى دليل ، اذ يقول الله جل شأنه « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله » . . فان العين المبصرة التى لا يحجب عنها الضلال حقائق الحياة ترى فى كل ماحولها - لا سيما فى الفضاء - آيات وجود الله كما يقرر القرآن الكريم فى مثل الآية الشريفة « ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » .

فاذا كان هذا هو حال هؤلاء الذين لم يتجاوزوا الاقدار يكاد لا يذكر فى الفضاء الخارجى ، فكيف اذا ما توغلوا فيه وشاهدوا بأنفسهم ما فى الآفاق من آيات بينات ؟ ألا يعودون وقد آمنوا بالله كامل الايمان ، فاذا اتجهوا بعد ذلك الى دراسة الأديان ووجدوا ان آيات القرآن الكريم قد سبقت العلم بما قررته ، ووصلوا هم اليه . بعد قرون وقرون من البحث

العلمى الدقيق ، ألا تتأكد لديهم رسالة نبي الاسلام ، ويتبين لهم أن هذا الدين هو الحق المبين وأنه دين الله رب العالمين الذى ارتضاه ليكون خاتمة الأديان ، فبعث به سيدنا محمدا - صلى الله عليه وسلم - ليكون آخر الرسل وخاتم النبيين ، وهذا ما قرره القرآن الكريم صراحة فى الآية الشريفة « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » .

ان العالم فى طريقه الى الايمان بالله . . وان عصر الفضاء سيتميز بأنه عصر الايمان ، فان النهضة العلمية التى تتنافس فى ميدانها الدول وتتسابق اليها الأمم ستكون سبيل الايمان بالله ، اذ أن العلماء هم أول البشر شهادة لله وايماننا به اذ يقول سبحانه وتعالى : (شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط) . كما أن كل تقدم علمى سيحمل أدلة جديدة على أن القرآن الكريم هو كتاب الله ، وذلك من آياته العلمية التى نطق بها النبي الأمى منذ أربعة عشر قرنا ، وسبق بها ما يكتشفه العلم والعلماء فى عصرنا الحاضر ، فلا يمكن بذلك اطلاقا أن يكون وحيا من الله العليم الخبير ، وهذا ماثقله الآية الشريفة (ويرى الذين أوتوا العلم الذى أنزل اليك من ربك هو الحق)

فلنستعد لتبليغ دعوة الاسلام الى هؤلاء الذين أصبحوا على أول الطريق الى الايمان بالله ، ولتكن دعوتنا اليهم باظهار اعجاز القرآن الكريم العلمى ، وبيان الحقائق العلمية التى تضمنتها آياته الشريفة ، والتى لم يسبق أن عرفها البشر الا بعد أن اكتشفت فى عصرنا الحديث ، وقال بها القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرنا . . فهذا هو سبيل الاقناع فى عهد العلم بلغة العلم . . المعلم الذى لا يكذب ولا يضل ولا يحتاج الى دليل . . وسنرى دخول الناس فى الاسلام أفواجا ، وسبحان الله والحمد لله الذى يقول (اذا جاء نصر الله والفتح ورايت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا ، فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا) .



في النظام الاشتراكي

بقلم الدكتور محمد سعاد جلال

من الشح ، واستنقاذ النفس من برائته سبيل
الفلاح ، والشح امساك النفس عن فعل الخير
للناس ، ومن المستحيل أن نجد أمراً طوى
الشح ذات نفسه يعنى بأحد غيره - وقد
زاد هذا المعنى وضوحاً وتأكيداً ، ما روى من
قوله عليه السلام :

« من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم »

اذن فالسلوك الأخلاقي الذي تفرضه الحقيقة
الاشتراكية على المواطنين في المجتمع الجديد
الذي صاغته الثورة الرشيدة ، هو ما يفرضه
القرآن الكريم عليهم ، وتلزمهم بالعمل به
السنة المطهرة .

ودور الأسرة في نطاق هذا النظام الاشتراكي
دور جد خطير . .

ذلك أن أي نظام لا يأخذ طريقه إلى الحياة
الحقيقية ، والوجود الكامل ، إلا إذا مد جذوره
في أعماق المجتمع الذي يعيش فيه ، وتغلغل
في كل نواحيه وابعاده ، وما طريق الوصول
بالنظام الاشتراكي إلى هذه الغاية المحتملة إلا
الأسرة .

أساس الأخلاق الاشتراكية في كل نظام
اشتراكي حقيقي فضيلتان : الايثار ، والاهتمام
بأمر الغير ، ان هاتين الصفتين هما الطابع
المميز للحقيقة الاشتراكية أيهما وجدت : في
أي عصر وجدت فيه ، وفي أي مجتمع تفاعلت
مع حياته وفكره .

وحيثما استطاعت المكابدات الجادة ، بفعل
الرسالات الهادية أو بفعل الثورات المصلحة
البناءة أن تنشئ مجتمعا راشدا - وجدنا
الحقيقة الاشتراكية في صورة من الصور عنوانا
لهذا المجتمع ، وأداته النشطة المعبرة عنه في
سبيل الفلاح والخير ، وذلك ما سبق القرآن
الكريم إلى بيانه - وهو بازاء تكوين مجتمع
سعيد متضامن ترفرف على جنباته ألوية
الطمأنينة ، والعزة والطموح ، قال تعالى في
وصف عناصر هذا المجتمع الرشيد :

« والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم
يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم
حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان
بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك
هم المفلحون » .

في هذه الآية الكريمة جماع الخلق الاشتراكي
طلب الايثار والنهي عن الشح ، واعتبار التوقى

الأسرة هي الوعاء الأول الذى تتم فيه التجربة الجديدة . فاذن يجب أن تقوم حياة الأسرة فى مجتمعنا الجديد على « السيكولوجية » الاشتراكية من ناحية ، وعلى السلوك العملى الاشتراكى من ناحية أخرى .

كان من ميراث التربية الرأسمالية فى بلادنا اعتبار رأس الأسرة نفسه أمراً منفرداً يملأ رأيه ولا يناقش فى شيء ، وكان ذلك يشل قوى جميع أفراد الأسرة ، ويعطل مواهبهم عن الظهور والعمل فترة طويلة من العمر ، وكانت المرأة بتأثير تلك التربية تحرم من كثير من حقوقها الأصلية المشروعة ، ولا أعنى حقوقها التى تدعيها ، وكانت كل أسرة صغيرة أو كبيرة ، عالية أو نازلة ، على قدر حظها ، ونسبتها فى سلم الاعتبارات الرأسمالية ، تحمل فى نفسها الكبر ، والمنافسة ، وعدم التعاون بالنسبة للأسر التى تلتقى معها بعلاقات الجوار ، أو العمل ، وسائر أسباب الأخذ والعطاء وعند كل مواضع الالتقاء .

ذلك أن مظهر انعكاس النظام الرأسمالى على تربية الانسان ، انما هو الصراع المحتدم ، والمنافسة المسعورة ، التى لا تتزود بها النفس بغير الحقد والمرارة ، والشح والأنانية .

عمل الأسرة اذن فى النظام الاشتراكى الجديد ، هو التخلص من هذه الرواسب الضارة ، الشريرة التى يعود ضررها أخيراً على كل مواطن بجزء مقسوم صفر أو كبر ، فواجب الأب ، وواجب الأم ، معا أن يقررا فى حياة المنزل بينهما وفيما بين أولادهم ، سلوكاً يقوم على الايثار ، والتعاون الفكرى والعملى ، كما يقوم على مبدأ الاهتمام بأمور الغير فى مواطن الخير والابتلاء ومحاربة رذائل التراث الأخلاقى الرأسمالى ، التى تتجه بروح المجتمع الى التفاوت

الطبقي والكبرياء ، وجمود العواطف نحو آلام المتألمين ، وكف الأيدى الناعمة عن التعاون مع سائر المواطنين ، وأن تنشئ كل أسرة بنيتها وبناتها على الفهم الاشتراكى ، والسلوك الاشتراكى ، وذلك انما يكون ببيان محاسن النظام الاشتراكى ، ومميزاته الجوهرية التى تعود على كل فرد بالخير والتنمية فى حياته الأدبية والمادية ، ويكون أيضاً ببيان أن النظام الاقتصادى المضاد للنظام الاشتراكى من الرأسمالية وغيرها لا تؤدى للانسانية خدماتها الصادقة ، ولا تحقق لها حاجاتها المطلوبة ، ولا تهيب لها أسباب السعادة والرخاء ، واليسر التى تنشدها .

وان أى نظام آخر يضاد الاشتراكية انما هو نظام دخيل على بيئتنا ، وموروثاتنا الفكرية والاقتصادية ، وانه لا يمكن أن يلائم حياتنا ، ولا أن يلائم اتجاهات نفوسنا ، واستقرار أوضاعنا ، ثم يعنى بوجه خاص ببيان أن هذا النظام الاشتراكى الجديد انما هو نظام عادل أمين تنبثق جنوره ، واستمداداته من الدين الاسلامى الحنيف ، وأن الاسلام دين انسانى يتمشى بمبادئه وتشريعاته مع كل نظام اشتراكى سليم ، يحقق للانسان حاجته ويوفر له على جهة العدالة والمساواة أسباب معيشته .

وقد قال صلى الله عليه وسلم « ما نحل والد ولده نحلة أفضل من أدب حسن » وأن أفضل الأدب وأنفعه أن يتلقى الناشئ فى احضان الأسر الواعية تربية اشتراكية سليمة وتوعية وطنية ثابتة عميقة الجذور كبيرة التأثير . ان نشر الوعى الاشتراكى وحماية الأسس الاشتراكية من جانب الأسرة أكبر عملها وأقدس واجباتها .

وبذلك يتاح لنا أن ننشئ مجتمعاً اشتراكياً أصيلاً ، وثيق البناء ، عميق الجذور يبشر ظهوره بمصير أفضل ، ومستقبل زاهر الثمرات وافر الخيرات .

لَسَنَ مِنْ طَرَارِ مُونِيكَ.. لاجرسون

الأستاذ أحمد محمد بري

فنحن نعلم أن العرب لم تؤنث لفظ غلام فتقول غلامه . وكذلك فعل الفرنسيون فلم يؤنثوا «غلام» - جرسون - فالواضع الفرنسي والواضع العربى سلكا سلوكا واحدا من حيث اللفظ ، قال كلاهما « غلام » ولم يقل « غلامه » .

ولكن الكاتب الفرنسى « فيكتور مرجريت » قال « غلامه » اذ أضاف علامة التأنيث الى اللفظ محققا النون من « جرسون » فذلك تؤنث عندهم لو كان مما يؤنث .

وهو انما فعل هذا لان « مونيك » سارت سيرة الفلمان فى حياتها الخاصة : ذلك بأنها خدعت ، خدعها خطيبها الذى كشفت بفتة انه خدين أخرى غيرها ، فكان لهذا الكشف أسوأ أثر فى نفسها . . لماذا يففر المجتمع للشباب من الرجال خطيئاتهم اذا هم عدلوا عن سواء السبيل ، واقترفوا ما شاء الشيطان أن يقترفوا من الفواحش . . ؟ انه لا عار ولا شئ يجره الفتى على نفسه ولا على أسرته اذا هو اتصل صلة غير مشروعة بفتاة أو امرأة ، سواء اكان هو زوجا أم لم يكنه . فى حين يدعى بالويل والثبور ، وعظائم الأمور ، اذا اتصلت المرأة - ولو غير متزوجة - تلك البصلة نفسها برجل ؟

لقد فضل الرجال على النساء بما انفقوا من أموالهم عليهن . فلقد قامت الحياة الانسانية على أن يعول الرجل المرأة . وبهذا - وحده - كان له عليها درجة .

قال صاحبى :

انها لنماذج شاذة . . تلك النسوة اللاتي عرضت لهن على صفحات « منبر الاسلام » فليس من طبائع الأشياء أن ترى المرأة فى ميدان القتال تبقر البطون ، وتلوك الكبود ، وتتخذ من آذان القتلى ومناخرها مساخرا أو ملاعب تعبث بها .

واذا كان قد قيل بحق :

كتب القتل والقتال علينا

وعلى الفانيات جر الذبول

فكيف ترى تلك التى خلعت زياها النسائى، وتزيت بزى المقاتلة من الرجال ، معلنة أنها سئمت غسل رأسها ودهنه . . وانه أولى لها ثم أولى أن تناضل الرجال فتقطع رءوسهم ، عسى أن يقيض الله لها رجلا حديد الساعد يقطع رأسها هذا الذى كرهت ثقل جملة .

انه للون من ألوان السادية التى مثلتها « مونيك » الفتاة التى حدثنا عنها الكاتب الفرنسى الأستاذ « فيكتور مرجريت » فى قصته « لاجارسون » أو « الفتاة المسترجلة التى مشت فى الأسواق واتجرت فنافست الرجال وكانت رجل أعمال ناجحا . قلت :

- على رسلك . . فانه لا قياس حتى مع

الفارق - كما يقولون - الا اذا أردت اللفظ ووازنت بين لفظ جرسون الفرنسى وبين لفظ « غلام » العربى .

ان « مونيك » لن تكون عيالا على أحد من الرجال . . لا أب ولا أخ ولا زوج ينفق عليها ، ستتولى هى أمور عيشها ، فتكون قوامة على نفسها . . انها لا تحلم حلم يقظة ، بل تباشر العمل بالفعل فتكون من رجالات الأعمال . . وتتعرض أعمالها حيناً من الدهر الا أنها لا تلبث أن تستقيم ويترد لها النجاح .

وتختلط بطوائف مختلفة من الناس وبخاصة « أهل الفن » لأن عملها يمد اليهم بسبب ، وكذلك تيسر لها سبل الفواية فتضى فيها على غير استحياء . لقد انتقمت من خطيبها فى الليلة نفسها التى رآته فيها مع معشوقته ، اذ استسلمت لأول رجل صادفته فى الطريق وقالت لأبيها وأمها وخطيبها : انها فعلت فعلتها هذه النكراء .

وخرجت من بيت الأسرة الى حيث استقلت بعيشها ، تصنع بحياتها ما تشاء ، لا يحدها حد ، ولا يرد عليها قيد من قيود العرف والعادات والسنن الموروثة التى حجرت على غرائز الانثى وأطلقت للرجل عنان غرائزه . . وتنطلق « مونيك » انطلاقها طوع غريرتها ، تخادن هذا وذاك . . وهذه وتلك . . فقد عرفت فيما عرفت - الشذوذ الجنسى ، حتى يهين الله لها سبيل الرشاد عن طريق رجل شريف كريم « واسع الأفق » يستطيع أن يدرك أنها طيبة العنصر ، سليمة الفطرة التوت بها طرق الحياة على غير قصد منها وألقت بها آخر المطاف بين يدي صديقه الشاعر الفيور الى درجة الجنون فقد كاد يردىها برصاص مسدسه لولا أنه تلقاه هو ، اذ جعل جسمه درعا حال بينها وبين الموت .

ويأبى لطف الله الا أن يكون جرحه غير قاتل وهكذا تنهى فرصة التفاهم والتحاب والزواج .

وتحيا « مونيك » وزوجها الأستاذ « ملاشيه » حياة هادئة هائلة سعيدة .

لقد عرض الأستاذ فيكتور مرجريت فى قصته تلك لبعض الآثار السيئة التى انجلت عنها الحرب العالمية الأولى وبخاصة عند الفئة التى أثرت وأثرت ، وما كانت « مونيك » الا بنت احدى تلك الاسر التى اطلق عليها اسم « اغنياء الحرب » ، فما العلاقة بينها وبين النماذج النسائية العربية التى عرضتها على صفحات منبر الاسلام ؟

أنه لا علاقة البتة . فان مسألة « مونيك » مسألة فردية لشخصية لا تمت بسبب الى السياسة أو الشؤون العامة ، فى حين أنى لم أعرض لما عرضت له من شؤون السيدات اللواتى تحدثت عنهن الا من حيث اتصاله بالحياة العربية العامة .

ان واحدة ممن عرضت لهن لم تشهد فتوصم بالسادية أو الماشوسية أو غيرهما مما يوصم به السلوك الفردى ، وانما هن سيدات عربيات كريمات ، جاهليات كن أو اسلاميات ، مواليات للدولة الاسلامية أو خارجيات . ان الصفة العامة المشتركة بينهن جميعا هى الاخلاص فى الشرك والايمان سواء .

لقد كانت هند بنت ربيعة ترى أنه ليس فى الامكان أبدع مما كان ، وان أمور العرب لا تصلح الا أن تظل كما كانت أيام الجاهلية . . ولكن محمدا - صلى الله عليه وسلم - يريد أن يقلب الدنيا رأسا على عقب : يريد أن يرفع العبيد والاماء والقطين - الذين لا يجوز الا أن يكونوا هملا وتبعاً - الى المنزلة الرفيعة منزلة السادة الأعلين .

وهل يتأتى ذلك الا بنزول أولئك الى درك السفلة الأرذلين ؟

كلا ، فدون ذلك خرط القتاد وركوب الأهوال . ولكن محمدا وأصحابه من المهاجرين ، وأنصاره من الأوس والخزرج ، ينتصرون على سادة مكة ، ويقتل عميد الأبطحين كليهما وابنه وأخوه وبنو عمه وبنو خاله ،

وكثيرون غيرهم من الذين يشار اليهم بالبنان، فهل تخضع هند راضية بالدنية أو مقرة الأمر الواقع على ما تكره ؟ لا وحق اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ..

بل لابد أن تلم قريش شعثها وشعث أحلافها وأحاييشها ، والحرب عادية سجال كانت علينا مرة وستكون لنا كرة أخرى ، ولن يطول صدى هجمات الأشياخ الذين هلكوا يوم بدر . ويمضى عام ويلتقى المسلمون والمشركون لقاء آخر ، ويشاء الله أن يمتحن المسلمين ويمحص قلوب المؤمنين، فتثار قريش لقتلها ويتفنى أمثال ابن الزبيرى بمثل قوله :

ليت أشياخي ببدر شهدوا

جذع الخزرج من وقع الأسل

ويقر قرار هام الألى قتلوا منذ عام الضرم ، وترضى هند ، الا أن رضاها الى أجل ، فان العاقبة للمسلمين الذين لا يلبثون أن تتفرق كلمتهم وتنقلب خلافتهم ملكية استبدادية باغية مسرفة فى البغى والعدوان ، وتقوم الدعوات المعارضة ويتحزب الأحزاب ويخرج الخوارج . وتجد من الخارجيات نساء ذوات عزمات صادقات ، مثل أم حكيم ،

التي تحمل رأسا سئمت حمله ، وكسرهت غسله ودهنه ، فعسى أن يقيض الله لها فتى يحمل عنها ثقله ، انها ليست ذات خطيب خدعها مع أخرى . بل ان حياتها الخاصة بعيدة كل البعد عما هى بصدده . انها بصدد اقامة دعائم الاسلام الحق .. فان الملوك والأمراء ومن والاهم كلهم فسقوا عن أمر الله فيما نرى .

فالكلمات التى سلفت لم تتناول - على سبيل الحصر لا المثال - الا واحدة من ثلاث : امرأة جاهلية أصرت اصرارا على خلق جاهلى هو فى الأصل فضيلة أسرف فيها فانقلب الى ضدها من باب ((اذا زاد الشيء عن حده انقلب الى ضده)) أو كما قيل : الفضيلة حال وسط بين طرفين كلاهما رذيلة .

ثانية : سارت سير أختها فى طريق الضلال حتى شرح الله صدرها للاسلام فعدلت الى طريق الرشاد .

ثالثة : مسلمة رأت الدولة الاسلامية تنحرف عن الاسلام فأثرت أن تناضل وتجاهد فى سبيل الله حتى تموت أو يرجع الحق الى سبيله ، فهى لن يصيبها الا احدى الحسنين .

قال معاوية - رضى الله عنه - :

الفرصة خلسة ، والحياة يمنح الرزق ، والكلمة من الحكمة ضالة المؤمن .

وقال المعتمر بن سليمان : -

كان يقال عليك بدينك ، ففيه معادك ، وعليك بما لك ، ففيه معاشك . وعليك بالعلم ففيه زينك

مقارنات بين الشريعة الإسلامية والقرآنين الرضعية المستأر على على منصور

- ١ -

فتح مكة :

نقضت قريش هبة الحديبية على ما أسلفنا، فعادت بذلك حالة الحرب التي كانت قائمة بين الرسول والمسلمين ، وبين قريش وكانت قريش هي التي بدأتها وأعلنتها في مكة وأكدتها بذهابها الى المدينة ، حيث كانت غزوات بدر وأحد والخندق ، فسار النبي - عليه الصلاة والسلام - الى مكة في عشرة آلاف مقاتل لم تر الجزيرة مثل عتادهم من قبل حين أنهم كانوا لا ترى منهم الا الحدق « حدقات العيون » وعلى الرغم من توكيد ربه له بالنصر في سورة الفتح ، وعلى الرغم من أن الجيش كان على أحسن حال من التسليح والايمان والرغبة في الاستشهاد .

ولكن محمدا الداعية الى السلام، كان يرجو أن لا تقع بينه وبين قريش معركة يذهب ضحيتها الكثير من المشركين ، ونذكر في هذا المقام أن أحد قواد فرق المسلمين في ذلك اليوم قال عندما اقترب الجيش اللجب الزاحف الى مكة قال : « هذا يوم الملحمة » فسمعه الرسول فغضب من قائلته ورد عليه « بل هذا يوم الرحمة » ولم يتعجل الرسول بدخول الجيش مكة ، بل عسكر في خارجها ، وأمر من

دعى اليه أشرافها ومنهم أبو سفيان بن حرب الذي أخذه العباس ليلا وسار يطوف به على فرق الجيش ليوقن أن النصر حليف المسلمين فيكف قومه عن الحرب ، وأمر رسول الله بأبلاغ أبي سفيان وأهل مكة يوم الزحف ، بأنه لا يريد حربا وإنما يريد أن يخلص بيت الله الحرام من الأوثان التي اجتلتها وأرجسته وقضت على الحنيفية والوحدانية دين ابراهيم ونودي في أهل مكة : أن من دخل المسجد الحرام فهو آمن ، ومن دخل بيت أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابا عليه فهو آمن ، ودخل مكة من غير حرب ودون أن يريق دما ، دخلها من ثلاث جهات بثلاثة جيوش قادمة قاهرة ، ولو كان يريد تشفيا وانتقاما كما يرجف المرجفون ، لأمن فيهم قتلا ، ودخلها دخولا ما دخله أحد من قباه ولا من بعده ، كما قال ابن القيم الجوزية : دخل وذقنه يمس قربوس سرجه خضوعا وشكرا لله الذي البسه ثوب هذا النصر والفتح المبين بغير حرب ولاقتال حتى أتى الكعبة ، فأمر بما فيها وما حولها من الأصنام فكسرت ، وعلا كعب بلال فوق الكعبة بأمر الرسول ليؤذن في الناس .

بلال الذي كان يجر في الرمضاء على جمر الفتنة بذى طوى ، ولما رفع صوته بالأذان

أجابته القبائل ودخلوا في دين الله أفواجا ، فاجتمع أهل مكة ممن كان في دار أبي سفيان ومن كان مغلقا بابه عليه وازدحم الحرم بهذا الحشد الجامع والحفل الحافل ، وكلهم وجل مما عساه نازل بهم على ما قدمت أيديهم للمسلمين ورسولهم من أذى وقتل وطرده وحرمان وحصار وحرب دامت عشرين عاما ، فوقف الرسول البرالكريم المسالم العفو، يخطب في الناس ويقول « ما تظنون أنى فاعل بكم ؟ » قالوا : أخ كريم ، افعل ما بدا لك فقال لهم : اذهبوا فأنتم الطلقاء ، لم يفرض عليهم غرامات حرب كما يفعل القواد المنتصرون اليوم باذن من القانون الدولي ، ولم يستول على أملاكهم ولم يطالبهم بدية من قتلوه من المسلمين ، فكان اليوم كما قال : يوم الرحمة لا يوم الملحمة وقف الرسول بين عضادتي باب الكعبة وخطب الناس ومما قال : ((ألا كل دم ومال ومأثره في الجاهلية فانه موضوع إلا سدانة الكعبة وسقاية الحاج فانهما مردودان إلى أهلها إلا وإن مكة محرمة بحرمة الله لم تحل لأحد من قبلي ولا تحل لأحد من بعدي إلا ساعة من نهار أحلت لي فيها وقال : من كان في بيته صنم فليكسره ودعا بالنساء فبايعنّه ، وأخذ عليهن العهد والميثاق فإذا أقررن بالسنتهن قال بايعتكن ولايمس أيديهن فأقر بذلك بوجود المرأة ومساواتها للرجل إلا فيما أمر الله به له عليها من طاعة .

أبعد هذا يسوغ لمتقول أو مفتر أن يتهم الاسلام ورسوله بما أرجفوا به ؟

• غزوة حنين وغطفان

أما غزوة حنين ، فسببها أن ثقيف وهوازن وقبائل الطائف لما علموا بفتح مكة ، جمعوا جموعهم وقالوا : لقد فرغ محمد من قریش، ولا ناهية له عنا فلنغزوه قبل أن يغزونا ، فالتقى الجمعان في حنين ، بقرب مكة ولما علم الرسول بتجمهرهم ، خرج اليهم في ثلاثة عشر ألف مقاتل ، وأما غطفان فمر القول أنها كانت على حرب مع الرسول منذ غزوة الخندق ، ولم تحصل بينهم وبين المسلمين هدنة كهدة الحذيبية ، بل بقيت حالة الحرب قائمة ،

فلو بدأ الرسول بغزوهم ، لحق له ذلك، ولكنه لم يفعل وبلغه أن غطفان - بعد الفتح - جمعت جموعها مع بنى ثعلبة ومحارب ، بذى الكتف فسير اليهم جيشا هزمهم، ثم سار هذا الجيش إلى نجد لما علم بحشد جيوشها .

وفود الجزيرة إلى الرسول :

قال ابن اسحاق : لما أسلمت ثقيف وبايعت بعد فتح مكة ، انصرف إلى رسول الله وفود العرب من كل جهة ، فدخلوا في دين الله أفواجا حتى سمي العام التاسع عام الوفود وبايعوا الرسول ، ومنهم وفد الأشعرين ، وأهل اليمن ، جاءوا عن رضى لا عن خوف ، حيث دخلوا المدينة يرتجزون .

• غدا نلقى الأحبة •

محمدًا وحزبه

وكذا وفد الأزد وهم قبائل في اليمن ، ووفد بنى كعب بنجران ووفد همدان ووفد دوس ووفد نجران ، ووفد بنى سعد ووفد بنى سعيد .

بعوث الرسول وكتبه

بعد أن تكونت الدولة الإسلامية العربية في الجزيرة ولم يبق فيها إلا دين واحد بعث - عليه الصلاة والسلام - سنة سبع للهجرة بكتبه ورسله إلى أمراء العرب على تخوم الجزيرة ممن كانوا تحت سلطان الفرس وإلى أمراء نصارى العرب ممن كانوا تحت سلطان الروم، بل كتب إلى الملوك والأباطرة، كتب إلى هرقل عظيم الروم وإلى كسرى عظيم فارس وإلى النجاشي ملك الحبشة وإلى المقوقس رئيس القبط بمصر وإلى المنذر بن ساوى ، وإلى ملك عمان وإلى صاحب اليمامة .

وهذه الكتب فضلا عن أنها دعوة للإيمان بالله وعبادته وحده فانها إعلان من جانب الدولة الإسلامية بقيامها ووجودها ، وهو أمر متبع في القانون الدولي الحال فاذا ما قامت دولة ولو بالانفصال عن غيرها أو بأية وسيلة أخرى فانها تخطر الدولة الأخرى بقيامها ، وكأنها تسأل الاعتراف بها ،

تطور الخط العربي في العصور الإسلامية

الدكتور حسن الباشا

العربية من علامات الإعجاز والحركة حتى يمكن تفادي الخطأ واللحن خصوصا في تلاوة القرآن الكريم .

ومن المعروف أن الخط العربي كان الوسيلة الأساسية التي حفظ بها القرآن ، إذ اتخذ النبي - صلى الله عليه وسلم - كتابا يدونون الآيات القرآنية بخط عربي .

وفي عهد عمر تم جمع القرآن الكريم بعد أن استشهد كثير من حفظته في ميادين الجهاد ، وفي عهد عثمان كتبت المصاحف وأرسلت إلى الأقطار الإسلامية المختلفة . وهكذا كان للخط العربي دوره المهم في حفظ القرآن ، وفي تداوله وانتشاره ، وفي التعبد بتلاوته .

وليس من شك في أنه كان لكتابة القرآن وتلاوته في المصاحف فضل كبير في اعزاز شأن الخط العربي ، والرغبة في تحجيره وتحسينه ، وفي نظر المسلمين إليه باحترام وتقدير ، وتأملهم له بلذة دينية ، وتذوقهم لجماله بمتعة روحية . وقد أدى هذا كله بدوره إلى المبالغة في تزويقه ، والتطور به تطورا زخرفيا فنيا .

ولقد ساعد على العناية بالخط العربي أيضا ما تشتمل عليه تعاليم الإسلام من تقدير للكتابة إذ أقسم بها الله سبحانه ، فقال جل شأنه :

« ن والقلم وما يسطرون » .

كما أشير إليها في أول الآيات التي نزلت على النبي - صلى الله عليه وسلم - : « اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم » .

على الرغم مما أورده المؤلفون من أخبار وآراء بخصوص نشأة الخط العربي وتطوره ، فإن تاريخ هذا الخط لا يزال مشكلة تحتاج إلى كثير من الدراسة والتمحيص ، ولا سيما فيما يتعلق بتطوره قبل الإسلام . والحق أنه لم يصلنا من الكتابات العربية التي ترجع إلى عصر ما قبل الإسلام غير بضع كتابات أثرية بعضها مكتوب بلغة غير عربية وبخط غير عربي .

ولكن بظهور الإسلام أخذ شأن الخط العربي في الازدياد : إذ لم يلبث العرب أن انتشروا في كثير من أجزاء العالم المتحضر في ذلك الوقت ، وامتد النفوذ العربي الإسلامي في نحو قرن من الزمان من حدود الهند شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا ، ومن ثم أخذوا يمكنون للغة العربية التي أصبحت ذات قيمة دينية وأدبية إلى جانب أهميتها السياسية . . . وتبع ذلك بطبيعة الحال التمكين للكتابة العربية التي لم يقتصر استعمالها على اللغة العربية ، بل صارت تكتب بها فيما بعد لغات أخرى غير عربية .

ولقد كان من الأسباب الرئيسية في انتشار الكتابة العربية تعريب الدواوين في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان .

وبالإضافة إلى ما أحرزته الكتابة العربية من انتشار واسع فإن الخط العربي قد حظي منذ ظهور الإسلام بعناية موضوعية من حيث التجويد والتطوير نحو الجمال والاتقان .

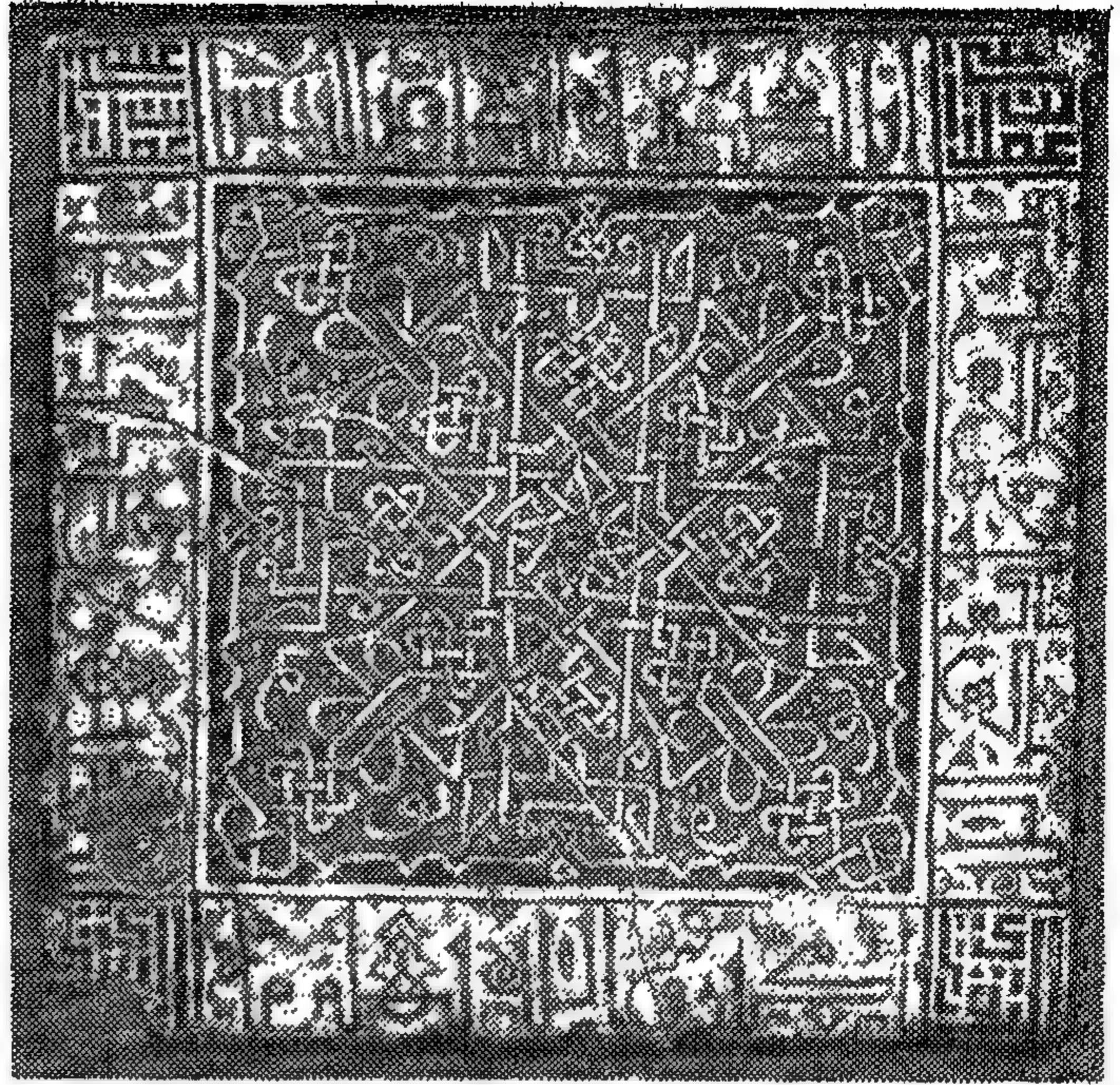
ويتضح جانب من جوانب العناية بالكتابة العربية فيما أدخله علماء اللغة على الحروف

بلاطة من الخزف من عمل غيبى
الفنان المصرى فى عصر المماليك ترجع
الى القرن الثامن الهجرى (١٤ م) .
وهى محفوظة بمتحف الفن الاسلامى
بالقاهرة رقم ٢٠٧٧ . وقوام زخارفها
كتابات كوفية ونسخية تقرا كما يلى :

فى الاركان الاربعة بالخط الكوفى
المربع « عمل غيبى بن التوريزى »

فى الاطار بالخط الكوفى المزهر « ان
الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر
ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون
صدق الله » .

فى الوسط بخط نسخى مجدول
ومتقابل « توكل على خير معين ؟ »



اما الخط العربى نفسه فقد احتل مكان
الصدارة بين الفنون الأخرى ، ولم يقف دوره
عند حد استخدامه كوسيلة لتدوين المصاحف
أو التعليم ، أو فى المكاتبات العادية أو الرسمية
بل استخدم أيضا كعنصر زخرفى وأثرى : إذ
زينت به المباني سواء أكانت دينية كالمساجد
والأضرحة ، أم مدنية كالقصور والمؤسسات
العامة ، وزوقت به منتجات من جميع الفنون
التطبيقية كالمنسوجات والخزف والتحف
الخشبية والعاجية والمعدنية والأدوات
الزجاجية وغيرها ، كما أقبل المسلمون
على اقتناء نماذج الجميلة ، والواقع
أن الخط العربى قد لعب فى عالم الفن
والزخرفة دورا لم يلعبه غيره من الخطوط فى
أى عصر من العصور أو قطر من الأقطار .

وربما كان من أهم مظاهر العناية بالخط
العربى تفريعه الى عدد من الخطوط يتميز كل
منها بخصائص معينة . وأهم هذه الخطوط
نوعان رئيسيان : هما الخط الكوفى المزوى ،
والخط النسخ المقوس .

وقد كانت نشأة هذين الخطين وتطورهما
مثار آراء مختلفة . وكان الراى الشائع أن

وفضلا عن ذلك فإن العناية بالكتابة تعتبر
مظهرا من مظاهر العلم والتحضر والمدنية التى
عمل الاسلام على انماؤها ونشرها ، والكتابة فى
الوقت نفسه من أهم وسائلها ، ولأمر ما قرن
بين العلم والكتابة فى الآيات الكريمة السابقة .

ومن جهة أخرى يلاحظ أن طبيعة الخط
العربى وأشكال حروفه ، وما تمتاز به من
الموافقة والمرونة قد هيأت الفرص المناسبة
للتحسين والتنويع . وليس أدل على ما تحمله
أشكال الحروف العربية من بذور الخصب
والابتكار من أن الحروف العربية قد كتبت
بأكثر من ثلاثة آلاف هيئة ، بل إن حرف الهاء
وحده قد ورد له نحو تسعمائة شكل مختلف .

والحق أن هذه الظروف كانت مما هيا المجال
لأن يحتل الخط العربى ومزاويله من الخطاطين
أعلا درجة من التقدير والإعزاز بالنسبة للفنون
الاسلامية الأخرى .

ولاعجب أن رأينا الخطاطين وحدهم دون
غيرهم من الفنانين المسلمين قد حظوا بأكثر
قسط من عناية المؤلفين العرب : فصنفت عنهم
المقالات والكتب التى تناولت الكلام عنهم وعن
أخبارهم ، وأشادت ببراعتهم ومواهبهم ،
وبما وهبهم الله من ذوق راق وفن جميل .

يشسبون الى على - رضى الله عنه - الفصل
في بداية العناية بالخط وتحسينه .

ولقد كان هذا الخط الكوفي أو العربى على
نوعين : هما المبسوط ، وهو خط جامد
يتألف فى الغالب من مستقيمات وزوايا ،
والمقور : وهو خط لين تقل فيه المستقيمات ،
وتحل الأقواس محل الزوايا .

ولما كان الخط يتألف - كما قدمنا - من
مستقيمات تتقابل فى زوايا صار من السهل
التوصل الى تنسيقه وترتيب حروفه فى وقت
قصير . وأقدم ما وصلنا من الخط المبسوط
المنسق كتابات ترجع الى بداية العقد الثامن
من القرن الأول الهجرى ، وأهمها كتابة
بالفسيفساء فى قبة الصخرة بالقدس ترجع
الى سنة ٧٢ هـ .

الكوفي أسبق فى الظهور ، وإن الخط النسخ
قد تطور منه ، وربما كانت روايات المؤلفين
الأقدمين توحى بذلك عند الوهلة الأولى .

والواقع أن المؤلفين المحدثين - ولا سيما
المستشرقين منهم - قد فهموا الروايات القديمة
على هذا النحو ، ومن ثم انبروا الى تفنيدها على
أساس دراسة ما تبقى من الكتابات الأثرية ،
والكتابات على العملة والصنوج ، وفى أوراق
البردى والمخطوطات القديمة وغيرها : ذلك
أنهم لاحظوا أن الخط العربى كان يحمل منذ
البداية بذور الطابعين المزوى والمقوس ، وأن
الخطين المزوى والمقوس قد وجدا معا فى وقت
مبكر .

ولكن بدراسة ما أورده المؤلفون العرب عن
الخط العربى فى ضوء القرائن المادية التى
تتمثل فى نماذج الكتابة العربية التى وصلتنا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نموذج من خط على بن هلال المشهور بابن البواب .
وهو منقول من نسخة « شعر سلامة بن جندل » فى خزانة
كتب قصر بغداد فى متحف سراى طوب قبو فى استنبول
رقم ١٢٥ (عن كتاب الخطاط البغدادي على بن هلال
المشهور بابن البواب تأليف الدكتور أ . سهيل انور
وترجمة محمد بهجة الأثرى وعزيز سامي)

ولقد فطن الفنانون المسلمون منذ عصر مبكر
الى ما فى هيئة الكتابة المبسطة من طابع
زخرفى : ذلك أنها تتألف من قاعدة مستقيمة
تمتد أفقيا ، وتتقابل معها مستقيمات فى زوايا ،
مما جعل الكتابة تتخذ هيئة شريط زخرفى ،
ومن ثم عملوا على انماء هذا الطابع الزخرفى ،
فأدخلوا عليه كثيرا من التحويرات الزخرفية
حتى صار هذا الخط المبسوط بحق وحدة

يمكن أن نوضح بعض الحقائق بخصوص هذا
الموضوع .

فمن الملاحظ أن المؤلفين القدامى كانوا
يطلقون على الخط العربى بصفة عامة اسم
الكوفى . وربما كان من أسباب هذه التسمية
غلبة العناية بالكتابة العربية فى مدينة الكوفة
منذ أن اتخذها على بن أبى طالب مركز الخلافة
الاسلامية . ومن المعروف أن بعض المؤلفين

أساسية من الوحدات الزخرفية في الفن
الاسلامى .

ولقد أدت سهولة تنسيق هذا الخط
المبسوط وتجويده وزخرفته الى أن أصبح
أشبه بخط رسمى طوال القرون الخمسة
الأولى حتى كاد أن يقتصر عليه وحده في تدوين
المصاحف ، وفي الكتابات الأثرية ، وفي النقوش
الزخرفية ، وفي الكتابة على العملة وعلى
الصنح .

ويجب أن نقرر هنا أن هذا الخط المبسوط
قد انفرد وحده أخيرا باسم الخط الكوفى ،
ولا يزال يطلق عليه هذا الاسم حتى الآن .
واعتقد أن هذه التسمية هى السبب فى الخطأ
الذى وقع فيه بعض المؤلفين المحدثين فى
معارضتهم لما جاء فى الكتب العربية القديمة عن
تطور الخط النسخ من الخط الكوفى : ذلك
أنهم حملوا المصطلح القديم مدلول المصطلح
الحديث : أى أنهم لم يفرقوا بين معنى
« الخط الكوفى » فى المؤلفات القديمة ويقصد
به الخط العربى القديم بنوعيه : المبسوط
والمقور ، وبين اصطلاح « الخط الكوفى » فى
المؤلفات المتأخرة ، ويقصد به الخط المزوى
وحده .

✱

وإذا كان النوع المبسوط من الخط الكوفى -
أو الخط الكوفى حسب المصطلح الحديث -
أسهل من حيث التنسيق والتزويق بحيث
صار فى الامكان تطويره وتجميله فى وقت
قصير نسبيا فان النوع المقور كان من جهة
أخرى أسهل تناولا بصفة عامة ، وذلك لما
يمتاز به من ليونة ، ومن ثم صار هذا النوع
المقور هو الخط الشائع أو العادى الذى كان
يستخدم فى المكاتبات المدنية والمعاملات اليومية،
والمؤلفات المختلفة سواء أكانت فى البردى أم فى
الورق أم غير ذلك .

ويتمثل أقدم ما وصلنا من نماذج الخط
المقور فى وثيقة من البردى : عبارة عن مكتبة
صادرة من أحد عمال عمرو بن العاص على
أهناسية فى مصر ، وهى مكتوبة باللغة العربية

واليونانية . وهذه الكتابة خالية من العناية
والتنسيق - شأنها فى ذلك شأن غيرها من
الكتابات المقورة المبكرة .

على أن الخطاطين المسلمين قد تذرعوا بالصبر
والمثابرة ، وأخذوا يبذلون جهدهم فى سبيل
العناية بهذا النوع من الخط منذ أواخر العصر
الأموى ، ولا سيما بعد استخدام الورق فى
العالم الاسلامى فى أواخر القرن الثانى من
الهجرة ، واستعمال الخط المقور على نطاق
واسع .

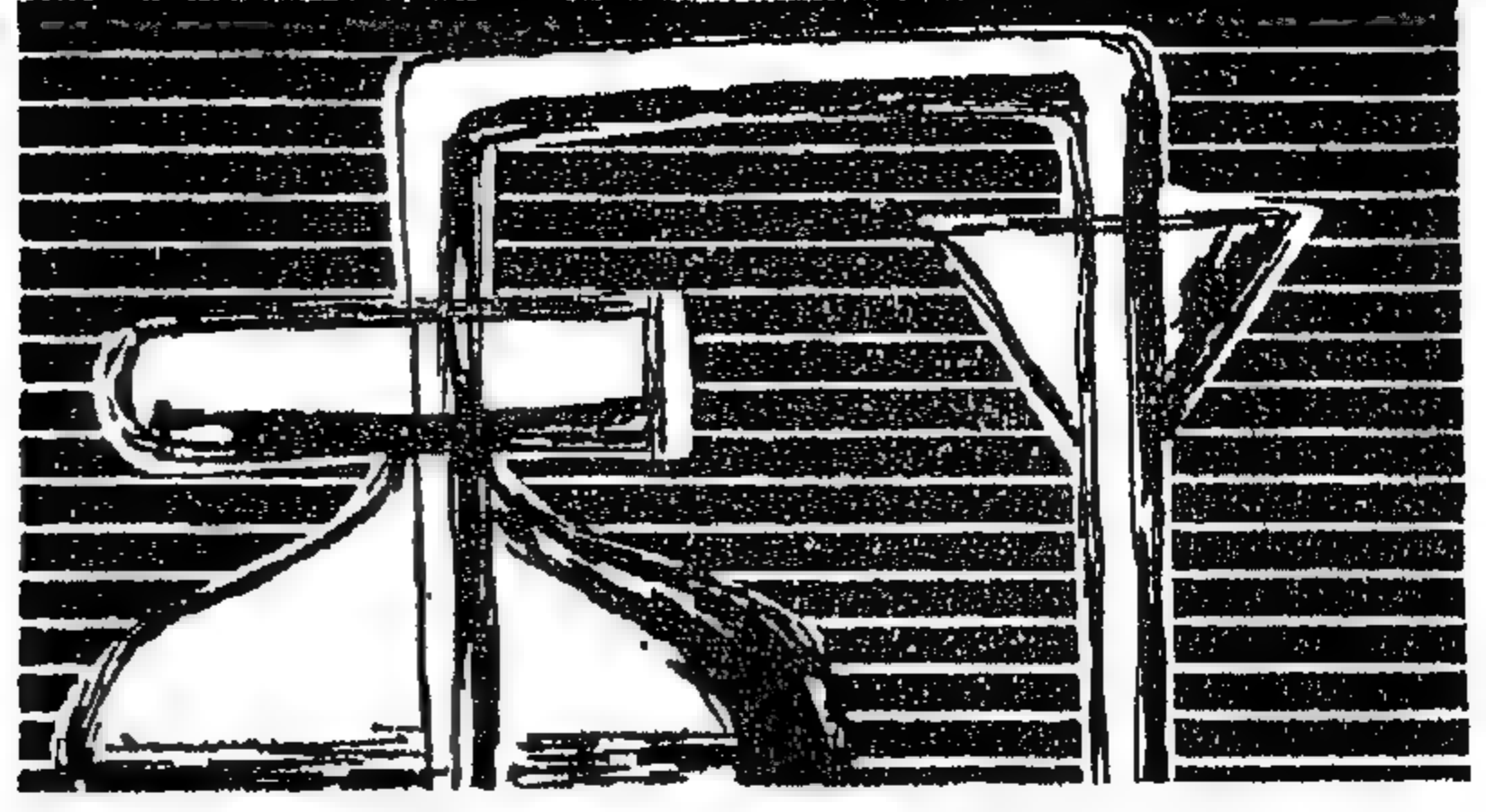
ويرجع الفضل فى تطوير هذا النوع من
الخط وتجميله الى سلسلة من الخطاطين
الأفذاذ الذين عاشوا فى القرون الخمسة
الأولى ، وربما كان أهمهم الخطاط الذائع
الصيت على بن هلال المعروف بابن البواب
المتوفى سنة ٤١٣ هـ . وقد كان هؤلاء
الخطاطون الكبار يتوارثون الخط المقور ،
ويضيف كل منهم من فنه الى تراث سلفه حتى
استطاعوا أن يطوروا خطا جميلا قليل الزوايا
كثير الاستدارة : هو الخط المنسوب الذى
صارت أجزأؤه تخضع لمقاييس ونسب معينة
تضفى عليه جمالا ورونقا وبهاء . وقد صار
هذا الخط يطلق عليه اسم الخط النسخ .

وما أن وصل الخط المقور أو النسخ درجة
مناسبة من التجويد والتنسيق حتى أخذ
ينافس الخط المبسوط أو الكوفى كخط رسمى
وزخرفى الى جانب استخدامه فى الكتابة العادية
وفى المؤلفات والكتب .

وقد حقق الخط النسخ انتصاره التام منذ
عصر السلاجقة والأيوبيين ، إذ صار تدون به
المصاحف الفخمة ، واحتل الصدارة فى
الكتابات الأثرية والزخرفية على المباني والتحف
الفنية .

ومع ذلك لم يفقد الخط الكوفى قيمته
الزخرفية : فقد ظل يستخدم - ولو على
نطاق ضيق - الى جانب الخط النسخ فى
الكتابات الأثرية والزخرفية .

ولا يزال الخطان محتفظين بهذه المكانة حتى
عصرنا الحاضر .

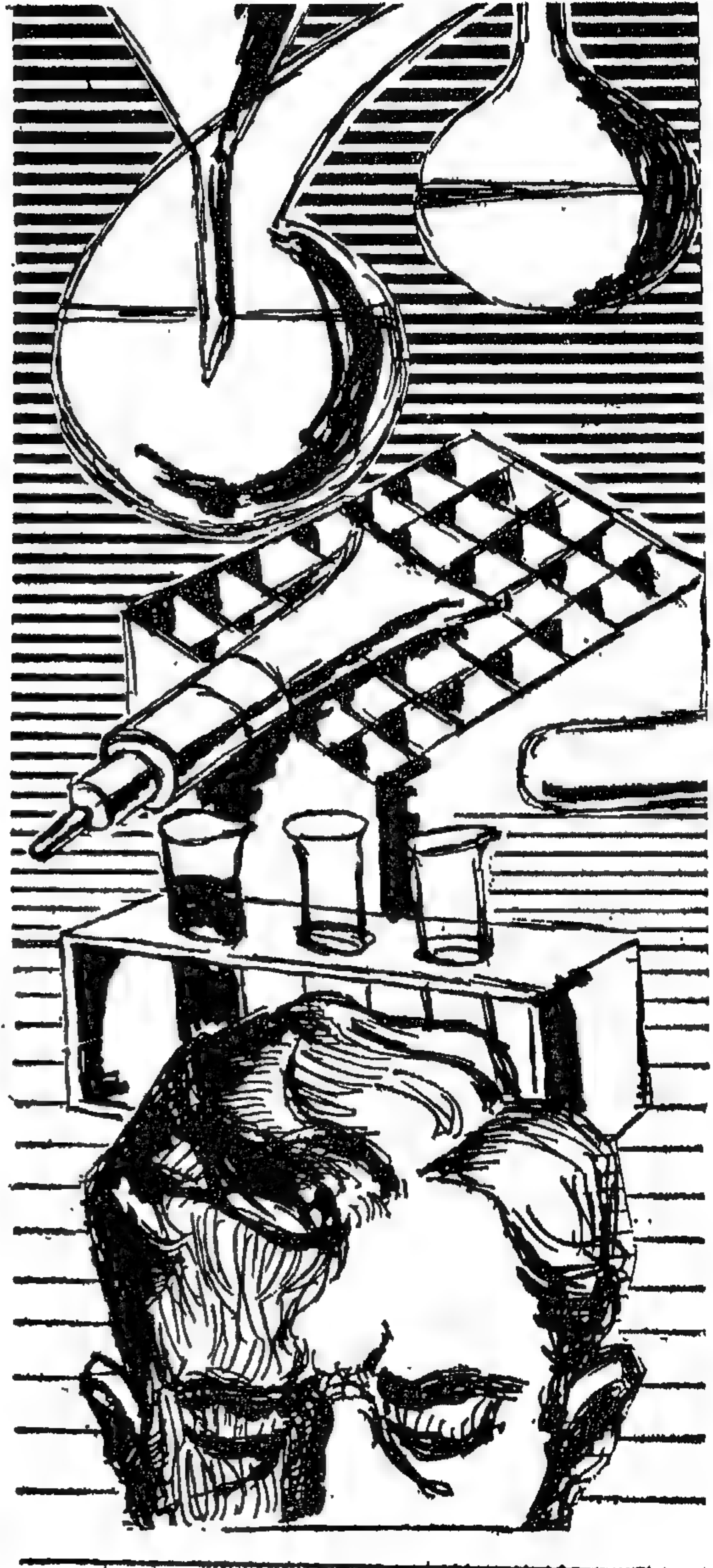


الناس أجدر بالاريمان

في حوار العلم

الدكتور محمد جمال الدين لفتي

عندما نشر مقال الأول بهذا العنوان ، أقبل
الى زميل كريم يجادلني بقوله : « ما هذا الذي
تدعى ؟ ألا ترى أن الايمان الذي نتحدث عنه
مكانه القلب ، وأما العلم فيعتمد على العقل ؟
وحتى القرآن الكريم انما يستشير الشعور
والوجدان ، ولا يدخل في المقدمات المنطقية ،
والمقاييس الحسية ! ليس من شك أن كل
شخص من البشر يمكن أن توجه الحديث الى
قلبه ، ولكن لا يصلح كل فرد لأن توجه
الحديث الى عقله » .



قلت : اعلم يا سسيدي ، أنه كما أغلقت عقول بعض أفراد البشر لسبب من الأسباب ، قد يكون الجهل أولها ، أغلقت قلوب البعض الآخر ، وتحجرت حتى صارت لا ترى الحقائق بحال من الأحوال ، ولا تلين ، ولا تعرف للخير سبيلا وكأن على قلوب أفعالها .

والقرآن لم يخاطب القلوب السليمة ولم ينفذ الى الضمائر الحية فحسب ، بل هو أيضا الى جانب ذلك أقنع ذوى العقول المفكرة ، وأهل البصيرة النيرة . وانك لتجد كثيرا من الآيات تعلو قيمة العلم ، والعلماء ، وتتناول المقدمات المنطقية ، والقيم الجدلية ، مثل قوله تعالى :

« إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور » .

« قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » .

« أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء » .

« قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ، إن تتبعون إلا الظن » .

الى آخر ذلك من عديد الآيات التي تدور حول هذا المعنى .

وليس من شك أن العلم يخدم العقيدة ، وقد يبعثها اذا خلصت النية . والعلم الحديث وان كان قد تباعد في ظاهره عن فكرة الدين ، وحقيقة الخالق ، الا أن علة ذلك خطأ أساسي في التوجيه ، وعدم صواب جوهرى فى المقصد ، شأنه في ذلك شأن امكان توجيهه الى دمار الأرض وما عليها بدلا من تعميرها واصلاحها .

ولم يتعرض العلم الحديث لمسائل الايمان بشكل مباشر ، بل غلبت عليه النواحي التطبيقية التي تهدف الى استغلال ما يكمن بين ثنايا الكون من مادة وطاقات ، دون

الخوض فى حقيقة أمرها وكيفية خلقها ، الا أن ذلك لم يكن حائلا يحول دون مشاهدة تلك النظم الرائعة ، ومتابعة تلك العناية العظمى التي تسيطر على كل ما فى هذا الوجود من جماد ، أو كائن حى ، مما يكشف عنه العلماء كل يوم ، كلما تقدم ركب العلم واتسعت آفاقه .

ونحن عندما نسلم بأن الايمان مكانه القلب نتساءل :

لم لا نتيح لهذا القلب فرصة تثبيت الايمان ، والاطمئنان اليه بما يقرره العقل عن طريق العلم ؟ وعلى غرار ما فعله ابراهيم عليه السلام عندما أقر ايمانه وطلب أن يطمئن قلبه عن طريق رؤية الأحياء . . . « بلى ، ولكن ليطمئن قلبى » ، والناس جميعا يؤمنون بالعلم فى هذا العصر ؟ . . .

لقد عالج كثير من كتاب هذا الزمان تلك المسألة ، وخاضوا فيها من وجهات نظر مختلفة ، ولعل أقرب ما نسوقه مثلا حيا فى هذا الصدد ، ودليلا على خدمة العلم للدين ، أن الاسلام الذى نادى بالتوحيد وحارب العقائد الفاسدة ، والأوهام كمعرفة الغيب ، أو التنجيم ، ووجود الأرواح الشريرة التى تتسلط على البشر الخ . . . فتح هذه الميادين التى هى ذاتها الميادين التى عالجها العلم الحديث ، وخلص البشرية من أوزارها ، وأضرارها .

والى جانب ذلك ، يحاول العلم أن يكسب الانسان جانبا من الرفاهية ، والسعادة المادية ، كما حاول الدين أن يكسبه السعادة الروحية ، وهو لا يعدو أنه جسد وروح ، لا غنى لأحدهما عن الآخر فى حياته الدنيوية .

وانك لتجد كثيرا من رجال الدين فى الخارج ، علماء مبرزين فى ميادين العلم المختلفة ، وهذا هو الوضع الطبيعى ، ولكن عندما ينبرى أحد من المشتغلين بالعلم

الحديث عندنا للكتابة الدينية ، لا يقره الكثير منا على عمله ، رغم ما بين الحقلين من صلة وثيقة ، وتقارب تام . فمتى يجرى الوقت الذى نسلم فيه بالتقاء العلم بالدين ؟!

تتميز مظاهر هذا العصر باهتمام الناس بالمسائل المادية الدنيوية وتكالبهم عليها فمنهم من لا هم له الا التمتع بلذة جمع المال ، أو المأكول والمشرب . . . ومنهم من يتصارع لنيل الجاه والسلطان . . الى غير ذلك من أنواع الملذات التى تبعد طلابها والباحثين عنها بعيدا عن الانسانية ومعانيها . وهكذا ازدادت القيم المادية الدنيوية ، وباتت كل الأعمال تقاس بمقاييس المادة دون سواها لدى الأفراد والجماعات .

نقول ذلك ونحن لانحتاج لضرب الامثال :

فليس منا من يجهل معايير هذا العصر التى نقلناها عن الغرب . متجاهلين تراثنا الروحي القديم ومبتعدين عن الايمان ، ذلك الترياق الساحر الذى طالما أسبغ على ابائنا واجدادنا ثوب السعادة والرحمة والهناء والمحبة والتسامح والتراحم والتواد . . وتتجلى كل هذه المعاني فى قوله تعالى :

((وما أرسلناك الا رحمة للعالمين))

أو ليس النجاح اليوم من جمع الدنيا بصرف النظر عن الحلال أو الحرام ؟ أو ليس الحسن والجمال هو الغرى والخلاعة ؟ أو ليس التقى الورع من المتأخرين الرجعيين ؟ ثم أين الأمانة ؟ وأين الاخلاص ؟ وأين الرحمة بالفقير والضعيف ؟

يدعى البعض أن هذه المشاكل كلها يمكن أن تحل بالطرق العلمية ، ولكن فات هؤلاء أن العلم وحده لا ينفع ، فأمامنا الدول العريقة فى العلم تتفكك فيها الأسرة ، ويتزايد فيها القلق ، فتهرع الى معدات الحرب والدمار تتفنن فى صنعها . استعبداداً

للمجازر البشرية والقضاء على معالم الانسانية ، بل وعلى حضارة الانسان بأسرها .

والحق انه لا سبيل الى تلافى تلك الكوارث التى يمكن أن تحل بأهل الأرض بين لحظة وأخرى الا بالرجوع الى الايمان ودستور السماء ، ان العلم لا يغنى عن الايمان فى هذه الميادين كلها ، خصوصاً اذا ما استغل فى أعمال الارهاب والتدمير ووجه توجيهها خاطئاً على النحو الذى نرى بواقعه اليوم .

ان الايمان يجعلنا نبصر الدنيا على حقيقتها ، ونسبغ على الانسانية معانيها الصائبة ، ونقيس الأمور بمقاييسها السليمة . . بينما يهيىء لنا العلم فرصة استغلال مافى الكون من قوى وطاقات ويكشف لنا عما انطوى بين أركانه من اسرار هى قبل شئ آيات بينات يتجلى فيها الخالق . ويظهر جانباً من قدرته ورحمته

وهكذا نرى أن السعادة البشرية التى يوفرها العلم لا تستقيم ولا تكتمل الا بالزيد من الايمان والتسليم لوحى السماء .

((ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شئ ، وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين .))

هنا يجدر بنا أن نقف قليلاً نتأمل تلك المعانى العظيمة التى تتضمنها هذه الآية : اننا ولاشك يجب أن نستمد من القرآن ضوء الحياة فى موكب الحضارة التى بهرت أبصارنا وما أحوج الناس الى ذلك فى عصرنا هذا وهم فى اضطراب يتطلعون الى مرفأ يؤوى وهم فى حيرة والحاد وحروب وأحقاد ، يبحثون عن بلسم يشفى ، ولكن لا سبيل لهم الى ذلك الا بالرجوع الى حظيرة الايمان ، والى القانون السماوى الذى أنزله الله على رسوله فى صورة كتاب عربى مبين ، يرسى أسس الانسانية الفاضلة ، ويقرر مبادئ العدل والمساواة ، ويصرف الأذهان الى ثواب الآخرة وحسن ثواب الدنيا .



لماذا حرم الله

الأستاذ عيسى عبد إبراهيم

مناط البحث :

يبدو أن معرفة الإنسان بتاريخ آباءه الأولين تقف عند حد قريب نسبيا ، يتراوح بين ستة آلاف عام وسبعة آلاف ٠٠ لأن الآثار التي تركها هؤلاء شاهدة على نمط المعيشة وصور المعاملات والقواعد المرعية فيها ٠٠ لا ترقى في التاريخ أكثر من ذلك ٠ ولا نريد الحفائر والبحوث الجيولوجية التي تقدر لبعض الهياكل البشرية أعمارا تعد بالآلاف وبالملايين من السنين ٠٠ ولكن نريد المجتمع القريب من ظهور الأديان تباعا ، أو ما يعرف بالتاريخ المرصود ٠ وفي هذه الآلاف القريبة من السنين التي قدرها العلماء بما تقدم بيانه ٠٠ شواهد على أن الربا كان معروفا بين الناس ، لأنهم مارسوه من جيل إلى جيل ٠ وحين جاءت الأديان بنصوص تحرمه كف عنه قليل من الأولين وقليل من الآخرين ، وبقيت الكثرة تمارسه في صور شتى : بعضها جلي وبعضها يتوارى من وراء حجاب ٠

وبنزول القرآن الكريم استقر التحريم بنصوص صريحة ٠٠ ولكن الإنسان لا يعدم الحيلة ، اذ هي ميزة له على سائر الخلائق ٠٠ ولذلك تحول الجدل في ظل الاسلام الى سؤال تقليدي بدأ من فجر الاسلام وظل بغير جواب شاف الى يومنا هذا ٠٠ ذلك قولهم : اننا لا نجادل في تحريم الربا ، ولكن ما هو الربا ؟

اذن نحن الآن نواجه سؤالاً محددا ، اذا

وصلنا في مناقشته الى اجابة يطمئن اليها المنطق السليم ، زال بعض الغموض الذي اكتنف هذه المشكلة قبل الرسائل وبعدها ٠٠ بل في يومنا هذا وفي الغد القريب ٠

أساليب البحث :

بالرجوع الى الآثار العلمية في هذا الموضوع نجد خلافا واضحا بين الآراء ، ولكن صاحب الرأي - ايا كان - يدعى أنه لا يهدف الا لتحقيق الصالح العام ، ممثلا في تيسير المعاملات - وتنشيط الأحداث الاقتصادية الجارية حتى لا تعود أرزاق الناس ضيقة ٠٠ يستوى في ذلك القائلون بالتشدد والقائلون بالتسامح ، فنحن لا نريد اذن أن نناقش اقوال الملحددين ، وانما نعرض لأهم المحاولات التي تشف عن اتجاه خير ، سواء في ذلك أوصلت المحاولة الى تقرير قاعدة سليمة أم الى مجرد فروض ينقصها الدليل ٠

ومن أساليب البحث المألوفة : جمع النصوص ومعارضة بعضها ببعض آخر ، وفي هذا - طال الجدل قرونا عديدة ولم يجمع الناس على رأى موحد ٠ وأسلوب آخر (هو الأسلوب الغربي الحديث خلال القرنين التاسع عشر والعشرين) يعتمد الى تحليل المشكلة تحليليا علميا خالصا لا يتقيد فيه بنص مروي ولا بخلاف حول النصوص ٠٠ ولكن هذا الأسلوب بدوره لم يصل الى تقرير قاعدة واحدة تفوز بالاجماع أو ما يقرب منه ٠ وظلت

المشكلة قائمة رغم الجهود الضخمة التي بذلها العلماء المتخصصون . فمنهم - على سبيل المثال - من يقصر الربا في صورته الحديثة على فائدة رأس المال النقدي ، على أساس أن الربا في عروض التجارة والأموال العينية قد توقف في ظل النظم النقدية . ومن أشهر هؤلاء الأستاذ « ألفريد مارشال » الذي يعرف الفائدة بأنها « الثمن الذي يدفعه الانسان بالنقد نظير استعماله لمبلغ من النقود » كأن النقود من العروض النافعة التي يجوز لصاحبها أن يوجرها لغيره من الناس . وقد تلقف كتاب آخرون هذه الفكرة وبنوا عليها قولهم بأن فائدة رأس المال (المعروفة في زمننا هذا) هي ظاهرة لصيقة بالنظم النقدية . بمعنى أنه ما دام المجتمع يعرف النظام النقدي فإن الفائدة على رأس المال الحاضر أو السائل (بمعنى النقود) تكون جزءا متما لهذا النظام ، ولكنها لا تتعداه الى غيره .

ومن الكتاب في علم الاقتصاد من يذهب بعيدا جدا حين يقرر بأن الأساس العلمي للايراد في جميع صورته هو « الفائدة » ومن هؤلاء « بول سامولسون » الذي يقول : « اذا أمكن اعتبار الانسان سلعة يجوز عليها البيع والشراء بنص تشريعي ، فإن مالك الرقبة يملك الثمرات التي تؤتيها . . . ومن ثم تكون جهود الرقيق طوال حياته من حق مالكة ، وعندئذ يمكن تقديرها بطريق التمويل ، وتعتبر الأجور عندئذ نوعا من الفائدة . . . ومن ثم يجوز لنا أن نعتبر مصادر الايراد القومي كله من قبيل الفوائد على رأس المال » ذلك أن « سامولسون » هذا ، يعتبر نظام الفائدة أساسا حتميا لكل ايراد ولا يستثنى الا الأجور التي تدخل في نطاق الفائدة بشرط واحد هو اقرار القوانين الوضعية لبيع الانسان ببيع السواثم .

ومع أن القلق في دراسة الربا وفائدة رأس المال بالأسلوب العلمي الخالص (البعيد عن مناقشة نصوص التحريم والتحليل على الإباحة) لا يزال شديدا . . . فإن الأبحاث التي تجمعت بهذا الأسلوب قد أمدتنا بأصواء فاحصة كشفت عن كثير من الغموض ومهدت لمزيد من تعمق النظرية العلمية وفهم النصوص التي لا يرقى اليها الشك وأولها وأهمها آيات القرآن الكريم .

أهمية البحث :

تعارفت سوق رأس المال المنظمة على سعر الفائدة التي تستحق على الودائع وما في حكمها، وأصدر البنك المركزي (استنادا للمادة ٣٧ فقرة د من قانون البنوك والائتمان) قرارا في ٢٤ من يونية سنة ١٩٥٨ بتعيين الحدود القصوى لأسعار الفائدة التي تدفعها البنوك التجارية لأصحاب الودائع من عملائها . . . وتراوحت هذه الأسعار بين $\frac{1}{4}\%$ و $\frac{3}{4}\%$ على تفصيل يعنى به المشتغلون بتنظيم الائتمان . ولكن هذا النص التشريعي لم يزد على تقنين ما كان العمل جاريا به في ظل اتفاقية اتحاد البنوك . وإذا تتبعنا الاحصاءات لوجدنا أن معظم الفوائد التي يحصل عليها المودعون تدور حول $\frac{2}{4}\%$ أو تقل عن ذلك ، ونادرا ما يصل البنك الى الحد الأقصى المسموح به . هذا في السوق العربية .

وإذا أخذنا صورة أخرى من سوق عالمية هي السوق الأمريكية لدلتنا الاحصاءات على أن الفوائد الدائنة لا تخرج عن الحدود التي تقدم بيانها ، وبالمثل في سوق لندن . وأما الأرباح التي توزعها المصارف الأهلية في أسواق الغرب فقد دلت الاحصاءات الحديثة لفترة طويلة من عام ١٩٢٩ الى عام ١٩٥٥ . . . على أن تناقصت من $\frac{6}{4}\%$ الى $\frac{3}{4}\%$ على حين أن أرباح المشروعات التجارية والصناعية تحقق أرباحا تزيد على هذا القدر أضعافا ، وفي هذا

معنى ضمنى هام يتلخص فى أن توظيف رهوس الأموال فى أسهم المصارف لا يهدف الى الحصول على ربح مناسب يجرى صاحبه رأس المال من الفائدة . . بل يهدف الى ما هو أبعد من ذلك كالتحكم فى السيولة والهيمنة على المشروعات عن طريق التمويل .

وإذا رجعنا الى القوانين الوضعية التى تقر ما يسمى بالفائدة القانونية لوجدناها تجربة قريبة العهد بدأت مع أوائل القرن التاسع عشر حول عام ١٨٣٣ ولا تزال الى الآن مجرد تجربة يسودها التخبط والفوضى . . بدليل أن السعر القانونى يتراوح بين ٦ ٪ فى السنة و ٣ ٪ فى الشهر الواحد (أى ما يقرب من ٤٤ ٪ فى السنة) وتظل الفائدة - مع ذلك - قانونية . ونجد أيضا أنه فى حالات معينة نصت عليها التشريعات الغربية . . لا يمكن الدفع فى مواجهة المقرض بأنه يتعامل بالربا مهما ارتفع سعر الفائدة . . على تفصيل يجرى فى موضعه من حلقات تالية ان شاء الله تعالى .

وجملة القول : أن المعاملات الربوية وما يعرف بالفائدة القانونية قد خضعت جميعا لدراسات كثيرة من القرون الوسطى الى يومنا هذا . . ولا يزال الكتاب يختلفون كما أن التشريعات الحديثة المعمول بها فى أكثر البلاد تقدا ما هى نوع من الفوضى المذهلة . .

ولكن ما هى أهمية البحث للقارئ العادى ؟ أفلا يجدر بمثله أن يظل فى محيط دراسات التخصص بالمعاهد والجامعات ؟

ثم ما هى مصلحة القارئ المسلم فى أن يعنى بدراسة كهذه وقد علم بأن فى الدين سماحة وفى بعض الآراء التى نشرت ما يفرق بين الربا والفائدة ، فيحرم الأول ويجيز الثانية للضرورة ؟

هذا سؤال تنبغى الاجابة عليه كتقديم بين يدي بحث عسير مطول . .

قيل بأن فائدة رأس المال مسألة فيها نظر ، اذ هى صورة مستحدثة لا شأن لها برأب العهد ، وهى فوق ذلك ضرورة ملزمة لتحقيق مصالح الناس . . هكذا قيل . وقيل أيضا بأن فى كتاب الله آيات تسمح بمثل هذا التضييق فى مجال التحريم كقوله تعالى « وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه » . وبقيت فائدة رأس المال موضع الشك والارتباب فى نفوس الكثرة الغالبة . . يدعوهم الايمان الى طلب مزيد من الايضاح ان كان التحليل صوابا ، أو مزيدا من الحجج الدامغة على أنه لا مصلحة ولا اضطرار . . ولا أريد أن أتعجل الحكم ، ولكنى سأبدأ بسؤال يبين لنا أهمية البحث بل خطورته البالغة على سلامة المعاملات ، وبيان ذلك :

لنفرض جدلا (ومؤقتا) أن فى الحكم على نظام الفائدة شكاً يسمح لنا بالابقاء عليه . . فهل فى الزكاة شك أيضاً ؟ سأجيب بما يرضى كل وجوه الراى المتعارضة فأقول :

فلنسلم (مؤقتا أيضا) بأن اقتضاء الفائدة على الودائع ضعيف التحريم أو لئلفرض أن الفائدة حلال . . ثم نتابع النظر ونضرب الأمثال . . أودع زيد من الناس ألف جنيه لدى بعض المصارف وحصل على فائدة مقدارها ٢٥ جنيه فى آخر العام . . بنسبة ٢ ٪ وهى نسبة معتدلة رقيقة لا تشبه تضعيف الربا وجسامته . . فهل سيدفع زيد هذا زكاة المال عن الألف والخمسة والعشرين (بعد استبعاد النصاب أم لا يدفع ؟ فان أخرج الزكاة (وهى فريضة بالاجماع) فكيف يبقى له من ماله ؟

الجواب واضح وهو بكل بساطة أقل من ألف جنيه .

يترتب على ذلك أن القائلين بمشروعية فائدة رأس المال على ودائع البنوك وصناديق

التوفير والسندات .. قد فاتهم أن يقرنوا بين
نظام الفائدة الذى يريدونه حالاً للضرورة
والمصلحة .. وبين أحكام الزكاة .

وفاتهم أنهم بقولهم هذا يصمون الاسلام
بأنه دين يدعو للتبذير وتفتيت الثروة ، مع أن
تجميع الطاقات والموارد شرط للنماء الذى
يواجه رفع مستوى المعيشة وتزايد السكان
.. فاتهم أن حكمة تحريم الربا المحدد بجميع
صوره وان كان مقطوعاً سلفاً أو عند الأجل ..
لا تفهم الا اذا جمعنا بين تحريم الربا وفرض
الزكاة لتقدير المستوى الرفيع الذى يريده
الاسلام للنشاط الاقتصادى .

اذن هذا الافتاء فى دين الله بمشروعية
فائدة رأس المال يؤدى بأموال زيد وعمرو حال
ايداعها فى المصارف وتوظيفها بالسندات ..
الى التناقض بقدر ما تزيد الزكاة على ثمرة
المال . وهذه صورة بالغة الهوان فى النظم
الاقتصادية التى لا يتخذها الناس الا لدفع
عجلة الانتاج وتنمية الموارد ورفع مستوى
المعيشة .

والاسلام لا يشجع الفقر والمسكنة ، وانما
يضع للمؤمنين به تخطيطاً رائعاً يجمع بين
الاجتهاد والكسب .. كما يجمع بين التراحم
وتنزيه المعاملات عن التظالم .

فان بقى ريب عند صاحب المال من أمر
الفائدة التى أجلها بعض الناس .. فليسأل
نفسه ما هى الثمرة ؟ اذا استمر على توظيف

ماله بالفائدة الثابتة وابتت الزكاة على الثمرة
وبعض رأس المال ؟

أهو تجميع اذن ما يدعو اليه الاسلام أم هو
الركود والتفتيت ؟

ولهذا قلت بأن البحث جد خطير ، ويمس
حياة كل منا فى ثروته وايراده وهذه عروض
زائلة ولكنها مقومات الحياة الدنيا .. كما
يمس دينه وموقفه يوم الحساب « يوم لا
ينفع مال ولا بنون » .

ولكى نقدر التخطيط الاقتصادى الرفيع
(بل المنقطع النظير) الذى جاء به الاسلام
لتنظيم شئون الناس حال تدبير المعاش ...
لا بد لنا أن نفهم الثروة والدخل . والنظم
النقدية وأثرها فى الرواج والكساد . لا بد لنا
أن نفهم الكسب المشروع ، ما هو ؟ وهل
الانتظار صورة منه ، والانتظار هو بعض
مسوغات نظام الفائدة ، ولا بد لنا أن نعلم
ما اذا كان بعض علماء الاقتصاد قد وصل
بالتحليل العلمى الدقيق الى توهين الفكرة
الشائعة عن أهمية نظام الفائدة .

وهذه فروع لبحث واحد ، ولا يمكن تقدير
الحكمة من تحريم الربا قليله وكثيره الا
بالمامة سريعة بكل ما تقدم .

لهذا يتعين عرض الموضوع تباعاً ، وفى كل
حلقة سنبين صلة القضية الجزئية بالمشكلة
الرئيسية .

وفى متابعة هذه الحلقات ، ما يلقي بعض
الضوء على حكمة التحريم ، لتحقيق المصلحة
فى أرفع المستويات .



باحثة البادية المرأة المسلمة

الأستاذ على الجبيل ط

لنظارة المعارف أن تجرب مساواة البنات بالبنين في دخول امتحان الشهادة الابتدائية، فسمح لها بدخول هذا الامتحان . وكانت في الرابعة عشرة من عمرها فحصلت على الشهادة الابتدائية عام ١٩٠٠ ، وكانت أولى الناجحات ، وشاء لها الحظ أن تسير في الشوط الى نهايته ، فأعدت النظارة قسما للمعلمات مدته خمس سنوات ، فانتقلت اليه ونالت دبلومه ، وكانت أولى زميلاتهما ، فاشتغلت بعد ذلك بالتعليم في مدارس البنات الأميرية ، ومنحت نفسها لمهنتها . وفي ٢٨ من مارس ١٩٠٧ ، اقترن بها العربي الصميم وجيه قبيلة الرماح بالفيوم « عبد الستار الباسل » . وكانت قد بلغت العشرين . وفي تلك الحياة الجديدة تلقت دروسا شاء القدر أن تكون دروسا عنيفة ، جربت فيها الرجل وقسوته واستبداده بالمرأة، وجربت فيها ما يمكن أن تصنعه المرأة العاقلة لرد رجلها الجامح ، وتستهين بالضرة والضر والاهمال . وبينما الحرب العالمية الأولى مشتعلة ، والمحتل يشدد قبضته على البلاد ، كانت تفكر فيما يجب أن تعمل حين تزول شدة هذه الحرب ، ولكنها أصيبت بالحمى الأسبانية ، فأثت الى القاهرة من الفيوم ، ولكن القضاء حم ، فوافاها الأجل في مساء الخميس ١٧ من أكتوبر عام ١٩١٨ ، ولم تكن جاوزت أكثر من اثنين وثلاثين عاما مليئة بالعمل والجهد ، ولقد كان للباحثة مركز فريد في الحركة الفكرية عندنا ، بعد أن قام قاسم أمين بتحرير المرأة ، وباعطائها ما لها من حقوق أدبية واجتماعية ، قامت هي تؤيد كلامه ، مظهرة أهلية المرأة وكرامتها ، ودرجة ارتقائها العليا التي يمكنها تسنمها ، قامت

باحثة البادية رائدة من رائدات نهضة المرأة المصرية ، بل المرأة العربية والمرأة المسلمة ، وجدير بنا أن نحیی ذكرها بعد ثلاث وأربعين سنة مضت على وفاتها ، فنذكر كفاحها حينما نرى عشرات الألوف من بنات جنسها ، ينعمن بنعمة العلم والثقافة التي كانت ميزة نادرة لها ، وحينما نرى مئات من جنسها. يؤدين في الدولة أعمالا كانت أشبه بالأحلام للمرأة في عصرها ، وخليق بنا - ونحن نرى البذرة الطيبة التي بذرتها في حقل الإصلاح ، تكافح في سبيل النماء ، حتى قدر لها « أن تخلع يابسها ، وتظهر قوتها ، وتطلع فوق الأرض بزهرتها وريعتها ونضرتها ونمائها » - أن نقول « أيها الرجال قولوا للنساء : اننا نكرم النساء العالمات كما نكرم أعظم الرجال » .

ولقد كان اسمها عنوان نهضتنا النسائية الجديدة ، واسمها « ملك » كريمة الأديب الشاعر المعروف ، واللغوى المحقق « حفنى ناصف » ، أما باحثة البادية فقد غلب عليها، حين أخذت تنشر مقالاتها « النسائيات » في الصحف ، وتوقعها بهذا اللقب . وقد ولدت بالقاهرة في الاثنيين من ديسمبر عام ١٨٨٦ ، وقد ورثت « ملك » من أبيها صفاته وجده ، وأعجبت بأدبه ، ووجدت في بيتها مكتبة زاخرة بنفائس كتب الأدب والقانون ولقد أدخلها والدها مدرسة من المدارس الأولية « كتابا » فتلقت فيها مبادئ العلوم ، ثم دخلت المدرسة السنية الابتدائية في أكتوبر ١٨٩٣ ، وكان أبوها مضطرا - بحكم وظيفته - للانتقال في الزيف ، فأدخلها القسم الداخلى بتلك المدرسة، ووصلت « ملك » الى السنة الرابعة . وهنا بدا

هذه المرأة العبقريّة ابنة الرجل الكبير تدرس أحوال البيئة المصريّة ، فكان لها من ذكائها الفطري ، ومن شعورها العميق ، ومن قلمها العربيّ الصميم ما جعلها الرائدة الصادقة ، وقد رأت حاجة قومها إلى الإصلاح ، فصاحت صيحة لا يزال يرن صداها ، وظلت تكتب وتخطب ناشدة الإصلاح ، وهي المرأة المسلمة الواحدة التي فعلت ذلك في وسط ما يزال رجعيّا في ميوله ، بشجاعة وكفاية وتفوق لم ينل منها شيئا انتقاد الناقدين وتعنت المتحزبين ، كانت شديدة الحب لقومها ، شديدة الغيرة على دينها ، شديدة الألم لما تراه من سمة التخلف والتأخر في البيئة المصريّة . ومجموع هذه العواطف ، من حب وغيره وألم كان يتخلل كل ما تكتبه كأنين ينقلب زئيرا عند الآلام الموجعة . وكذلك يتألم صاحب العقل والقلب الكبيرين ، كأنما هو يتألم عن أمة بأسرها ، ولقد كانت باحثة البادية ، هذا المزاج النسائي ، وهذه الذاتية الأدبية ، وهذه الكاتبة التي لم تدون أفكارها إلا تحت التأثير في ساعة الانفعال ، تمثل المرأة والمسلمة ، والمصريّة ، والزعيمة ، والناقدة ، والمربيّة ، والمصلحة ، وهي تبرز قيمة عليا في كل دور من هذه الأدوار . فيمكننا أن نقدرها ، ونحب من وراء حجب الموت تلك الذاتية النادرة ، التي اختبرت البيئة المصريّة ، ودرست المرأة المصريّة في جميع أطوارها ، وأصابته في لمس مواضع النقص ، وتشخيص العلل القوميّة ، وكذلك رأت ببصيرتها النقية أكثر طرق الإصلاح اعتدالا ، وأقربها اتفاقا مع سير الارتقاء الطبيعيّ . وقارء مقالاتها « النسائيّات » يقف على خطتها الإصلاحية الرشيدة ، حيث لا يكون الرجل جائرا مستبدا ، ولا المرأة ساقطة متمردة ، بل يتصافى الاثنان فيسيران في سبيل الحياة ، وقد جعلهما التفاهم متغلبين على المصاعب ، متعاونين على تبادل المنفعة والسعادة .

ولقد توافرت في الباحثة مقومات الرياسة والزعاميّة ، توفر فيها الذكاء ، والعقل ، وانكار الذات ، والعلم ، كما توفرت فيها الجرأة والاعتزاز بالنفس ، ومحبتها لقومها ، وبنات

جنسها ، فقامت ترتاد الميدان بعد قاسم كما قدمنا في تودة وملاينة ، حتى لا تقف أمام التيار الذي دهم قاسما بالكفر والاحاد ، ولا سيما أن الشك فيها يكون أكثر ، لأنها امرأة تدعو لبنات جنسها ، وهكذا نجحت كرائدة لا تتحيز إذا حكمت ، ولا تميل إذا واجهت ، هي للجميع ، ورائدها صالح الجميع ، فاستهدفت من حركتها إصلاح المرأة ، وإصلاح الرجل معا ، وكانت مقتنعة برسالتها ، مؤمنة بها ، وبذلك الايمان تجردت للإصلاح . ولذلك يقول عنها فضيلة الشيخ عبد الكريم سلمان : « أي بنية أخى انى أراك قد نبغت بين قريناتك ، واتخذت لك طريقا لم يسلكه قبلك منهن ولا واحدة ، فكنت لهن قدوة صالحة ، فكثرت بوجودك بينهن عدد الكاتبات القارئات المتعلمات » .

والذي يعنينا هنا في الحديث عن باحثة البادية ، التي برزت شخصيتها ، فأعلنت شأن بنات جنسها ، وشغلت في حياتنا الأدبية ، وفي حياة المرأة الشرقية ، مركزا ساميا جليلا ، إنما هو الجانب الإسلامى ، ولذا نستمع أولا إلى رأى استاذين جليلين فيها أولهما الشيخ عبد العزيز جاويز « وإذا شئنا أن نضرب مثلا للمجاهدات ، والصالحات ، فأننا لا نجد أحسن من تلك السيدة الفاضلة ، التي بنت نصائحها على الإسلام ، وحرصت على تقاليد المسلمين » وثانيهما استاذ الجيل « لطفى السيد » « ولو صح نظرى ، لكانت قاعدة بحثها في تحرير المرأة ، قاعدة الاعتدال ، ورائدها في ذلك هو الشرع الإسلامى » .

وقصارى القول أن باحثة البادية ، قد أجادت كل الاجادة في أن جعلت أساس بحثها تقرير المساواة ، لا على جهة الاطلاق ، بل في حدود الاعتدال والدين .

وباحثة البادية مسلمة إلى الحد الذى تجعل فيه الدين الامام فى كل شىء ، هي مسلمة شغوف بدينها ، تغار عليه ، والإسلام ظاهر فى كتاباتها ظهورا جليا ، وقد كانت كما قالت عنها رفيقتها فى الدراسة السيدة نبوية موسى - معروفة بالورع بين أخواتها المسلمات ، هي مسلمة لحد ادخال الدين فى كل أمر من

الأمور ، سياسيا كان ، أو اجتماعيا ، أو أخلاقيا ، حتى مسائل الأزياء والزينة ، وأسلوب المحادثة ، ومما قالت في هذا الأسلوب بين الزوجين : « وهناك أخرى تقول لزوجها : (حضرتك أو سعادتك) فما هذا التكلف البارد ؟ اننا بتسميتنا فلانا بصاحب العزة ، وتلقينا أحد الملوك بصاحب الجلالة ، لنكفر ونلحد ، فما صاحب العزة ، وذو الجلالة : الا الله الواحد القهار ، ولو أنصف كتابنا، لحذفوا تلك الألفاظ الدالة على الشرك من كتاباتهم وأقوالهم » وإذا ما وقفت على بدعة مستحدثة، ورايت أمرا جديدا ، سارعت الى استجواب نفسها : هل في ذلك ما يغير الأوامر الدينية ؟ وإذا ساد نظام بين القوم ، دون أن يكون مقررًا في نصوص الشريعة السمحاء ، فهي لا تحفل به ، وقد حملت بسلاح الدين على ما اتجه اليه الأغلبية حينذاك ، من تعليم بنياتهن الرقص ، والتمثيل ، وذلك لأنه مناف للدين الاسلامي ، هادم للفضيلة وأوجب محاربتها ، وإظهار الاحتقار لمن تفعله من المسلمات فقالت : « لا أعلم عند الفرنجة عادة تساوى الزار ، الا مخاصرة الرجال في الرقص ، وما يتبع تلك العادة من التهتك ، والتصنع ، والميل عن جادة الصواب ، وما ينشأ من إباحتها المطلقة بلا قيد ، ولا وازع من الضرر البليغ ، والاخلال بالشرف ، وأدهى من ذلك أن ينشر مذهب حرية الاعتقاد ، وهو مذهب من لا يصدق بالله ، ولا باليوم الآخر ، فيزعمون أنهم يجتنبون الرذائل بمحض إرادتهم ، وتربيتهم ، ولكن هل اذا منعت الفضيلة امرأة عن اتيان ما لا يرضى ، فهل يصح أن تطبق هذه النظرية على كل امرأة ؟ « ان النفس لأماراة بالسوء » ولقد تقدم على كثير من الموبقات ، لولا الضمير الحي ، وهو ثمرة الوازع الديني ، أفلا يعقلون ؟ أرانا لا نتمسك بشيئا ديننا ، وهذا بدعة ، وعنوى آتينا من الغرب ، أو كلما رأينا انسانا يفعل شيئا حاكيناه ، وان كان في ذلك خسارة ديننا ودينانا ؟ كما احتكمت الى الدين في مسألة الحجاب ، والسفور فقالت :

أما السفور فحكمة في الشرع ليس بمعضل
ذهب الأئمة فيه بين محرم ومحلل
ويجوز بالاجماع منهم عند قصد تاهل
لبس النقاب هو الحجاب فقصرى أو طولى
فاذا جهلت الفرق بينهما فدونك فاسألى
من بعد أقوال الأئمة لا مجال لمقولى
لا أبتغى غير الفضيلة للنساء فأجملى

وإذا نادت بالاصلاح العائلى ، استشهدت بالله متهددة الظالمين وقالت « ألا فلينتبه الرجال لذلك ، وليتقوا الله في نسائهم ، وأعراضهم ، وليعلموا أن التقوى مطلوبة في السر والعلن ، وأن الله يرى . يا قوم : تداركوا الأمر قبل فواته ، فان كنتم ترضون لنظام بيوتكم بالاختلال ، وللفتنة بينكم وبين أزواجكم بالضياح ، ولأمتكم بالتأخر ، فاستمروا على فسادكم ، وان كانت فيكم بقية غيرة وحمية ، وتحبون وطنكم كما تدعون ، فاصلحوا أحوالكم تصالح حال نسائكم ، وسنوا سنة صالحة لأبنائكم ، وبناتكم ، من بعدكم ، يكن لكم أجرها الى يوم الدين ، والله عاقبة الأمور » .

وترى هي في رسالتها : أنها التوجيه والارشاد للمرأة ، فتصنع لها المقطوعات ، التى تسير تعاليم الدين من الاعتصام بالصبر ، والرضا بالقدر ، وأن سعادتها في العطف على البائس ، والمحروم فتقول :

أصرفي ما استطعت عنك الهموم
وأحذرى الحزن والأسى أن يقيما
قدرى ان أصابك الشر يوما
أن ما زال عنك كان عظيما
وإذا ما أصبت في الدهر مالا
فأذكرى فاقدًا له محروما
فتعيشى بغبطة وهناك
ويكون الشقا لديك نعيما

وقالت في اصلاح طريقة الزواج ووجوب اجتماع الخطيبين ، بحضور محرم قبل عقد الخطبة ، استنادا الى ما كان يعمل به في عهد

رسول الله - عليه الصلاة والسلام - وصحابته
« يرى أكثر عقلاء الأمة : أن لا بد للخطيبين من
الاجتماع ، والتكلم قبل الزواج ، وهو رأى
سديد ، لم يكن النبی - صلى الله عليه وسلم -
والصحابه يفعلون غيره ، وهو متبع عند جميع
الأمم بأسرها ، وأن يتراءى العروسان ، ويتكلما
بعد خطبة النساء المتبعة ، وقبل العقد ، ويجب
ألا تظهر العروس الا مع محارمها ، وتكون في
أبسط لباسها » .

وتستمد نصائحها للمرأة ، من المبادئ
السامية للدين القيم من الحياء ، والإيمان
بالله ، والصلاح ، والتدين ، والوفاء ، ففي
ذلك خيرها ، وما يرجوه الناس منها فتقول :

ان الفتاة حليقة وحياءاؤها
كالماء موقوفا عليه بقاؤها
بفروعها تجرى الحياة فتكتسى
حلا يروق الناظرات رواؤها
إيمانها بالله أحسن حليقة
فيها فاما ضاع ضاع بهاؤها
لا خير في حسن الفتاة وعلمها
ان كان في غير الصلاح رضاؤها
فجمالها وقف عليها . انما
للناس منها دينها ووقاؤها

وآمنت بما آمن به أرسطو من « أن عقل
الطفل كالشمع اللين ، يكيّفه المعلم كيفما أراد »
فجهرت برأيها في مدارس الراهبات ، وقالت :
« وهذه الفئة الجاهلة الدعية بالعلم ، هي ولا
شك فئة خريجات مدارس الراهبات ، وان
أحدهن لتسمعك تاريخ فرنسا ، ولا تكاد
تأخذ نفسها من سرعة الالتقاء ، وإذا سألتها عن
عمر بن الخطاب ، أو صلاح الدين الأيوبي ،
وأضربهما من حماسة الاسلام ، قالت لك لا
أدرى » .

وموضوع تعدد الزوجات ، التي ترى فيه
الظلم البحت ، والاستبداد الأقصى ، ولا
تبرره إلا إذا تعذر عيش الرجل هنيئاً مع زوجته
الأولى ، تتحدث عنه بتقديم صورة للضرتين

في كتابها « النسائيات ص ٢٨ » وإذا قالت
بوجوب الطلاق ، فما ذلك إلا لأنها ترى فيه
ما يخفف شقاء المرأة ، وتخرج من ذلك بدروس
أخلاقية في « ص ٢٩ من كتاب النسائيات »
وقد قالت بتعليم المرأة أصول الدين مرة بعد
مرة ، فجهرت بمطالبها في الخطبة الأولى ، التي
ألقتها في نادي حزب الأمة ، ثم جعلتها أساساً
لاقتراحات قدمتها الى المؤتمر الاسلامي
المصري ، فقالت في المبادئ التي تختص بتعليم
الدين « ١ - وجوب تعليم البنات الدين
الصحيح ، أي تعاليم القرآن والسنة الصحيحة
٢ - تعويد البنات من صغرهن الصديق ،
والجد في العمل ، والصبر ، وغير ذلك من
الفضائل ٣ - اتباع الطريقة الشرعية في
الخطبة ، فلا يتزوج اثنان قبل أن يجتمعا
بحضور محرم » ثم جاء في اقتراحاتها للمؤتمر
ما يأتي : « ١ - وجوب ذهاب النساء في المدن
والقرى ، لحضور الصلاة ، وسماع الوعظ
في المساجد ، تربية للوازع الديني ٢ - تلزم
جميع مدارس البنات - أميرية ، وأهلية -
بتعليم الدين الاسلامي تعليماً صحيحاً ، لأنه
وان كانت تعطى بها بعض الدروس في الديانة ،
إلا أنها كالعدم ، مع أن الديانة من ألزم ما يكون
للبنات ، لما تفرسه في نفوسهن من الأخلاق
القيومية ٣ - يحسن أن يكون في كل مدرسة
للبنات سيدة ، مسلمة عاقلة ، وظيفتها أن
تراقب الفتيات في أخلاقهن ، وسيرهن ، واتباع
أمور دينهن ، وتكون لهن اماماً فعلياً ، ومرشداً
حكيماً في أحوالهن ٤ - السعى في تقليل تعدد
الزوجات لغير داع ماس ، بقدر الاستطاعة ،
فإن شقاء النساء ، واختلاف الأخوة الناشئين
من هذه العادة ، وما يتبع ذلك من الشقاق ،
كل ذلك يهوى بالأمة في مهاوى الفناء الأدبي .
٥ - ألا يتزوج الرجل على امرأته ، ولا يطلقها
إلا باذن من المحكمة الشرعية ، كما ذهب اليه
فريق من السلف ، والأولى أن يعمل بقاعدة
التحكيم المنصوص عليها في قوله تعالى « وان
خفتم شقاق بينهما ، فابعثوا حكماً من أهله ،
وحكماً من أهلها ، ان يريدوا إصلاحاً يوفق الله

بينهما « أما النصوص الزائدة الآن في الزواج والطلاق ، فضررها لا يخفى على أحد من المسلمين ، وحاشا للاسلام أن يكون قصد من الطلاق تبديد شمل الأسر ، وتخريب البيوت العامة ٦ - منع النساء من المشي في الجنائز البتة ، ومن الاجتماع للندب ، واللطم ، والصراخ ، والتعديد بالطريقة القبيحة ، التي لا وجود لها الا في مصر » .

وهذه الاقتراحات وضعتها باحثة البادية ، وهي أفكار تقدمية ، بعضها أخذ به ، وبعضها لا يزال ينتظر ، ولقد كانت العاطفة الدينية مختلطة عندها بالمعاني القومية ، والاجتماعية ، فاذا تكلمت عن الوطنية تكلمت أحيانا باسم الاسلام ، وتارة باسم الشرق « ولقد رمتها الأدبية (مى) بالتعصب ، وقالت « وذلك مما لا ريب فيه ، وكيف ينتظر أن تكون غير متعصبة ؟ اليست بشرا ؟ أو ليس التعصب من أشد العواطف ملاصقة للنفس ؟ » ويظهر تعصبها ، بتجوب انطباق كل اصلاح على التعاليم الاسلامية ، ولقد كانت ترى أن التربية الاسلامية أفضل ألوان التربية ، التي تحفظ علينا قوميتنا وعزتنا ، فلاذت بها ، في نشرها وشعرها ، وأوجبتها للفتى والفتاة ، فقالت في رثاء الامام الشيخ محمد عبده :

ليبك العلم والاسلام ما سلما
وليذرنا الدمع أو فليخرجنا دما
والعلم والدين للجنسين مطلبنا
فليس يختص جنس واحد بهما

ولقد كانت الباحثة تظن أنها ستجد ثمرة سريعة لجهادها ، ولكنها وجدت من تصدى لها ، وأولت مقالاتها تأويلات لا تقصدها ، فصاحت في ألم :

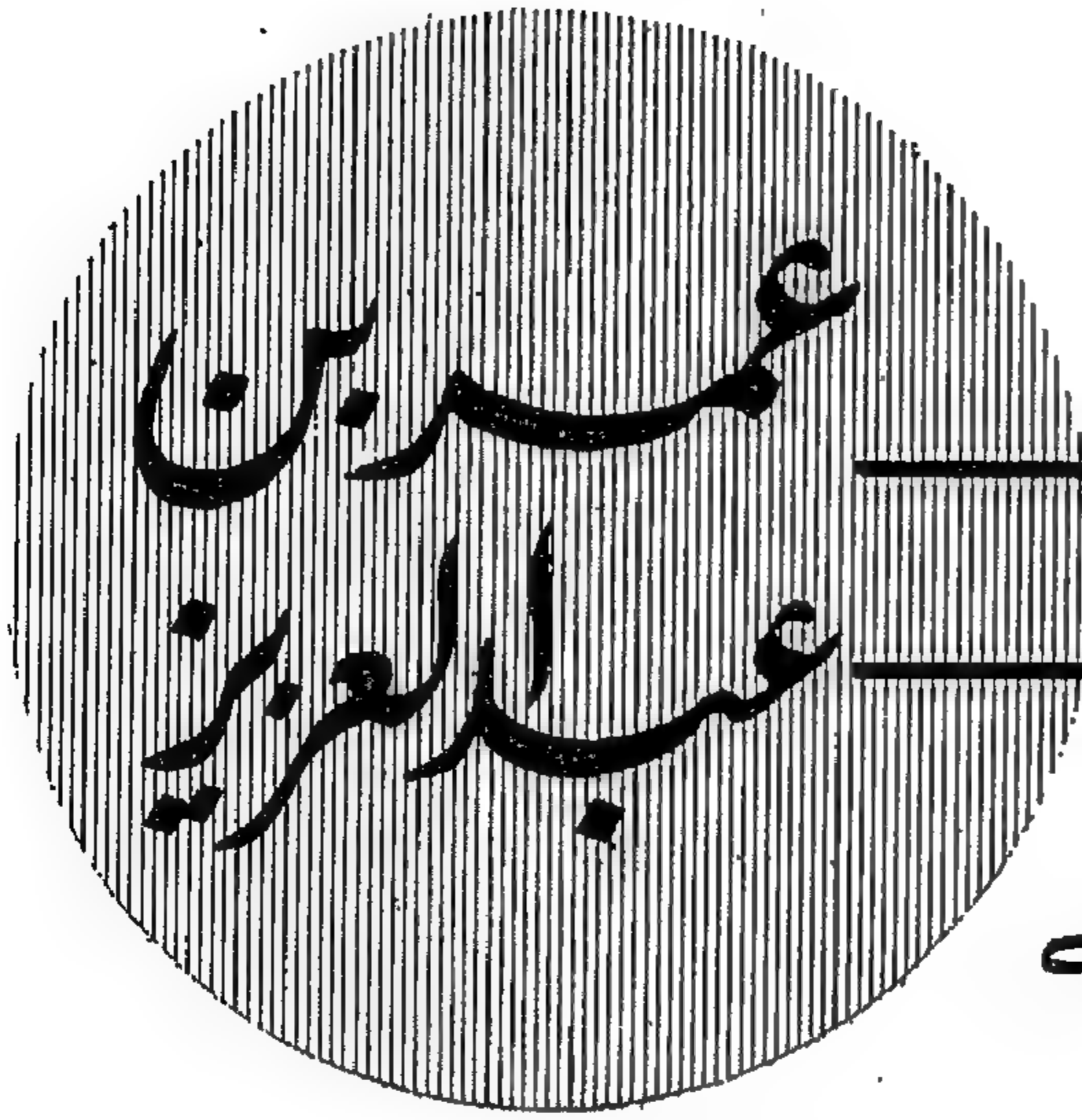
أعملت أقلامى وحينما منطقت
في النصيح والمأمول لم يتحقق
وحسبت صدقي في النصيحة عائدا
بردا على اذا بصادقي محرقى

ولكنها طردت اليأس قائلة :

أيردنى عما رأيت معــــاند
ومقال حاسدة وكذب ملفق
لهدمت آدابى وحسن تجلدى
ان صدنى قول البغيض المحنق

وشرعت في كتاب أسمته (حقوق النساء) وأنجزت منه ثلاث مقالات : الأولى في المقارنة بين المرأة المسلمة الشرقية ، والمرأة المتمدينة الغربية ، في الحقوق المالية . والثانية في حقوق المرأة المسلمة ، من جهة ادارة الأعمال . والثالثة في حقوق المرأة المسلمة من جهة الانتخابات . رأت أن تعرض على المرأة حياة بعض النساء ممن لهن أثر محمود ، ليكن مثالا يحتذى ، فشرعت في ترجمة حياة أم المؤمنين السيدة خديجة شعرا ، ونظمت منها نحو ثمانية أبيات ، ثم وافاها الأجل ولحق بها والدها بعدها بأيام فجزعت مصر لفقدتهما . واليوم ، وقد تحقق كل ما أرادت الباحثة فرضه من البنود ، وما اقترحتته على المؤتمر من اقتراحات ، لصالح المرأة ، وصالح الأسرة ، وخير الوطن : فاننا نُنظر بعد ثلاثة وأربعين عاما ، فنرى نفسا كانت تعيش في تلك الأيام بآراء اليوم ، وأفكار اليوم . فلتنهأ الروح الطيبة بجهادها ، ولتستقر نفس تلك الرائدة المسلمة ، فلقد عرفنا حقها ، وخلصناها في قلوبنا .





حياة

الأستاذ
عبد الرحمن الشريف

سير العظماء ودروس

أقيمت الندوة بقاعة المحاضرات ، بكلية
المعلمين بجامعة عين شمس وتحدث فيها :

١ - السيد حسين الشافعي نائب رئيس
الجمهورية ، ووزير الأوقاف ، والشئون
الاجتماعية ، والأزهر .

٢ - الشيخ محمد الغزالي ، مدير المساجد
بوزارة الأوقاف .

٣ - الشيخ أحمد الشرباصي ، المدرس
بالجامعة الأزهرية .

٤ - الأستاذ محمد عبد الرحمن الجديلي ،
وكيل الوزارة للشئون الدينية سابقا .

٥ - الأستاذ محمد كامل البنا المحامي .

٦ - الشيخ منصور رجب ، الأستاذ بكلية
أصول الدين .

قدم للندوة ، وأدارها الوزير السابق
السيد عبد العزيز علي .

وبدا الندوة الأستاذ محمد عبد الرحمن
الجديلي ، فتحدث عن الوراثة ، والبيئة في
حياة عمر بن عبد العزيز .

وما أحوجنا ، ونحن نمضي في ركب
الاشتراكية ، الى أن نستفيد من هذه
الدروس ..

نتعلم ...

ثم نطبق ...

وإذا كنا قد عشنا فترة من الزمن ، نستورد
فيها المبادئ من شرق وغرب .

فعجيب أمر ذلك ، وفيما معين لا ينضب من
سير عظمائنا ..

الزهد ...

الخلق ...

النفسية المضيئة ..

الاشتراكية الأصيلة ..

قليل من كثير في سير خامس الخلفاء ،
عمر بن عبد العزيز .

لقد بدأت جمعية الفرقان الاسلامية ،
المشرفة على مسجد عمر بن عبد العزيز بمصر
الجديدة ، موسمها الثقافي ، بندوة عن حياة :
عمر بن عبد العزيز ..

فعرض للورثة ، وما ينطبق عليها من تفسير الآية الكريمة ، في قوله تعالى « يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم ، الذي خلقك ، فسواك ، فعدلك ، في أي صورة ما شاء ركبك »

وقال .. ان بعض المفسرين يقصدون ان النطفة اذا ما استقرت في الرحم ، أحضر لها صور آباءها ، وأجدادها ، واختار لها صورة مناسبة ، وبذا يكون الولد شبيها بجده أو أبيه ..

ولما نزلت تلك الآية ، استأنس أحد المفسرين ، بما يقال من أن الإنسان يتخير لنطفه .. «تخيروا لنطفكم فان العرق دساس» وكان الرسول - عليه الصلاة والسلام - يقول « اياكم وخضراء الدمن » - وفسرها الرسول - صلى الله عليه وسلم - بقوله « المرأة الحسناء في المنبت السوء » .

واستطرد يقول ..

جاء رجل الى رسول الله يقول له .. ان ابني لا يشبه لونى ، ولا يشبه لون امه .. فقال الرسول « أرايت الناقة السوداء ، والجمال الأبيض ، يلدان الأورق «أى الرمادى» .. لعله نزع الى عرق من جدوده .. »

ثم قال ..

لقد كان جد عمر بن عبدالعزيز ، هو عاصم ابن عمر بن الخطاب .. ولا شك أن هذا كان له أثره في تكوينه ، وسلوكه المسلك الخطابى ..

بعث عمر بن الخطاب يوما مناديا ينادى يا أهل المدينة لا تمذقوا اللبن بالماء ..

وكان من عادة عمر أن يتجسس على أحوال الرعية .. فخرج في ليلة ، فسمع امرأة في كوخ صغير ، تقول لابنتها .. ألم تمذقى اللبن بالماء ؟ فقالت الابنة كيف ! ومنادى عمر ينادى : لا تمذقوا اللبن بالماء !

قالت الأم : امذقى كما يمذق الناس ، فهل معنا عمر أو منادى عمر ؟

فقالت البنت : يا أماه .. اذا كان عمر غائبا عنا ، فان اله عمر مطلع علينا ..

وسمع ابن الخطاب هذا القول ، فوضع علامة على الكوخ ، وفي الصباح ، بعث من يستطلع أمر هذه الفتاة ، فعلم أنها فتاة من بنى هلال ، تعيش مع أمها ، بعد أن توفي أبوها ..

فقال عمر .. اذا بنت هذه البنت بأحد سادة قريش ، أنجبت سيدا لقريش .. ودعا بابنه عاصم فتزوجها .

وولدت هذه الفتاة بنتا لعاصم ، ما أن كبرت حتى تزوجها عبد العزيز بن مروان ، فولدت له عمر بن عبد العزيز .

واستطرد بمثل من حياة عمر فقال .. جرد عمر كل اقاربه من الأمويين من أموالهم ، وأمر بها أن ترد الى بيت المال ..

فاجتمع سادة الأمويين ، وفكروا في أن يرسلوا له عمته .. وكانت سيدة مهيبة الجانب ، رفيعة القدر ..

وانتظروها خارج بيت عمر ، حتى تفرغ من مقابلته ..

قالت له عمته .. أتريد أن تجرد أسرتنا ؟! ، الا تعطينى قدرى من المال ؟

فدعا عمر بدينار ذهب ، وقربه من النار حتى توهج .. ثم قربه من خده ، وقال لعمته .. « أتريدان أن أكوى بهذا يوم الجزاء ؟! أعطيك من مالى .. دنائير ورثتها عن أبى »

فخرجت عمته من عنده ، لتستقبل المنتظرين من بنى أمية ، وتقول لهم .. « بنى أمية .. أنتم عليكم الحق .. زوجتم عبد العزيز بابنة الخطاب ، فولدت لكم عمر » .

واعقبه فضيلة الشيخ محمد الغزالي ، فتحدث عن الجانب الاشتراكي في حياة عمر بن عبد العزيز فقال :

الخلافة زعامة روحية .. واذا كانت الخلافة قد ورثت في بعض العهود ، فان الزعامة

لا تورث .. والكفايات والمواهب لا تنحصر في بيت ، ولا تحتكر على صفوة من الناس واستطرد يقول ..

لقد كان حريا بالنبوة أن تورث .. ولكن ذلك لم تجربه ارادة الله ..

فهذا نوح النبي قد ولد له ابن كافر .. وعلى قدر اصرار نوح في تبليغ الرسالة ، كان اصرار ابنه على الكفر ..

والنبي ابراهيم .. طلب من ربه ، أن يجعل ولاية العهد في ذريته .. « ومن ذريتي .. قال لا ينال عهدي الظالمين »

اذن بقيادة الشعوب لا تورث .. وليست حكرا على أسرة دون سائر الأسر .. وليست سلعة يتملكها هذا من ذاك ، الى درجة أن تقدم منحة ، لمن يسمونه صاحب سمو ، وهو مازال في لفائف الطفولة ..

ولذلك عندما أراد معاوية ، مبايعة ابنه يزيد بالحكم ، وقصر الخلافة عليه ، وعلى من بعده .. اهتزت مثل الاسلام اهتزازا كبيرا ، بعد أن كان أمر الحاكم موكولا للاختيار ..

ولما جاء عمر بن عبد العزيز ، كان همه أن يعيد للمثل الاسلامية الكرامة التي ضاعت في عهد بني امية .. فجعل سياسة الحكم والمال، تعود للقاعدة الاسلامية .. وخلع الحكم الذي آتاه بالتكليف .. وقال : لقد جاءني الحكم وأنا كاره له .. وطلب من الناس الاستفتاء على بيعته ، فبايعوه .. لأن الاسلام لا يعرف الملك الا على هذا الأساس ..

وأما سياسة المال ، فالاسلام لا يعرفها ، الا على أساس صدقة تؤخذ ، أو ضريبة تؤدى ، لتنفق على مصالح الناس .. وجعل ما دون ذلك غلولا .. « ومن يغفل يات بما غل يوم القيامة » ..

لقد كان تصرف الملوك في المال شائنا .. فمن خاصة ملكية .. الى حاشية ملكية .. الى أوقاف ملكية .. وكان هذا من أموال المسلمين ..

وجاء عمر بن عبد العزيز فكان همه ، أن يرد سياسة المال الى قواعدها الاسلامية .. فلا مال ، ولا انفاق ، الا بحق الله ، وفي سبيل الله ..

يلفه يوما ، أن أحد أولاده اشترى خاتما ، له فقص بألف درهم ، فكتب يقول له .. « بعه واشبع بثمانه ألف جائع .. واشتر بدلا منه خاتما من حديد .. واكتب عليه : رحم الله امرءا عرف قدر نفسه » ..

وكان عمر يقول .. « أنا في مال المسلمين ، كولي اليتيم .. اذا استغنى ، استعف .. واذا احتاج ، أكل بالمعروف » .. حقا ..

لقد كان عمر بن عبد العزيز ، أول من رد الحكم ، والمال الى قواعد الاسلام .. ولذلك اعتبر بحق ، الخليفة الخامس ، بعد الخلفاء الأربعة الراشدين ..

ثم تحدث الشيخ أحمد الشرباصي ، عن نفسية عمر فقال :

أتمنى لو اتخذته المسلمون مثلا اعلى لهم .. وقديما قال ابن حنبل : « اذا رأيت الرجل يعمل على نشر سيرة عمر بن العزيز ، فاعلم أن وراء ذلك خيرا » .. وما أحوجا أن نبسط سيرته ، ونيسرها في يد كل خطيب ، أو باحث اجتماعي ..

وأخذ بعد ذلك ، يوجز الحديث عن نفسية عمر ، فقسمها الى ثلاثة أقسام ..

نفس بدأت ذواقه .. ثم تواقه .. ثم لوامه ..

بدأ عمر في الشطر الأول من حياته ، شابا مترفا ، يرفل في اليسار والغنى .. يأخذ من أطايب الحياة ، ما ينعم به ويلذ له .. كان يلبس الرقيق من الثياب .. كان يتفنن في التطيب بالعطور ، فيعرفه الناس من بعيد .. كان يمشي مشية كلها خيلاء ، فقلدها الجوارى من حسننها ..

وهنا نقف قليلا ، وقفة تعجب !! شاب نشأ في هذا الترف ، الى حد أن يؤتى له بحلة من الصوف ، فيقول : « آتوني بأحسن

منها» ، هو نفسه ، الذى أصبح فيما بعد ، منظويا على الكثير من الحرمان ، الى حد أن يرد الخيل المظهمة ، والكثير من مظاهر الترف ..

ولو أن هذا الحرمان ، جاء وليدا لحرمانه فى نشأته لقليل : انه انعكاس ، لما لقيته فى هذه النشأة .. ولكن الحرمان ، الذى لبس نفس عمر ، كان بعد فترة من القناعة ، والترف ، والنعيم ، بأطايب الحياة .. وهنا موضع العجب !! وماذا يدل ذلك ، الا عن دافع قوى وراء شخصية عمر بن عبد العزيز !!

ثم تأتى فترة النفس التواقفة فى حياة عمر

كان يتوق الى العلم .. وكان يتوق الى الدين .. كان يتوق الى الشوق .. والتزوج من فاطمة بنت عبد الملك .. ثم تاق الى الملك .. وأخيرا تاق الى حب الله وحب الآخرة .

ثم انتقل بنفس عمر من هذه المرحلة الى مرحلة النفس اللوامة حيث قال :

عندما كان عمر أميرا على المدينة ، جاءه امر من الوليد بأن يضرب خبيب بن عبد الله بن الزبير ، مائة سوط ، لانه شتم الأمويين .. وبعد ضربه أمر بصب قرب الماء البارد عليه ، فتقلصت أعضاؤه ، وانكمش جسمه .. وحملوه الى بيته « بين الموت والحياة ..

ورجع عمر الى بيته ، وهو يحس اللوم فى قرارة نفسه .. يتعلل أمام الناس ، بأن هذا هو أمر الخليفة .. ولكن كيف به أمام الله ؟!

وأرسل رسولا يستنبيه خبيبا ، فوجده فارق الحياة .. فعاد لينبئ عمر ، فقال الرجل .. « وجدته كالمرأة أدركها المخاض ، يدور فى البيت كأنه لا يجد الأمان .. فما أن حملت اليه نبأ وفاة خبيب ، حتى أخذ الى الأرض ، يشن على ما اقترفت يداه .. »

كانت هذه الحادثة هى مفتاح التحول فى حياته .. نسي الترف ، وبدأ يشعر باللائم ، وبأنه لا تفصله الا الحسنات .. فجعل يصلح ، ويقدم الكثير من الحسنات .. ورغم هذا كان كلما ذكر بالجنة ، يقول كيف ، وخبيب على الطريق !!

وتحدث الأستاذ محمد كامل البنا عن زهد عمر بن عبد العزيز فقال :

لقد تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة ، لا عن استعداد .. ولكن عن قدر ..

فقد دعا سليمان بن عبد الملك مستشاره يوما ، فقال له .. اذا أردت أن تأخذ طريقك الى الجنة ، فاستخلف ابن عبد العزيز ، لانه يرى الله ، ويرقبه .. فلما مات سليمان ، أعلنت وصيته بخلافة عمر بن عبد العزيز .. فجمع عمر الناس وقال لهم « انى زاهد فى الملك .. ولقد نقضت البيعة عنكم » .. ولكنهم أصروا على مبايعته فكان ذلك انتخابا لا تعيينا ..

ويروى أنه من أسباب زهد عمر ، أن جده عمر بن الخطاب ، كان قد عين جابيا للأموال فى العراق .. فلما عاد من العراق ، استأذن من الخليفة فى الذهاب الى بيته .. فبعث الخليفة وراءه ، من يتجسس عليه ، ليرى ان كان أحضر شيئا معه من العراق أم لا .. فان وجده لم يحضر شيئا ، دفع اليه ثلاثمائة دينار ، منحة من الخليفة ..

فلما دخل رسول الخليفة على الرجل ، وجده يأكل خبزا جافا ، فأعطاه منحة الخليفة فأخذ الرجل يمزق قميصه البالى ، الذى يستر جسمه ، ويضع فى كل قطعة منه بعض الدنانير ، ويرسلها الى جاره محتاج .. فعاد الرسول يقول للخليفة : « لقد جئتك من عند أزهى الناس »

فذهب عمر بن الخطاب الى قبر الرسول ، يناجيه قائلا .. « أيقظ لعمر أن يكون خليفة على هؤلاء .. » ؟

وكانت هذه الواقعة ، من أسباب الزهد فى حياة عمر بن عبد العزيز .. جعلته يحس أن أفضل ما يعمل به الخليفة ، أن يتحرى الدقة والعدل ، والزهد ، وأن يكون مثالا أعلى للمسلمين ..

وذات مرة ..

اشتتهت نفسه الغسل ، فجىء له به .. فقال لزوجته : رديه لبست المال ، وهو يردد :

زهد الخليفة والدينيا بقبضته
في الزهد منزلة سبحانه باربيها
وعند منيته .. وجدوه يردد قول الله
تعالى ..

((تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون
علوا في الأرض ولا فسادا ، والعاقبة للمتقين))
وتحدث الشيخ منصور رجب عن أخلاق
عمر فقال :

ان ثروة الأخلاق ، تنحصر في الإرادة ..
والنية اذا اقترنت بالعمل ، كانت الإرادة ..
فالأخلاق عمل يعمل ، لا كلام يقال ..

ولأمر ما حينما سئلت عائشة عن أخلاق
الرسول ، قالت : ((خلقه القرآن)) .. لأنه كان
يعمل بالقرآن .

ولقد كان عمر مثالا أعلى للأخلاق ، لأنه
عاشها فعلا وعملا .. حتى قيل : ان خلفاء
العمل خمسة ، خامسهم عمر بن عبد العزيز .
جاء له مرة بهدية ، فأمر ببيعها لحساب
بيت المال ..

وكان يعمل على رد المظالم .. فبدأ بنفسه
حين رد خاتما من حديد ، كان قد أخذه قبل
الخلافة ، من أحد الناس ..

كان ينفق من ماله الخاص ، حتى أفناه ..
وقد قيل : انه دخل الخلافة ، وثروته أربعون
ألف دينار ، وعند موته ، كانت أربعين دينارا .
وكان يرحم حتى الحيوان .. كان له دابة
تعمل كل يوم بدينار ، وذات يوم عملت بدينار
ونصف .. فقال لمن يقوم عليها .. ((لقد
أجهدتها فأرجها)) ..

وعلى الجملة ..

كانت أخلاقه في اطار كلمته الخالدة ..
((القناعة كنز لا يفنى))

وفي ختام الندوة تحدث السيد حسين
الشافعي نائب رئيس الجمهورية ووزير
الأوقاف والشئون الاجتماعية والأزهر فقال :

لقد سمعت بهذه الندوة .. وأشكر جمعية
الفرقان الإسلامية الخيرية ، على بدء موسمها
الثقافي بسيرة الخليفة الخامس عمر بن
عبد العزيز .. واعتبرها ندوة موفقة لاختيارها
موضوعا يتفاعل مع الأحداث .

اننا نعيش في فترة من التاريخ ، نريد أن
نتقيد فيها بما كان قائما في عهد عمر بن
عبد العزيز .. وان كلمة الفرقان التي جعلت منها
هذه الجمعية شعارا لها ، انما هي اسم ضخيم
يوجب عليها الكثير من التكاليف لأنه فرق بين
الحق والباطل .. وان الذي يريد أن يتخذ
هذا شعارا له ، يجب ان يعرف ما ينبغي أن
يتخلق به ، ليفرق بين الحق والباطل .

لقد كان الاسلام يعتبر كل ما قبله جاهلية
.. ولم يقصد بذلك أن يتجاهل ما قبله من
حضارات .. وانما ليشرع المجتمع وليشعر
كل فرد أن ما قبله كان رجعية وردة ..
وكذلك كان ايماننا ، حين أطلقنا اسم رجعى ،
على كل من لا يتجاوب مع العدالة الاجتماعية ،
وهكذا يجب أن يكون هذا الاسم شعارا لكل
من لا يدرك معنى الثورة التي نعيشها ..

يجب أن يكون هذا الشعار هو أسلوبنا
العملي ، في مجال التطبيق ليهز المجتمع ، هذا
يشعر المجتمع معه انه انتقل من مجال الى
مجال .. وبهذه الصورة نعبّر تعبيرا صادقا
عن أنفسنا ، ونحن نسير فترة يتقرر فيها
مستقبل شعب .. الكل يحس فيه انه مواطن
له حق العمل .. حق الحياة حق الصحة ..
لا يشعر انه على هامش الحياة .. بل يشعر
بالتقديس لوطنه ، حين يجد حقه في العمل
وحقه في الحياة الكريمة .

ان دراسة السير هي من أكبر الدروس ..
نأخذ منها أسس التطبيق العملي السليم ،
ونجعلها نبراسا نهتدى به في مجالنا التطبيقي .

قد يقال : لدينا القرآن الكريم ، وهو كتاب
جامع شامل .. ولكن نحن بجانبه في حاجة
الى مزيد من أسلوب التطبيق العملي ، لما في
الكتاب من آيات بينات .. هذا الأسلوب بما

فيه من اجتهاد في التطبيق تبرزه السير التي قامت على نجاح وتوفيق ورشاد ..

وحسبك من تطبيق عملي رائع ، لآيات هذا الكتاب ، ما كانت عليه سيرة النبي الكريم الذي كان يطبق القرآن آية فآية متمشيا مع الأحداث ، والتاريخ ، والمجتمع في كل تصرف من التصرفات .

وأعلق تعليقا موجزا على نقطتين :

ففي مجال التورث ، وما سمعتم من أثره في حياة عمر بن عبد العزيز ، أذكر لكم حديث رسول الله الكريم « من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه » .

ان الذين يتشدقون بالأنساب ، والأحساب ، لا يمكن أن يقبل منهم ذلك الآن .. فإن كان عمله متفقا مع نسبه قبلناه .. وان كان عمله غير متفق مع نسبه ، فلا نعتد ، ولا نعترف به وانما حسبناه عليه .

وفي مجال البيعة وما قيل عنها في خلافة عمر بن عبد العزيز ، أذكر لكم أن الزعامة لا تورث لأن الاسلام لا يعترف الا بالبيعة .. وقد كان دستورنا في سنة ١٩٥٦ ، حريصا على تأكيد هذا المعنى .. وان رئيس الجمهورية ، مسئول على أن يحافظ على نظام الدولة جمهورية رئاسية ، ولا يمكن أن تكون الزعامة فيها موروثة .. وانما بيعة وانتخاب حر ، يضع على عاتق الحكم مسئولية كبرى .

وطالما بويع الخليفة من شعبه ، فعليه أن يستشير هذا الشعب في العمل الذي يريد أن يقوم به .. ثم ليحزم أمره بعد ذلك في التنفيذ ، لأن الاسلام قد أعطاه الحزم بعد أن يستشير ويتخذ القرار .. وهو ما يحدد مسئولية العمل في الاسلام ..

« فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين » .

شورى .. ثم عزم .. ثم توكل على الله وتنفيذ .. بعكس ما تفرضه الديمقراطية الغربية على الحاكم من قيود في تصرف الحاكم حتى بعد يبعته وانتخابه ..

ان هناك أمورا ثلاثة أراد الاستعمار أن يتحكم بها حين عمل على اضعافها فينا .. الجندية ، العقيدة ، واحترام العمل .

وها نحن أولاء نسير الى تصحيح كل ماأراده لنا الاستعمار .

أما الجندية .. فقد أعدنا لها كرامتها حين أصبح لكل مواطن حق الدفاع عن الوطن .. ولم نبق على نظام الطبقية الذي كان سائدا يوم كان لا يدخل الجندية الا من لا يملكون البدل .

وأما العقيدة فكان قائما عليها دائما الأزهري الشريف .. ولقد أردنا له مزيدا من القوة ومزيدا من الانطلاق حتى يشعر ان القوة مهما بلغت فلا بد من عقيدة تدفعها .. وان العقيدة مهما تحررت فلا بد من قوة تحميها .

ثم يأتي دور العمل .. ولقد أرادنا الاستعمار في الماضي أن نعيش عالة عليه حينما حطم فينا حتى الرغبة في العمل اليدوي وأراد لنا من التعليم مجرد الاحتفاظ بالوظيفة .. ولكننا اليوم نؤمن أن انطلاقنا الكامل انما يكون في تقديس العمل .. العمل المقرون بالعقيدة المحررة .. وحب الدفاع القوي لنصون للأمة ما حققناه لها من نصر وأمجاد .

وبعد ...

فيوم مات عمر بن عبد العزيز كان قد ترك أحد عشر ولدا ولم يترك لهم من المال شيئا .. فلما سئل وهو يحتضر هل من مال تركه لأولاده ؟

« قال : لا .. »

وبماذا ينفعهم المال اذا لم أترك لهم الصلاح «

فماذا يمكن أن تكون سيرة هذا الخليفة العظيم الا قيسا وهدى للذين يريدون الهدى !!

بين الكتب والرياسة



فضيلة الشيخ محمد الفزاح

وتلك آفة الحضارة بعد ما زهدت في الدين ، وتبرمت بتعاليمه ، « فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم ، أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم » .

والحق ان اتباع الهوى ان كان يطمس على حواس الأفراد ، فهو - على المجتمعات الضالة - يضرب ليلا طويل الظلام ، بارد الأنفاس ، بعيد الفجر . . .

ونريد أن نسارع الى نفى شبهة تروج عند الجاهلين بالاسلام ، هي أنه يحرم الناس امورا كثيرة ما تطيب الحياة الا بها ، ويعترض رغبات شتى ما يستريح الخلق الا باشباعها . . .

وهذا خطأ ، فان الاسلام ما حرم طيبا ، ولا حظر خيرا ، وكل ما تعتدل به الطبيعة البشرية وتستقيم فهو مباح لها .

ان الله ما حرم على الناس الا ما علم أنه يزيغ بهم عن الصراط ، ويتسارع بهم الى الشر .

والاسلام لم ينكر قط الطبيعة المادية للانسان ، ولا حقوق الفترة التي يقضيها على ظهر هذه الأرض .

غاية ما صنع أنه ذكر الانسان بأنه مادة وروح ، وأن صلته بالسما أعرق من صلته بالأرض ، ولذلك ينبغي أن يرعاها ، وأن يلتزم مطالبها !!

كان من أثر انتشار المذاهب المادية في عصرنا الحاضر أن تغيرت القيم الخلقية تغيرا كبيرا ، وأصبحت الفضائل النفسية عند كثير من الناس عبئا لا ضرورة له ، بل عبئا ينبغي التخلص منه ، وترك النفوس تسترسل مع هواها دون معاناة لكبته . . .

واستوعر الشباب ارتقاء المعالي وتسليم الكمال ، وليتهم - لما أخذت بهم أهواؤهم الى الأرض - اعترفوا بالقصور ، وتواروا بخزيهم .

لا ، انهم شرعوا يهونون من شأن الخلال الكريمة التي عجزوا عن تحصيلها ، وراحوا يصفونها بأنها قيود على الطبيعة البشرية تورث الضر والاكتئاب . . . !!

ومن هنا كانت السمة البارزة في عصرنا المسارعة في اشباع الهوى ، واسترضاء الغرائز الدنيا حتى تروى .

ورى هذه الغرائز - عن طريق الحرام - لا يزيدها الا ضراوة ، فهي تطلب المزيد دون أن تدرك الشبع .

والمجتمع البشرى الذي تدور حركاته على هذا المحور مجتمع طافح الاثم سييء العقبي . تطيش به نوازع الشره ، والأثرة ، وتتولد فيه مشاعر الحسد والبغضاء ، وقلما ينجو من اثاره الفساد وسفك الدماء .

وفي أثناء وفاته بحقوق هذه الصلة العليا
سوف تنازعه نفسه أن يتنكر لها ، وأن يتمرد
عليها ، وهنا يجب أن يكبح جماحها ، وأن
يكرها على قبول ما يضايقها ..

ومجاهدة النفس في هذا المضمار خلق
لا ينفك عنه مؤمن ، ولا يسوغ استئصال أمره ،
أو الترخص فيه .

وانما ترتفع منازل المؤمنين ، ويتألق جبين
أهل التقوى ، بمقدار انتصارهم على شهواتهم
وامتلاكهم لزمام رغباتهم ..

ان العراك الباطني لا ضجيج له ، ولا
سلاح فيه ، ولكن هذا العراك أخطر في نتائجه
من المعارك التي تنتشر فيها الأشلاء ، وتبدل
فيها الدماء .

ذلك ، لأن جهاد النفس هو الطريق الحقيقي
لبلوغ القمم التي تجعل الانسان يحتضن المثل
العليا ، ويبدل دونها النفس والنفيس ، وقد
جاء في الأثر أن الرسول قال عقب العودة من
أحدى الغزوات : « رجعنا من الجهاد الأصغر
الى الجهاد الأكبر » ..

قال عمر بن الخطاب « حاسبوا أنفسكم قبل
أن تحاسبوا ، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا ،
فانه أهون عليكم في الحساب غدا أن تحاسبوا
أنفسكم يوم القيامة ، وتزينوا للعرض الأكبر
« يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية » .

عن الحسن قال : « ان المؤمن قوام على
نفسه ، يحاسب نفسه لله عز وجل ، وانما
خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا
أنفسهم في الدنيا ، وانما شق الحساب يوم
القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير
محاسبة » .

ان المؤمن يفجؤه الشيء يعجبه فيقول : والله
انى لأشتهيك وانك لمن حاجتى ، ولكن
- والله - مامن صلة اليك ، هيهات هيهات ،
حيل بيني وبينك .

ويفرط منه الشيء فيرجع الى نفسه فيقول :
ما أردت الى هذا ، مالى ولهذا ، والله لا أعود
الى هذا أبدا ان شاء الله .

ان المؤمنين قوم أوثقهم القرآن وحال بينهم
وبين هلكتهم .

ان المؤمن أسير في الدنيا يسعى في فكاك
رقبته ، لا يأمن شيئا حتى يلقي الله عز وجل ،
يعلم انه مأخوذ عليه في سمعه وبصره ولسانه
وجوارحه .

وعن الحسن ، في وصية لقمان لابنه « يا بني
ان الايمان قائد ، والعمل سائق ، والنفس
حرون ، فان فتر سائقها ضلت عن الطريق ،
وان فتر قائدها حرنت ، فاذا اجتمعا
استقامت » .

ان النفس اذا أطمعت طمعت ، واذا فوضت
اليها أساءت ، واذا حملتها على أمر الله صلحت ،
واذا تركت الأمر اليها فسدت .

فاحذر نفسك واتهمها على دينك ، وأنزلها
منزلة من لا حاجة له فيها ولا بد له منها .

وان الحكيم يذل نفسه بالمكناره ، حتى
تعترف بالحق ، وان الأحمق يخير نفسه في
الأخلاق ، فما أحببت منها أحب ، وما كرهت
منها كره .

وحدثنا أبو عبيدة الناجي انه سمع الحسن
يقول : حادثوا هذه القلوب ، فانها سريعة
الدثور ، واقتنعوا هذه الأنفس فانها طلعة ،
وانها تنازع الى شر غاية .

وانكم ان تقاربوها لم تبق لكم من أعمالكم
شيئا ، فتصبروا وتشددوا ، فانما هي ليال
تعد ، وانما أنتم ركب وقوف ، يوشك أن
يدعى أحدكم فيجيب ولا يلتفت ، فانقلبوا بصلاح
ما بحضرتكم .

ان هذا الحق أجهد الناس ، وحال بينهم
وبين شهواتهم ، وانما صبر على هذا الحق من
عرف فضله ورجا عاقبته .

الديمقراطية الحقّة ودورها في الحضارة

الدكتور محمد عبد الباق

طريق الالهام الخفى بتحقيقها .. ومن ثم فأننا نشاهد أحداث الحياة البشرية المتباينة تتحول دائما الى صالح الديمقراطية ، وأن جميع بنى الانسان على اختلاف مشاربهم وتباين نزعاتهم ، قد ساهموا في مساعدتها بجهودهم المختلفة ، لا فرق في ذلك بين من كانوا يتوقون الى الفوز بنصيب من نتائج نجاحها ، ومن لم يكونوا يفكرون في معونتها ، ومن قاتلوا في سبيلها كمبدأ ، ومن أعلنوا عداؤها ومقاومتها ، أى أن التاريخ قد رأى كل هذه الطوائف تتدفق مختلطا بعضها ببعض في طريق واحد ، وأنهم جميعا قد اندفعوا بصورة غامضة الى العمل المشترك لتدعيمها ، أى أن هؤلاء يعملون مختارين ، وأولئك يندفعون مجبرين وأولئك يسيرون على علم وهدى ، وأولئك يسيرون على جهل يتخبطون ، وبالأجمال كأن الكل كانوا آلة صماء في يد القدر .

وإذا فالتسارع الديمقراطي ، أو انتشار المساواة العادلة بهذه الصورة التدريجية ، هو أحد أحداث العناية السماوية التي لا تقوى البشرية على وقفها . ومن آيات ذلك أنها محتوية على بعض مميزات ظواهر العناية الالهية ، كالعمومية والدوام ، ومجاوزتها حدود القدرة البشرية ، وأن كل الأحداث الدنيوية ، وجميع الأناسي يسهمون في نموها طوعا أو كرها ، وعن علم أو عن جهل .

ونحن اذا تأملنا في معنى هذا النص ، ألفيناه غاية في الدقة وبعد النظر وثقابة الرأي ، بل كأنه نبوءة ، تقرا المستقبل في كتاب محدد الأهداف ، ميسور الأسلوب لا سيما عندما يجزم بأن المبادئ الحقّة لا يؤيدها أنصارها فحسب ، بل ان أعداءها كثيرا ما يندفعون الى نشرها وتثبيتها طوعا أو كرها ، كأنهم آلة في يد القدر لا تدرك ولا تعي . ولم لا ؟ ألم يكن المشهورون بالرسول - صلى الله عليه وسلم - سببا جسوريا من أسباب انتشار الاسلام عن طريق دفع الأجانب - بعامل الفضول وشهوة الاطلاع - الى التنقيب عن

كان أبرز ما لفت نظر الاقتصادي الفرنسي الكبير « دى توكيفيل » أثناء زيارته لأمريكا في أواخر القرن التاسع عشر ، هو ذلك الأثر الفائق الذي طبع به كل شيء هناك في تلك الحقبة بازاء مساواة جميع الوطنيين في الحقوق والواجبات والمثول أمام القانون والاستمتاع بالحرية في كل البيئات والطبقات دون أى استثناء اذ لاحظ أن ذلك الأثر قد دمج المجتمع المدني كما انتقش في جميع الجوانب السياسية والمقومات القانونية ، فقد برز واضحا في اتجاه الروح العامة ، وفي تشريعات البلاد المتنوعة ، وتقنياتها المتطورة وظهر في مبادئ المصلحين ، وشعارات الحاكمين ، ومألفات الحكوميين .

ولقد كان من الطبيعي لدى هذا المفكر الممتاز أن يعقد موازنة دقيقة بين ما يجرى من المساواة العادلة في تلك الأصقاع في ذلك الحين ، وما يحدث في البلاد الأوروبية . ولم يكده يعقد هذه الموازنة حتى ألهمته هايتك الفقرات التي كانت كأنها نبوءة من نبوءات مستقبل الديمقراطية التي وصف حركتها القوية المحتاجة بأنها أحد تيارات العناية الالهية التي لا يقوى أى شيء على مقاومتها . واليك نبذة مما صور به هذه الحركة :

« أن ثورة ديمقراطية تشتعل بيننا ، وان الجميع يرونها ، ولكنهم لا يحكمون عليها بطريقة واحدة ، بل هم لا يتمثلونها على صورة متفقة ولا يتوقعون منها نتائج متشابهة ، ففريق ينظر اليها ، على أنها شيء جديد ، ويعتبرها حدثا عابرا ويفعمه الأمل في أنها (سحابة صيف عن قريب تنقشع) بينما أن فريقا آخر يجزم بأنها حركة لا تقاوم ، لأنها من أقدم المحاولات التاريخية وأقواها وأشدّها صلابة ، وأعظمها مقدرة على المغالبة والجلاد .

وفي الواقع أننا - من أية جهة ننعم النظر في العالم كله - نلمح نفس الثورة التي تهدف الى تحقيق هذه الغاية التي يبدو أنها سماوية نقلت الى بنى الانسان سرا ، وهم مطالبون عن

هذا النبي بكل مألديهم من امكانيات ؟ وقد نتج عن هذه المعرفة ، استكناء الحقيقة الذي استتبع الايمان ، وهو عكس ما كان يريد أعداء الاسلام .

ونحن اذا تأملنا في حركتنا الراهنة ألفينا أن الرجعية - بنشاطها المستغل المفرط في الجشع والافساد - قد أسهمت بنصيب فعال في دفع النهضة الديمقراطية الى الأمام . « ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى » .

على أن هذا المفكر الاقتصادي لم يكن وحده على هذا الرأي ، بل نحن نجد بين آراء جميع المفكرين المتعمقين ، واستمع الى الكونت دي هوسونفيل الكاتب الفرنسى الأرستقراطى النزعة ، المستنير العقل اذ يقول :

« أحسب أنه ينبغي قبول ظاهرة الديمقراطية لثبوت عموميتها .. وأنى لا أملك الا أن أقرر أن البخالة الديمقراطية هي دور زمنى يمر ضرورة بالمجتمعات الانسانية ، وأنها جزء أساسى من تطوراتها لا يمكن تجنبه . ومن ثم فأنى - كشخص منطقى واقعى - يبدو لى أن الوقوف في طريقها يكون من العبث بقدر ماتكون محاولة إرجاع تيار النهر الفياض الى الورا » .

انتهت هذه الجهود الى أن اتخذت بازاء فكرة الديمقراطية ، هذا القرار الحاسم الذى مؤداه أن المساواة بين بنى الانسان جميعا هي - فى نظر الفلاسفة الروحيين والعقليين - مساواة مغنوية قبل كل شيء ، أساسها أن جميع الأفراد متساوون فى الحياة الروحية بطبيعة وجودهم ، وهذا يحول دون أدنى امتياز لأحدهم على الآخرين ، بمعنى أن يكون البعض وسائل والبعض الآخر غايات .

ولما كانت هذه المساواة - بسبب مغنوياتها وفطرتها - أساسية ، فقد وجب أن تكون جذيرة بالاحترام ، وبالتالي وجب أن تتطلب مساواة مدنية وسياسية . وهذه المساواة الأخيرة هي التى تسمى بالمساواة أمام القانون . ولا ريب أن من أوائل معانى هذه العبارة إمكان مساهمة الجميع فى الأعمال العامة : كل حسب كفايته ومؤهلاته ، بل أن هذه المؤهلات نفسها هي وحدها التى تمنح

أصحابها حق الاشتراك فى تشريع القوانين ومزاولة تطبيقها .

هذا هو مجمل ماوصلت اليه لمجهودات الجبارة الجلدة ، وقاسى فيها أربابها أشق أنواع العناء ، وأفدح ألوان العسف ، منذ العصور الأثرية الغابرة حتى الآن .

ولا جرم أن من يلقي نظرة متمعنة ، على صفحات التاريخ يلفيه منعما بالمظالم والجرائم التى نشأت من تجاهل المساواة واحتقار مبادئها ، واتخاذ فريق من بنى الانسان - قست قلوبهم وتحجرت أفئدتهم اخوتهم فى البشرية عبيدا ، بل آلات لأغراضهم ، وأدوات لأهوائهم ورغباتهم . ولو أننا تتبعنا حركات المصلحين الذين احتملوا تبعة مهاجمات هذا الطغيان ، لرأينا ماقاسوه من عنف وتعذيب ، ونفى وتشريد ، وما الى ذلك مما يثقل كاهل الانسانية بالأخطاء والسقطات ، ويملا صفحاتها بالآثام والسيئات .

ولما كان الاسلام هو دين الفطرة بأكمل معانى هذه الكلمة ، وأن هذه الفطرة هي التى ضمنت له عموميته بل كونيته وصلاحيته لكل زمان ومكان ، فانه من الطبيعى أن تكون الديمقراطية أو المساواة فى الحقوق والواجبات ، أو العدالة السياسية والاجتماعية مبدأ من مبادئه . ولذا نحن سنغنى هنا بأن نسجل بحروف النور على صفحات الخلود أن الاسلام منذ أن سطعت أضواؤه بين الانسانية ، أعلن - فى صراحة ووضوح ، وبلا أى ضغط أو قسر أو اجهاد أو اضطهاد - أن بنى الانسان متساوون فى الخلقة والفطرة ، وفى المنشأ والمصير ، وأن مأتى هذه المساواة روحى محض ، لا أثر فيه للعوامل العرضية التى لا تزيد ولا تنقص من القيمة شيئا ، لأنها طارئة جائلة .

بيد أنه لما كانت الروح شجرة ، ثمارها الأخلاق السامية والفضائل العالية التى لولاها لصارت قاحلة مجذبة ، فقد جعل الاسلام تلك الفضائل وحدها مبعث التفريق ، ومصدر الامتياز الذى يرتقى بأحد المتساوين على الآخرين ارتفاعا جوهريا ملحوظا له اثره ونتائجه كما جعل الرذائل منبع الانخفاض الذى يهبط بصاحبه الى مستوى أدنى مما كان

يشغله قبل اقترافها ، أى حين كان الحكم للفطرة ابان حالة الاستعداد المحضة التى يستوى فيها الجميع والتى أعلن القرآن ، أن جميع بنى البشر فيها سواء ، وأنذرهم بالتفرقة والتمييز اذا هم خرجوا عن العهد وتمردوا على الميثاق . وتابع النبی القرآن ، ففصل ما أجمله ، وبسط ما أوجزه . وبهذا هتف لسان الحال قائلا : **قد أعذر من أنذر** ، وقد قبل الانحدار عن المستوى الفطرى من طغى وتجبر ، أو فسق وفجر ، وبالأجمال خرج على الحالة الفطرية ، ومرق عن الاستقامة الطبيعية ، فاستحق الحرمان من التكريم ، واستوجب الطرد من المساهمة فى ذلك الفيض العميم ، الذى تفضل به العليم الحكيم على بنى الانسان عند الميثاق القديم ، الذى عاهدوه فيه على الاعتراف بربوبيته وعبادته ، وشرفهم باقتران شهادتهم بشهادته ، ثم تجلى عليهم فأنبأهم بتفضيله وتكريمه ليتفانوا فى اتقائه وتعظيمه : **((يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم))** . **يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء** . **هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها** . **الناس سواسية كأسنان المشط ، لا فضل لعربى على أعجمى الا بالتقوى** .

ومما لاشك فيه أن هذه نظرة دقيقة عميقة لا يستطيع أجراً الخصوم النزهاء ، أن يغفلوها أو يتجاهلوا مرماها الخلقى العظيم ، أو يجحدوا مغزاها الاجتماعى الشامل فيرموا الاسلام - كما رماه بعض المتجنين عليه من المستشرقين - بأن مساواته ليست انسانية ، اذ لو كانت كذلك ، لما جعلت الايمان أو التقوى أساس الصعود وعدمهما أساس الهبوط . . . والا فهل فقد الملحد انسانيته حتى ينحدر مستواه فيفقد المساواة مع الانسان المؤمن .

وليس اسهل للرد على هذا التحامل المتجنى من أن نلفت أنظار أصحاب هذا الرأى الى أن المساواة فطرية بسبب وحدة الأصل والعنصر، وان الامتياز الى اعلى ، والانخفاض الى ادنى عارضان ، ولكن لا بسبب غنى أو فقر ، أو

قوة أو ضعف أو عراقة أو عصامية أو ماشاغل ذلك من الأمور الاجتماعية الحائلة ، بل لذلك السبب الرئيسى الذى هو أساس العمران ومصدر نظام الحياة وانسجامها . . . وهو الخير والشر ، أو الفضيلة والرذيلة اللتان من تحلى بأولاهما سما ، ومن اقترف ثابتهما هوى عن المستوى ، وأهدر كرامته بسلوكه ، وتنازل عن مكانته بإرادته .

وأيا ماكان ، فان مبدأ المساواة الاسلامية فطرى يرجع تاريخ تأسيسه الى ابداع الله النفوس البشرية أولا ، ثم الى جعله هذه النفوس طرفا آخر معه جل جلاله فى الميثاق الذى ارتبطت به أمامه فى عالم ماوراء الأشباح ثانيا والذى احتوى فى داخله على انذار كل من يغدر أو يخون العهد بالانحدار عن مستوى الآخرين ، وبالتالي انذاره بفقد كل ماله من حرمة وكرامة وعزة وحقوق .

وهذا هو عين العدل المثالى الذى حاولت القوانين الوضعية أن تحاكيه فى معاملة ذوى السوابق وسيئى السير والسلوك ، فلم يعترض عليها أحد من أولئك المتجنين ، بل كانت موضع احترامهم جميعا ، مع أنها لم تظفر من القوانين السماوية الا بصورة ضئيلة باهتة . . . فما بالهم يأخذون ذلك على الاسلام رامين مساواته بأنها غير فطرية ، منشؤها الايمان والتقوى ، وهما عارضان طارئان على المؤمن التقى ، وليس ذاتيين فيه ؟ .

بان من كل ماتقدم أن المساواة أمام القانون فى نظر الاسلام فطرية وأن الفرد لا يفقدها بأى عامل أو لآى سبب غير هوية عن مستوى الفطرة السامى الى حضيض الرذيلة والاثم والغدر وخيانة الوطن ، وأن الذين يأخذون على الاسلام هذا الحكم ، انما هم ضالون مفتاتون متناقضون مع أنفسهم فى نظرهم الى القوانين الوضعية بازاء ذوى السوابق من المجرمين .

ومهما يكن من الأمر ، فانه - بعد أن سجلنا الحكم النظرى للاسلام فى هذه المسألة - ينبغى لنا أن نشير الى شئ من الأمثلة الحية العملية التى يحقق فيها الاسلام المساواة الفطرية وروح الديمقراطية الحقة ، وموعدا المقال المقبل .

التربية الروحية

أساس المجتمع

فضيلة الشيخ
أحمد الشرباصي

به الانسان لون من التربية الروحية ، وحب الخير وكرهية الشرلون من التربية الروحية، والشعور بالشخصية الفردية مع المشاركة الوجدانية والاندماج في الشخصية الجماعية لون من التربية الروحية، وحب الوطن والغيرة عليه والدفاع عنه لون من التربية الروحية . . وهكذا نستطيع ان نقول : ان ما يقابل التربية الحسية المادية يكون تربية روحية ، وان كان المؤثر الأكبر في التربية الروحية هو وجدان النفس وتأثر القلب ، والدين بطبيعة الحال أقوى في التوجيه الروحي من أى مؤثر آخر ، لأن المؤمن به يعتقد ويجزم ويوقن بأنه هدى الهى مسوق اليه ممن لا يجوز عليه النقص أو السهو أو النسيان ، وممن خلق الأشياء والأحياء، وهو أعلم بخيرها وشرها وما يسعدها وما يشقيها « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » ٠٠١٩

هذا فيما يتعلق بتحديد المراد من التربية الروحية اللازمة لكل انسان ، لأن كل انسان مكون من مادة هي جسمه ، وروح هو مجموعة قواه المعنوية والعاطفية والوجدانية ، فما علاقة هذه التربية بالمجتمع الذى نريد ان يكون بناؤه سليماً قوياً ٠٠١٩

ان المجتمع بناء يتكون من لبنات هي الأفراد، والتلازم واضح بين الطرفين ، فحيثما وجد المجتمع وجد معه الأفراد ، وحيثما وجد الأفراد تكون منهم المجتمع . . كما ان التأثير

أجمع العقلاء على أن الانسان محتاج في حياته الى التربية ، لكى يحقق انسانيته ، ويؤدى رسالته . والتربية أنواع وألوان ، منها التربية الجسمية ، ومنها التربية العقلية، ومنها التربية الروحية ، « والروح » فى الأصل مابه حياة الانسان ، وهو لطيفة ربانية لسنا على يقين من حقيقتها وجوهرها « ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربي ، وما أوتيتم من العلم الا قليلا » . ولكن كلمة « الروح » كسبت من الاستعمال العام مدلولاً جديداً هو ما يقابل المادة ، فما اتصل بالبدن والأشياء المحسوسة يسمى بالمادة ، وما يدخل نطاق المعنويات والمشاعر والوجدانيات يسمى بالروح أو الروحي .

وأصبحنا نقصد بالتربية الروحية تلك التربية التى تسعى الى تطهير القلب ، وتهذيب النفس ، والتحلل بالأخلاق الفاضلة ، والابتعاد عما لا يليق بالانسان الكريم المعبدن ، والاعتزاز بالمعاني النبيلة والمشاعر السامية ، وهذا هو هدف التربية الدينية القويمة .

وبعض الناس يجهل حين يقصر معنى التربية الروحية على الناحية التعبدية بالمعنى المألوف ، مع أن هذه التربية الدينية يفسح مداها حتى يشمل كل ما يرقى بالانسان فى أحاسيسه وعواطفه ، ومشاعره وأخلاقه ، فالإيمان بالبارئ الأعظم ، مع الشعور بجلاله وجماله وكماله، لون من التربية الروحية ، والتعبد بما جاء فى الدين الذى يؤمن

متبادل بين الأفراد والمجتمع ، فإذا ارتقى الأفراد بعقولهم وقلوبهم وحواسهم ومقاصدهم ، ارتقى المجتمع وسما ، والعكس بالعكس ، والمجتمع إذا كان طهورا فاضلا عاد ذلك بالخير على أفرادهِ ولبناتهِ ، وإذا طافت بالمجتمع طائفات من الانحطاط أو الانحراف أثر ذلك في الأفراد ، فالفرد مرتبط بالمجتمع ، والمجتمع مرتبط كذلك بالأفراد .

ومعنى هذا أننا فى أشد الحاجة الى اعداد الأفراد اعدادا صالحا ، يتكون لنا منهم لبنات سليمة قوية ، تترابط وتتعاون ، حتى تكون هذا البناء الضخم وهو المجتمع . ولا يمكن للفرد أن يحس فى صدق وعمق بمعانى التكافل والتعاون وتبادل الخير الا اذا كانت هناك قوة روحية مهيمنة ، تهيمن عليه وتوجهه وتقود زمامه ، وأسمى صورة لهذه القوة الروحية أن تتكون عند صاحبها على أساس ايمان صحيح راسخ بالقوة الخالقة المبدعة ، وهى الله جل جلاله ، **رحمن الدنيا والآخرة ، وقيوم السموات والأرض ، ومن بيده ملكوت كل شيء ، وهو على كل شيء قدير : الذى خلقنى فهو يهدين ، والذى هو يطعمنى ويسقئ ، واذا مرضت فهو يشفين ، والذى يميتنى ثم يحيين** » .

ولذلك يقرر المربون أن أهم أساس فى التهذيب الروحى هو الايمان الدينى ، لأن هذا الايمان قوة عجيبة رائعة ، تشعر صاحبها دائما بأنه لا يقتصر فى محاولاته خلال حياته على جهده المحدود أو طاقته القاصرة ، بل هو يصل أسبابه بأسباب تلك القوة الغيبية الكبرى ، التى لا يحد سلطانها ولا قدرتها ، واذا ما شعر المرء بذلك أحس بأن من ورائه مدداً أى مدد ، وبأن له حصناً أى حصن ، فيبعث هذا فى نفسه الطمأنينة من جهة ، والقوة من جهة ثانية ، والثابرة من جهة ثالثة ، ورجاء الرحمة من جهة رابعة ، وخشية العذاب من جهة خامسة ، فيعتدل على الطريق ، ويستقيم على الصراط .

والقرآن يحدثنا بأن المؤمنين حينما يسلمون وجوههم وقلوبهم لخالقهم وبارئهم ، يعتصمون بالحصن الأشم الأعلى ، ويستمسكون بالعروة الوثقى التى لا انفصام لها ، فهم يسمعون من ربهم ويطيعون ، وهم يسألونه وبه يستعينون ، وهم يرجونه الهداية والتوفيق ، والعفو عن الزلل والخطأ ، والنصرة على الأعداء الأثمين : « **آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله ، وقالوا : سمعنا وأطعنا ، غفرانك ربنا وإليك المصير ، لا يكلف الله نفسا الا وسعها ، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، ربنا لا تؤخذنا ان نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا ، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين** » .

والايمان بالله ، وبشرعة الثواب والعقاب ، هو الذى يحرض صاحبه التحريض القوى على تطلب السمو الروحى ، ومقاومة معوقاته ، ولذلك جاء فى الحديث النبوى : « **ان المؤمن ينضى لله شيطانه ، كما ينضى أحدكم بغيره فى السفر** » . أى أن المؤمن يجتهد فى تطهير روحه ، وتصفية نفسه ، وتعمير حياته بعمله الكريم الطيب ، وكلما جاءه شيطان السوء ليوسوس اليه ، أو ليلفته عن خطته ومنهجيه وطريقته أعرض عنه المؤمن وتأبى عليه ، واستمر دعوياً على نضاله وأعماله ، فيهرق شيطانه بذلك ويتعبه ، وأنعم بذلك من جهاد .

ويقول عبد الله بن مسعود : « **شيطان المؤمن مهزول** » أى بخيل ضعيف مريض ، لا يقوى على وسوسة أو اغواء ، لطول ما قاومه المؤمن بحزمه وعزمه وقوته الروحية ، ويقول أحد العابدين المجاهدين - وهو قيس بن الحجاج : « **قال لى شيطانى دخلت فيك وأنا مثل الجزور ، فصرت الآن مثل العصفور ، قلت : ولم ذاك ؟ قال : تذيبنى بذكر الله** » !

وليس المراد بذكر الله هنا هو ترديد اسمه باللسان فقط ، بل معناه الايمان به ، ومن آمن بالله أدام ذكره ، ومعناه مراقبة الانسان لذبه في عمله ، واستعانتة به في حياته ، واستحضاره لهيبته في القبول والعمل ، والحركة والسكون ، وبذلك يبلغ المرء مرتبة الاحسان التى ينتهى اليها الايمان ، والتى عبر عنها الرسول بقوله : « **الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك** » **والذى جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، وإن الله لمع المحسنين** » .

ولقد كانت التربية فى المجتمع العربى الاسلامى تنهض على الأساس الروحى الذى يتفرع عنه فروع لها صلة بالحياة والمادة والاقتصاد والعمران ، وغير ذلك من نواحي المجتمع . وكانت هذه التربية تسير فى العصور الراشدة معتدلة قاصدة ، لا يسرف أصحابها فى الروحيات حتى تجعلهم أشباحا سلبيين ، لأنه لا رهبانية فى الاسلام ، ولا يسرفون فى الماديات حتى يكونوا كالعجماءات التى لا يهمها الا ملء البطون وقضاء الملذات والشهوات ، فهذا شأن الكافرين الماديين الراتعين فى الحما المسنون : « **والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام (البهائم) والنار مثوى لهم** » . والرسول يرمز الى ذلك فيقول « **المؤمن يأكل فى معنى واحد ، والكافر يأكل فى سبعة أمعاء** » .

ونستطيع أن نتعرف الى ملامح هذه الطريقة المعتدلة المتوسطة فى عهد النبوة وفى عهد الخلفاء الراشدين ، وفى الأيام الطيبة المزهرة من حياة بعض الأمويين كعهد عمر بن عبد العزيز الحاكم العادل وخامس الراشدين ، ولكن الدنيا أقبلت بخيلها ورجلها على المسلمين عامة ، وعلى العرب خاصة ، فاذا الفتوح تكثرت ، واذا الغنائم تتضخم ، واذا الحياة تليق وترق بمتعها وخيراتها ، واذا الترف يجد طريقه الى كثير من الناس ، وتجلي ذلك بوضوح فى عصر العباسيين ، وخشى كثيرون

من أهل الغيرة على العقيدة وعلى الحياة الروحية أن يتفاقم الخطب ويتزايد الخطر ، لأن الترف هو المعول الذى يقوض بنيان المجتمع ، ويهدم كيان الأمم ، ولذلك يقول القرآن الكريم : « **واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها (أى كثرناهم) ففسقوا فيها فحق عليها القول ، فدمرناها تدميرا** » .

فكان من جراء ذلك أن نهض هؤلاء يقاومون الترف والتمتع الفاحش بملذات الحياة فأخذوا ينشئون المسالك الصوفية الزاهدة ، التى تجعل الناس يعرضون عن الطيبات فى هذه الحياة ، ويتقشفون ويزهّدون ، وكما أسرف السابقون لهم فى التمتع بملذات الحياة ، أسرف هؤلاء فى تركها وإهمالها ، مع أن الله - تبارك وتعالى - قد رسم الطريق وحدد المعالم فقال : « **أنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا** » . ويقول : « **يا بنى آدم ، خلوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ، إنه لا يحب المسرفين ، قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ، كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون ، قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، والاثم ، والبغى بغير الحق ، وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ، وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون** » .

والقول الفصل هنا ، هو أن يتذكر الانسان أنه مكون من جسيم وروح ، وللجسم مطالبه ، وللروح حياتها وحقوقها ، فاذا فسد الجسم بالتفريط فى حقه ، أو الافراط فى شهواته ، انهدم أحد الركنين الأساسيين اللذين تنهض عليهما حياة الانسان ، واذا فسدت الروح بأن أهملها الانسان حتى أضعفها وأهانها صار حيوانا أو كالحيوان ، واذا غنى صاحبها بها وحدها وأهمل الجسد صار الانسان شبيحا هزيلا سلبيا فى هذه الحياة ، واختلط لنفسه خطة جائرة بعيدة عن هدى الله ، لأن الله يريد

منا أن نعنى بالجسم والروح ، وأن نعمل
للدنيا والآخرة ، وأن نجمع بين التمتع الطيب
والتعبد السليم ، والأثر الإسلامى يقول :
« اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل
لآخرتك كأنك تموت غدا » !!

ودارت الأيام بنا دوراتها ، وبلينا فيما
بلينا بنكبة الاحتلال الأجنبى ، فوطىء
بلادنا بأقدامه القذرة ، وحرص بكل وسيلة
فى عهده على فصل التربية الروحية عن
التربية العقلية والمادية ، فقصر مناهج المدارس
والمعاهد - فى عهده المظلم الأسود - على تخريج
موظفين هم كأنصاف المتعلمين أو كأنصاف
الجاهلين ، قد يحسنون شيئا من
الحساب والكتابة ، ولكن أرواحهم لم تنزود
بزادها الذى يجعلها حية قوية ، تأبى الضيم ،
وتعاف الذل ، وتهيم بالمكارم ، وتشغف
بجلائل الأعمال ، واستطاعوا حينئذ - بهذا
الفصل بين التربية الروحية والتربية المدرسية -
أن يحطموا القوى المعنوية فى نفوس الأفراد
والجماعات ، ومانريد التوسع فى استعراض
هذه الصفحات الأثيمة للاحتلال الأثيم فى
بلادنا ، فان حديث الأفاعى طويل المدى ،
ولكنه يحسن بنا أن نتذكر أن هذا الاحتلال
الأوربى اللئيم كان اذا وجد روح التدين قويا
- والتدين عماد التربية الروحية - عمد الى
تحريف الدين فى نظر الناس ، والى استغلال
بعض رجاله أسوأ استغلال ..

فهؤلاء مثلا هم الانجليز أصحاب الأفاعيل
السود .. لقد احتلوا الهند بقوة الحديد
والنار ، ولكنهم وجدوا هناك ملايين من
المسلمين فيهم نخوة الاسلام ، وفيهم روح
الشجاعة والاقدام ، وفيهم تلك القوة الروحية
المعنوية ، التى تجعلهم يفضلون المنية على
الدنية ، ويؤثرون الشهادة فى سبيل الحرية
والعقيدة ، على الحياة فى ظلال الهوان والمذلة ،
وأخذت هذه الملايين تقاوم هذا الاحتلال
البريطانى الأثيم ، وتقوم بحركة الجهاد الذى
فرضه عليهم دينهم ووعدهم فيه احدى

الحسنين ، فاما النصر مع العزة فى الحياة ،
واما الشهادة مع النعيم فى الآخرة ..

فماذا يصنع الانجليز أمام هذه المقاومة
الناشئة عن الايمان بأن الذل كفران بالله ،
وعن الاعتقاد بأن الخضوع للمحتل اثم كبير؟
صنع الانجليز متنبئا كذابا مفتريا فى مقاطعة
« البنجاب » بالهند ، وفى بلدة « قاديان » ،
وهذا المتنبئ المفتري الكذاب هو غلام أحمد
القاديانى الذى أغراه الانجليز بأن يحرف
للهندود المسلمين تعاليم دينهم حتى تنحرف
تربيتهم الدينية ، واستجاب صنيعة بريطانيا
لرغبتها ، فأخذ يذيع بين الناس أن الجهاد
ليس من تعاليم الاسلام ، وأن عهده قد مضى
وانقضى ، ويدعو الناس الى الخضوع لبريطانيا
والنزول على أمرها ، لأنها ولية الأمر ، وطاعة
أولياء الأمور واجبة ! .. ألا ساء مايزعمون !

وهكذا كان الاحتلال يحرص على أحدا ممرين
لهدم القوى الروحية فى الأمة المحتلة ، فاما أن
يحرمها التهذيب الروحى المتسامى بأصحابه ،
واما أن يحرف لهم تعاليمهم الدينية ومبادئهم
الروحية ليظلوا فى يديه لعبا أو اكرا يحركها
كما يشاء .

ولكن الأمة المؤمنة أخذت بعد الاستقلال
تعرف للتربية الروحية حقها ، فجعلت للتهذيب
الأخلاقى مكانته ، وأخذت تعنى بغرس الوازع
الدينى فى نفوس التلاميذ عن طريق الدراسة
والعبادة والقدوة والتدريب ، وثمرات هذا
التوجيه الروحى لا تظهر ولا تينع فى مدة
قصيرة ، لأننا نحتاج - أولا - الى أن نتطهر
من رواسب الماضى وهى ثقيلة عميقة ، ومن جهة
أخرى نحن فى دور تجربة ، وقد يبدو لنا
بعض النقص فى المدرس ، أو بعض النقص فى
الدارس ، أو بعض النقص فى المنهاج ، وهذا
كله يمكن تداركه واصلاخه على توالى الأيام
وتتابع التجارب ، كما أن المرتقى المأمول - الذى
يرجوه الغيور لأبناء الأمة فى مستواهم الروحى
والأخلاقى والدينى - مازال على مرمى البصر
منا ، وواجبنا أن نحدو اليه الجموع مرحلة
بعد مرحلة ، والله خير مستعان .



في



الأستاذ
عبد المنعم النمر

وتقاليدنا وأعماق نفوسنا ، لعلاج ما في مجتمعنا من أمراض ، بدلا من استيراد خطط ومبادئ من الخارج لها ظروفها التي لا تتفق مع ظروفنا وأوضاعنا ، فيكون الضرر منها أكثر من النفع بها .

واختار الباحثون لأبحاثهم بعض العناوين الاجتبية المشهورة ليضعوها - بعد تعريبها - لافتة على مبادئ الاسلام ، فكانت التسمية جديدة ، ولكن المفهوم قديم ، ربما كانت له أسماء أخرى غير هذه الأسماء المشهورة الآن . فوجدنا مثلا من يقول « أبو ذر الاشتراكي » أو « اشتراكية الاسلام » أو « التأميم في الاسلام » .

وقد يكون لهذا الاستعمال ما يبرره من رغبة الباحثين في الاسراع الى مخاطبة الجماهير ، تحت العناوين البراقة التي ألفوها وانخدعوا بها ، والتحدث اليهم بما في الاسلام من خطط ومناهج ومبادئ تحقق لهم ما يعلقونه من آمال على هذه المبادئ المستوردة . فكانت المسألة تشبه عملية عرض سريع لبضاعة وطنية تحت اسم مشهور أجنبي لجذب الناس الى هذه البضاعة وتجربتها . حتى يعرفوا أنها خير مما يرد اليهم من الخارج .

ولكم نود أن ينهض الفيارى من الباحثين . لاستخراج وتجميع ما في الاسلام من مناهج كاملة لاقامة المجتمع الصالح في كل نواحيه ، ثم تقبل على هذه المناهج من كل قلوبنا ،

امتاز العصر الحديث بظهور مبادئ اقتصادية ، ترمى الى الحد من سيطرة رأس المال وتحكمه في مصالح الشعوب ، ومصائر الحكومات ، كما ترمى الى ضمان مستوى من العيش الكريم ، يناسب كرامة الانسان .

وكان ظهور هذه المبادئ . رد فعل لما كان يعانيه المجتمع الأوربي حينذاك من شرور الاقطاع وتحكم رأس المال مما أفسح لها الطريق الى نفوس الجماهير ، حتى قامت باسمها أحزاب ودول ، ثم اعتنقتها مئات الملايين لا في أوربا فحسب . ولكن في كل قارات الدنيا ، وعرفناها نحن العرب المسلمين ، ونحنتنا لها من لغتنا أسماء جديدة تدل مفاهيمها عليها كالاشتراكية والشيوعية وكالتأميم . . . الخ . . .

وكان من الطبيعي أن ينشط الباحثون الاسلاميون للبحث عن هذه المفاهيم في الاسلام ، ومعرفة مدى اتصالها به ، وما اذا كان فيه مثل هذه الأهداف أو المبادئ التي أعلنتها هذه المذاهب ، وتهافتت عليها الجماهير في كل مكان . . .

وكان قصد هؤلاء الباحثين أن يبرزوا لآخوانهم المسلمين ما يتعارض منها مع الاسلام ، أو ما يتلاقى معه ويعنى به ، حتى يقل اندفاعهم الى استيرادها من الخارج ، وليلفتوا نظرهم الى أن الخير كل الخير هو في اثار ما عندنا من مثل كريمة ، وخطط سليمة نابعة من بيئتنا

ونتخذها سبيلنا لبناء المجتمع الذى نريده ، وأن يكون عندنا من الشجاعة والايمان بها ، ما يجعلنا نتخلص من المبادئ الأجنبية ولافتاتها، ونعرضها على أنها بضاعتنا موضوعا وشكلا ، ثم نقدمها لغيرنا على هذا الوضع لكى يجربها . بعد أن يعرف أننا جربناها وسعدنا بها .

وأنا واثق أن هذه المناهج بما قامت عليه من أسس روحية أخلاقية ، وبما تبعته من حب النفوس للخير والعمل له دائما ، ستتغزو حينئذ قلوب العالم كما غزته من قبل . . . وذلك يتوقف - بلا شك - على مبلغ ايماننا بها وتحمسنا لها وارتباط حياتنا بها . .

هذا كلام أردت أن أقدمه بين يدي البحث الذى أريد الحديث عنه الآن ، وهو بحث يدور حول أحد هذه المبادئ* التى عرفت على أنها من انتاج الغرب الفكرى وهو « التأميم » ومدى صلته بالاسلام .

وقد عرفنا التأميم بأنه تحويل الملكية الخاصة لفرد أو أفراد الى ملكية عامة للأمة لتنتفع به وبثمرته ، وتتولى الحكومة ادارته والإشراف عليه ، بما يحقق المصلحة منه مثل كثير من المرافق العامة التى تديرها . . . وقد رأينا الدول التى أخذت به تختلف فيما بينها فى أسلوب تطبيقه ، فبعضها صادر الملكية الفردية نهائيا ، وجعل كل شئ ملكا للدولة ، وبعضها اقتصر فى تطبيقه على بعض الملكيات دون بعض تبعاً لتقديره المصلحة فى ذلك . .

فما هو موقف الاسلام من مبدأ « التأميم » هل يمكن - إذا دعت حاجة الأمة اليه فى ناحية من النواحي - أن نأخذ به دون أن يكون فى ذلك مخالفة للاسلام والى أى مدى يمكن ذلك ؟

وقد بحثت هذا الموضوع منذ عشر سنوات قبل قيام الثورة ضمن الموضوعات التى اشتمل عليها كتابى « الاسلام والشيوعية » وبحثى الآن يتناول المبدأ فى حد ذاته دون دخول فى

التفاصيل ، ولا فى طريقة التطبيق فان ذلك أمر متروك للحاكم يفعل به ما يحقق المصلحة منه ، دون اجحاف بأحد أو حدوث ضرر ، قد يعوق المصلحة المنشودة منه . . على أنى ابادر فأقول ان حدوث أى خطأ فى تطبيق مبدأ من المبادئ ما كان أبداً ليطعن فى صحة هذا المبدأ أو يفض من قيمته الذاتية ، وان كان قطعاً مما يسيء اليه . ذلك لأن البشر معرضون للخطأ والصواب ؛ ومدى ما يمكن أن نلزمهم به هو المبادرة بتصحيح الخطأ حين اكتشافه ايثارا للصواب وتحقيقاً للمصلحة المنشودة .

ولكى يأخذ هذا الموضوع حظه من البحث لا بد أن نتناول النقاط الآتية :

أولاً - موقف الاسلام من الملكية الخاصة :

فالاسلام يحترم الملكية الخاصة التى جاءت عن طريق صحيح مشروع ، بحيث لا يجوز لانسان أن يأخذ مالا بدون رضا صاحبه ، وقد وضع الاسلام عقوبات رادعة . لكل من تسول له نفسه الاعتداء على هذه الملكية فى الوقت الذى جعل فيه من يقتل فى سبيل الدفاع عن ملكه شهيداً كمن يقتل فى سبيل الدفاع عن عرضه . . وهذا كله فى الأحوال العادية أى اذا لم تطرأ ضرورة من الضرورات تجعلنا نخرج عن هذه القاعدة ، فاذا كانت هناك حاجة ومصلحة تصرفنا فى حدودها ، وبهذا يعنى أن الاسلام لا يقر مصادرة الملكيات الفردية كلها وحرمان الأفراد من حق التملك حرماناً تاماً ، كما فعلت الشيوعية فى روسيا . .

ثانياً : الملكية الخاصة : من الأمور المباحة

يعنى أن الاسلام لم يفرض على الشخص أن يمتلك ، كما لم يحرم عليه ذلك ، بل أباح له أن يمتلك ما يشاء مما يصح تملكه بالطرق المشروعة . . وللفقهاء قاعدة مقررّة ، وهى : أن الشئ المباح فى حد ذاته قد تحيط به ظروف تحتم فعله أو تحرمة أو تجعله شيئاً مرغوباً فيه أو مكروهاً . فشرب الانسان الماء مثلاً من الأمور المباحة ، يشرب الانسان متى شاء ولا يترتب على ذلك وجوب أو حرمة أو كراهة . . الخ . . ولكن قد تطرأ على الانسان ظروف توجب عليه أن يشرب اذا تعين الماء انقذاً

لحياته ، أو تحرم عليه الشراب إذا أنتج عنه ضرر محقق .. وقد يحسن إذا كان أفيـد للجسم في هذه الظروف وقد يكره في بعض الحالات .. وهكذا كل شيء مباح في أصله يمكن أن تطرأ عليه الأحكام الأربعة كما يقول الفقهاء : الوجوب والحرمة والندب والكراهة تبعا لاختلاف الظروف ، والمصالح ..

والمصلحة العامة للأمة هي مدار التشريع ، وهي مقدمة على المصلحة الخاصة متى حصل تعارض بينهما ، وحيثما توجد المصلحة فثم شرع الله كما يقول الأئمة من العلماء ..

ثالثا : أعطى الاسلام لأولى الأمر في الأمة البصيرين بأمورها ، الغيارى على مصلحتها المسؤولين عن سياستها ، أعطاهم الحق في أن يتدخلوا في الأمور المباحة عند الحاجة فيفرضوها على الأمة لما فيها من منفعة عامة محققة ، أو يحرموها عليها لما فيها من ضرر ويصبح من الواجب عليها طاعتهم في كلتا الحالتين . فالزراع مثلا أحرار في أن يزرعوا أرضهم بما يشاءون هذه هي القاعدة الأساسية، ولكن قد تطرأ ظروف ، يرى الحاكم فيها أن مصلحة الأمة توجب زراعة صنف معين أو توجب الاكثار منه وتحرم زراعة صنف آخر أو تقلل منه فله في هذه الحالة أن يصدر قرارا بما يراه محققا للمصلحة وعلى الأمة أن تطيع هذا القرار وتنفذه . وفي ضوء هذه القاعدة أمكن للمسلمين الأول والفقهاء أن يتدخلوا في الحكم على أشياء كثيرة لم يرد فيها نص معين بالوجوب أو الحرمة ، ويجدوا الحلول الناجعة لكثير من المشاكل المستحدثة .

فراينا عمر رضى الله عنه يمنع بعض كبار الصحابة من مغادرة المدينة لحاجته اليهم بجانبه ، وخوفا من تفرق الناس حول آرائهم حين يذهب كل منهم الى بلد من البلاد ، مع أن الدخول للمدينة أو الخروج منها مباح في حد ذاته .. ورأيناه يأمر بالاقلال من الاشتغال بحديث رسول الله لما رأى الناس يشتغلون به عن القرآن، ورأيناه ينهى عن التزوج بالكتابات حين رأى في التزوج بهن ضررا على المسلمين وعلى مصلحة الأمة ، مع أن التزوج بهن مباح بنص القرآن .

وبناء على هذه القواعد وهذه السوابق ، يمكن الحكم على أشياء كثيرة مما يجرى في أيامنا من وجهة النظر الاسلامية .. فلو أن الأمر أن يمنع فردا أو أفرادا من التملك لشيء إذا كانت مصلحة الأمة متعينة في ذلك * وله أن يحد من الملكيات الواسعة إذا تحقق بعد البحث والدراسة من المختصين أن فيها ضررا لا يمكن ازالته الا بهذا الاجراء .. وله أن يستولى على بعض الملكيات الخاصة لجعلها منافع عامة للأمة إذا كانت هناك ضرورة ومصلحة عامة تبرر هذا الاستيلاء ، ولو لم يرض أصحابها ، مع ضرورة دفع التعويض العادل لهم .. وهذا الأخير هو التأميم ..

هذا من جهة القواعد العامة للشريعة ، وقد رأينا أنها تتسع له ولا تعارض فيه متى كانت هناك مصلحة عامة من ورائه ..

وعندنا فوق هذه القواعد العامة سوابق يعتمد عليها ويستدل بها في هذا الموضوع ، وهي - أن أردنا تسميتها بلفظة العصر الحديث - نص في وقوع التأميم في العصر الأول للإسلام .

فقد ذكر صاحب مرآة الحرمين عن الأزرقى والامام أبو الحسن الماوردى وغيرهما أنه « لما استخلف عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - اشترى دورا وهدمها ووسع بها المسجد وكانت تلك أول زيادة ، وأبى بعضهم أن يأخذ الثمن وامتنع عن البيع فوضع عمر أثمانها في خزانة الكعبة فأخذوها بعد ذلك .. الخ . وهذا نص في أن عمر - رضى الله عنه - استولى على دار وهدمها ليوسع بها المسجد ، وذلك بغير رضا صاحبها .. وحين امتنع الرجل عن أخذ الثمن وضعه في خزانة الكعبة باسمه . وجاء الرجل بعد ذلك وأخذ الثمن .. »

والحكومات الاسلامية المتعاقبة منذ صدر الاسلام الى اليوم تفعل مثل ذلك حين تنزع بعض الملكيات دون رضا أصحابها لحاجتها اليها في توسيع مسجد أو بنائه أو شق ترعة أو مصرف أو شارع أو بناء مدرسة أو مرفق

آخر من المرافق العامة . ولم نعرف منذ صدر الاسلام الى اليوم من قال - من الصحابة او الأئمة الاعلام او العلماء الموثوق بهم - ان هذا حرام واعتداء على الملكية الخاصة لا يبيحه الشرع بل أقروه واعتمدوه وأفتوا به . وهذا هو التأميم وان كان في نطاق ضيق الا أنه وضع قاعدة وهي جواز نزع الملكيات الخاصة لتحويلها الى ملكية عامة للأمة تستفيع بها في أية صورة من صور الانتفاع . والمهم هو جواز المبدأ ، وسواء اقتضت المصلحة العامة نزع ملكية صغيرة أو ملكية كبيرة فهذا لا يضر كما لا يضرنا شكل الملكية الخاصة التي نزعنا وحولنا الى ملكية عامة .

وعندنا فوق هذا سابقة عمرية أخرى روتها كتب التاريخ الموثوق بها ولا يتسع المجال هنا لذكرها كما وردت ، ولذلك نلخصها في سطور قليلة على أن يرجع من أراد اليها مفصلة ويمكن أن نسمى ما حدث تأميماً بلغة عصرنا وكان على نطاق أوسع ، وذلك حين هزم الجيش الاسلامي جيوش كسرى واستولى على أرض العراق وما جاورها وطالب الجنود الفاتحون أن يقسم عمر عليهم حقوقهم من غنيمة الأرض كما جرى على ذلك العمل أيام الرسول وأبي بكر وأيام عمر نفسه . ولكنه توقف هذه المرة عن توزيع الغنائم على مستحقيها ، لانه رأى ان المصلحة العامة للمسلمين تقضى بجعل هذه الأراضي ملكاً عاماً للمسلمين جميعاً ، ينفق من دخلها على مصالحهم لا ملكاً خاصاً للأفراد ، واشتدت معارضة الفاتحين لعمر وانضم اليهم عبد الرحمن بن عوف وغيره رضى الله عنهم جميعاً وقالوا له : كيف تأخذ حقنا الذي حصلنا عليه بأسياقنا وتوقفه على قوم لم يشهدوا الحرب وعلى أبنائهم وذرائعهم وهم لم يشهدوا حرباً ؟ . وطالت المناقشة ، فاستدعى عمر عشرة من كبار الصحابة وعرض عليهم رأيه وقال : زعم هؤلاء أنى أظلمهم حقهم ، ومعاذ الله أن أركب ظلماً ، ولكنى رأيت أنه لم يعد هناك أمامنا بلد نفتحه أغنى من بلاد كسرى فإذا قسمت ما غنم هؤلاء منها بينهم فمن أين

نجد الأموال التي نسد بها الثغور ، وننفق منها على الجيوش والأرامل والمحتاجين ؟ . ولذلك رأيت أن أجعل هذه الأراضي ملكاً عاماً للمسلمين جميعاً نستغل دخلها للانفاق منه على مصالحهم والدفاع عن حدودهم . فاقتنع الصحابة وقالوا : الرأي رأيك نعم ما قلت ، ونعم ما رأيت . ونفذ عمر رأيه ومسح الأرض وجعلها ملكاً عاماً للمسلمين يذهب دخلها الى خزانة الدولة .

وهذا هو التأميم . فان الأرض أصبحت حقاً للأفراد الفاتحين وملكاً لهم بمقتضى الفتح ، وكانت تقسم بينهم . لكن عمر في هذه المرة رأى ألا يسلم الفاتحين حقهم من الأرض وجعلها حقاً عاماً للمسلمين كما رأيت . وهناك شواهد فعلية متعددة لا يتسع لها المقام الآن .

وهكذا ترى مما سبق كله أن مبدأ التأميم تقره القواعد الشرعية ، كما أنه وقع في صدر الاسلام ونفذ ، وان لم يكونوا يعطونه هذا الاسم الحديث « التأميم » .

ومن الممكن للحاكم المسلم الذي يعتمد على تعاليم الاسلام ، أن يستعمل هذا الحق عندما تدعو اليه ضرورة مصلحة الأمة ، على أن يراعى في تطبيقه تجرى المصلحة العامة وحسن تقديرها ، حتى لا تتخلف عنه عواقب ضارة توازي المصلحة المتبغاة منه فنكون قد أسأنا الى المبدأ ، والى المصلحة التي ننشدها . وعلى أن يقوم بدفع التعويض العادل لصاحب الملكية المستولى عليها .

وهكذا نرى أن الاسلام بنصوصه وقواعده العامة ، لا يمكن أن يقف حجر عثرة في سبيل تحقيق مصلحة عامة للأمة وأنه كفيل بتوفير النهضة التي نرجوها لو اتخذناه أساساً لحياتنا، والتمسنا من هديه العلاج لكل أدوائنا « يأياها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم ، وشفاء لما في الصدور ، وهدى ورحمة للمؤمنين » « ومن أصدق من الله قيلاً » .

سائر نثر

الأستاذ
محمد خليفة التونسي

مواهبه والف بين وجوه نشاطه في مختلف مجالات حياته الكمالية والضرورية . ومن هنا أيضا كانت نزعة الانسان الى أن يبسط سلطان الدين على كل وجوه نشاطه حتى ما ليس للدين عمل في خطته ولا نتائجه ، وان كان من صميم عمله في مصادره الأصلية خلال النفس الانسانية ، أو كان من البواعث عليه ، أو كان مما لا ينافيه هناك ، أو لم يكن له عمل به في مصدره ولا وجهته ولا غايته .

وتاريخ الأديان - و لاسيما قديمها - وهو تاريخ حياة الانسان الشاملة منذ وعى ، وهو كذلك تاريخ فنونه وفلسفاته وعلومه وصناعاته ونظمه الاجتماعية .

تدين الانسان منذ وعى ، وكذلك منذ وعى حاول أن يجعل نفسه وما حوله موضوعات لتفكيره ليعرفها بفكره وحسه وخياله وشعوره ووهمه ، كما حاول أن يصنع ما يحتاج اليه على وفق معرفته ، وأن ينظم شئون حياته وشئون مجتمعه على نحو ما أدته اليه مداركه حتى يستقر على حال تؤمنه على حياته وتكفل له نمو نفسه ، ومضى في مراحل الدين طورا بعد طور في عصر بعد عصر كما مضى في مراحل المعرفة وتهيئة وسائل المعاش ونظم الاجتماع يتخبط في طريقه فيهدى حيناً ويضل حيناً حتى اليوم .

وظهر له - خلال تطوره النفسى والاجتماعى - قرونا بعد قرون - أن بعض ما يؤمن به لا يتفق

يتدين الناس تلبية لدواعى الحياة في نفوسهم ، ومجساة لبواعثها وأرضاء لأشواقها ، وتأميناً لمخاوفها ، وليست هذه العوامل الحيوية النفسية على درجة واحدة من الرفعة أو الضعة ، ولا تجرى على نمط واحد من القوة أو الضعف ، والسعة أو الضيق ، وان كانت كلها بشرية بمعنى أنها نابعة من الطبيعة البشرية ، ملازمة لها ملائمة لمصلحتها .

فالانسان يتدين طلباً للمعرفة كما يتدين طلباً للفضيلة ، ويتدين طلباً للتعبير عن مواجد نفسه ، كما تكشف عن ذلك شتى فنونه مما يدل على عمق جذور الفن فى النفس البشرية والتباسها بجذور الدين فى أعماقه حتى فيما لا تظهر عليه علاقة بين الدين والفن ، وكلاهما مما يرضى حب الانسان للجمال . . وميله الى النظام والحرية متعالياً فوق القيود التى تحبس فى أسرها من دونه من الكائنات .

ويتدين الانسان طلباً للرفعة أو الشرف أو الغلبة كما يتدين طلباً للألفة مع من حوله وما حوله ، أو حباً للسكينة والأمن والقرار ، وكلها تجرى مع ميل الانسان الى توكيد ذاته ، وترضى حبه لنفسه وحاجته الى الاجتماع بغيره . .

ومن هنا يبدو لنا نطاق التدين فى النفس واسعا يكاد يشمل جملة حياتها بكل ما تنطوى عليه من قوى واستعدادات ، ومن هنا كان أرضى الأديان للانسان ما جمع بين مختلف

مع عقله أو علمه أو نظامه الاجتماعي ، وكثيرا ما اتسعت شقة هذا الخلاف بنمو ملكاته وتمايزها وتخصص كل منها بوجه معين من نشاطه ، ولكن الانسان كان دائم الحرص على التوفيق بين جوانب نفسه أو جوانب حياته ، فعديل كثيرا مما يؤمن به ، كما عدل كثيرا من معارفه وأوضاعه الاجتماعية ، لينتظم سعيه على وجه واحد ، ولا يتبدد نشاطه في وجوه كثيرة متدابرة . وهذه التعديلات لا تبطل أساس التدين كما لا تبطل أساس المعرفة ولا أساس الاجتماع ، وان دلت على أن طرق الهداية الى الحقائق عسيرة مختلفة ، وان أطولها وأعسرها طريق الهداية الدينية الى حقيقة الوجود الكبرى التي تعلو سائر الحقائق وتشملها وتفيض عليها وجودها . ولهذا احتاج الانسان في طريقها الى مجاهدات أكبر في عصور أطول مما احتاج في طريق الهداية الى غيرها من الحقائق الصغيرة القريبة ، واعتز بما حصل من جانبها أشد مما اعتز بمحصوله من غيرها ، فانما على إيمانه بهذه الحقيقة الكبرى تستقر حياته هو وسائر الكائنات من حوله وتستفيد حكمته ومعناها وغايتها ، وبغير هذا الإيمان تكون تلك الحياة حركة قلقة مضطربة بلا حكمة عنده ولا معنى ولا غاية .

لم يكن يشق على الانسان في مجال المعرفة بالطبيعة حوله أن يستبدل فكرة بفكرة أو رأيا برأي ، ولا في مجال معاشه فيها أن يستبدل مكانا بمكان أو وسيلة بوسيلة أو نظاما بنظام كما كان يشق عليه في مجال الدين أن يبدل أصغر عقيدة ، فكان يضطر الى الاعتصام بها والجهد ماوسعه لحمايتها من شكوك نفسه وهجمات خصومه ، وكثيرا ما كان حرصه على عقائد دينه أشد من حرصه على دمه لأن ضياع الحياة عند النفوس القوية دائما ، والنفوس الضعيفة أحيانا أيسر من ضياع عقيدتها الدينية ، وهي عندها صلة الولاء التي تربطها بالروح الأكبر الذي يراه المتدين ملجأ روحه في عمره القصير وفيما وراءه من أعمار وجوده الدائم قبل هذا العمر وبعده ، والنفوس - ولا سيما القوية على خلاف ما قد يظن - أقوى احساسا و يقينا بهذه الصلة العميقة المحجبة ، منها بأي صلة لها بعالم الطبيعة

من حولها حتى أمتها وأسرتها ، بل جسمها الذي تقوم فيه .

ولذلك لا يبدل الانسان عقائده الدينية كما يبدل آراءه وفقا لتفكيره ومشاهداته وتجاربه ، أو كما يبدل طرائق معاشه في وطن بعد وطن ، بوسيلة بعد وسيلة ، على نظام بعد نظام وفقا لضروراته ومنافعه ومتعه الحيوية على قدر حظه من الحول والحيلة .

فاذا بدل عقيدة عن اخلاص أو رياء فانما يبدلها مضطرا كمختار ، أو مختارا كمضطر ، وما ذلك الا لأن العقيدة الدينية لا تتجه اليها ، أو نتجه اليها ليمسك بها فرد أو طائفة أو أمة يوما أو عاما أو قرنا ، بل لتحدد وجهة ولأنا الدائم للوجود كله ، فانما على أساس هذا الولاء عند انسان ترسخ حياته هو وحياة طائفته وأمته وجنسه وعالمه كله . . ويكون لهذه الحياة - كما قدمنا - حكمته ومعناها وغايتها ، مهما تختلف عنده أوطانه ومعارفه وطرائق معاشه خلال العصور المتطاولة .

من أخطر مهام العقيدة الدينية اذن أن تكفل لضمير الانسان السكينة والقرار في علاقته بالوجود ظاهرة وخافية ، وهي علاقة ولاء مدرك من جانب الانسان ، وولاء مدرك كذلك من جانب الموجود الأعظم كما يتصوره ويفهمه وعى الانسان ، وان جميع الأديان وكثيرا من الفلسفات لتوضح الولاء بين الجانبين على هذا النحو ، فكلما الجانبين مولى الآخر أو وليه ، ولا مكان للتسدين الانساني حيث ينعدم الولاء بين الجانبين على ما ذهب أرسطو حين قرر أن الله حرك العالم وتركه لمصيره وفق نواميسه ، وأنه لا يفكر الا في ذاته لكماله ، وأن العالم هو الذي يتحرك اليه مجذوبا بالشوق الى كماله .

ومن الملاحظات السديدة في هذا الصدد ملاحظة للكاتب الانجليزي البارع اللورد واكولي خلال مقالته على مواطنه الشاعر الكبير ملتن ، اذ ذكر بين العلل في وفرة اقبال الناس على المسيحية خلال عصورها الأولى ، وقلة اقبالهم على اليهودية التي سبقتها بقرون ولم تبلغ حتى الآن مبلغها من الانتشار - أن الناس يومئذ شعروا أن الله في صورته المسيحية الصق بحياتهم وأقرب الى نفوسهم القلقة ، وأحرص على العناية

بمصلحتهم وبث الطمأنينة والعزاء في قلوبهم من الله في اليهودية التي باعدت بينه وبين البشر حين بالفت في تجريده فكادت تعزله عن العالم ، ثم انها غلبت فيه جانب البأس والسلطان على جانب الرحمة والعناية . ومن شارك الانسان همومه والعمل على مصلحته وراحته كان أحب اليه وأقرب ممن يعتزله تاركاً اياه ومصيره ، وان كان في ذاته أعظم من وليه وأقدر ، فعظمته وقدرته انما تعنيه وحده ، ولا تعني الانسان المثقل بهمومه ، الحائر في سعيه ، الحريص على مصلحته وراحته وطمأنينة ضميره في حاضره ومضيره ، وقد تروعه تلك العظمة أو تلوى وجهه اليها ليلمقها أو ليفكر فيها أو ليصفها ، ولكنه لا يحبها ولا يطمئن اليها ولا يستعين بها ، ولا وجه اذن عنده للتدين معها ، ولو انقلب شعوره بالذل حيالها شبه مودة ، أو سوغه هو لضعفه بأنه مودة .

ولا غنى في التدين أو الولاء بين الانسان وربّه من شعور الانسان معه بتبادل الحب والفهم والاستجابة الى جانب الشعور بقداسة معبوده وسموه وكماله ، والانسان لا يشعر بكامل قواه ، وكامل حريته ، وكامل كرامته الا وهو متجه بجميع نفسه الى ربه الذي هو فوق الطبيعة والمهيمن عليها والمدير لأمورها بقدرته وحكمته ورحمته ، ولا يشعر بأجزاء نفسه مجتمعة الا في حضانة هذا الروح القادر العاقل الفاضل .

وقد يتدين الانسان رغبا أو رهبا ، ومجاراة لأحزانه وآلامه أو مضيا مع أفراحه ولذاته ، وعجزا عن الفهم والروعة والمخاطرة أو اقتدارا عليها ، وتهوينا من قدره أو اعلاء له ، ورضا عن عمل مضى أو شروعا في عمل جديد ، ولكن لا غنى له في كل أحواله عن الشعور بتمكن الصلة بينه وبين هذا الروح الكامل الذي ينادله الفهم والحب والتقدير والاستجابة .

وقد يشعر الانسان بضآلته اذا قاس نفسه بكثير مما في الكون فضلا عن الكون كله ، وقد يشعر الى جانب ذلك بهوان قدره وذلته ، وربما يسبق الى الظن أن هذا الشعور بالصغر والهوان يكون أشد عنده حين يقيس

نفسه بربه الذي يعلو الكون ويهيمن عليه ، ويقيس عمره القصير بحياة ربه الأبدية ، ولكن الذي يبدو من التجارب الدينية أن ايمان الانسان بربه لا يصغره ولا يحقره أمام نفسه ، وكل ما في اعتبار نفسه بربه هو الخضوع المحبوب الشاكر الذي ينفي عنه الكبرياء والأثرة اذ لا محل لهما أمام الايمان بالله ، ثم لا يكون الانسان بعد ذلك أملك لأزمة نفسه وأكثر احتراما لها الا في حال صلته بالله ممثلا بايمانه . فمن شأن هذا الايمان أنه موضع عناية الله يشرح صدره ويضع عنه وزره ويمده بحظ من قدرته وفضيلته وعلمه ، ويملا جوانب نفسه برحمته - أن يشعر أمام نفسه بكبر قدره ورفعة مكانته ، وكثيرا ما خامرت هذه الحالة بعض النفوس فتألهت أو توهمت قبسا من كماله حل فيها وهي ذاهلة عن بشريتها الناقصة .

فالايان لا يخامر النفوس الضعيفة دون القوية أو أشد مما يخامرها ، بل عكس ذلك هو الصحيح ، لأن الايمان مع القوة حيث خامر نفسا وان كان في المؤمنين أقوياء وضعفاء ولكن أقوى الناس أشدهم ايمانا . واذا لاحظنا أن التدين في كل نفس انما هو صورة حياتها ، عرفنا السبب أن أعظم الناس ايمانا وأقدرهم عليه هم أعظم الناس نفوسا وأقدرهم على حمل المسؤوليات الثقيل .

ان فروض العرف هي التي تحدد علاقة الانسان بطائفته ، وفروض القانون هي التي تحدد علاقته بأمتة ، وفروض الأخلاق هي التي تحدد علاقته ببني جنسه فاذا هو توحد سقطت عنه كل هذه الفروض ، فما الذي يحمي نفسه عندئذ ويميز بينه وبين السامة الأبدية في منقطعها عن العمران ؟ هناك مكان شاغر لنوع أكبر من الفروض يصححها جميعا ويعلو عليها جميعا ، كما تصحح فروض القانون فروض العرف لأنها أعلى منها ، وكما تصحح فروض الأخلاق فروض القانون لأنها أعلى منها ، فما هي هذه الفروض ؟ وأين محلها ؟ أما محلها الشاغر فهو علاقة الانسان بالوجود الأبدى الذي يشمل النوع الانساني بكل أممه وطوائفه ، بل

يشمل العالم الطبيعي بكل سماواته وأفلاكه وأبعاده وأزمانه ، لأنه أصل كل موجود وفوق كل موجود ، وهذا الوجود هو الله ، وفروض هذه العلاقة هي الدين ، فإذا توحد الإنسان منقطعاً عن الناس فسقطت عنه فروض عرفه وقانونه وأخلاقه بقيت له فروض دينه لأنه قائم في ملكوت الله الذي لا فكاك له منه كما لا فكاك منه لكائن فيه عند فكر ولا خيال ولا فرض ولا وهم ، مهما يرتفع هذا الكائن في مراتب الوجود ، لأنه ملكوت واحد أبدى لا انتهاء له في أى جهاته .

وهل يابق الإنسان عن ملك ربه

فيخرج من أرض له وسما ؟

كما سأل المعري منكراً متبرماً ؟ والجواب بالضرورة : لا ، فكل كائن فيه متضامن معه مستقر فيه باختياره واضطراره ، باعترافه وإنكاره ، وما استطاع أحد نسيان ولائه لهذا الملكوت وتضامنه معه إلا بقدر ما ينسى نفسه ، أو كما بين القرآن الكريم ((نسوا الله فأنساهم أنفسهم)) وليس في الوجود عقوبة أشجع من هذه اللعنة ، ولا أفدح من نسيان النفس خسران كما بين القرآن أيضاً .

فمجال الدين اذن هو هذا الولاء الشامل على صورة يقر بها ضمير الانسان ويطمئن ويبتهج ويتفتح ويحب ، ولو زلزلت به الأرض والسماوات ، فان الدين هو آخر ما يعتصم به الانسان وأقواه ، سواء لحاضر عمره القصير في دنياه ، أو لما وراء حاضره من أعمار حياته الماضية والمستقبلية ، اذ يصاحب الايمان بالله في معظم الأديان ايمان بخلود الانسان ، وفي هذا ما فيه من رفعة لقدره وتقدير لصلته الممتدة بالكون وخالقه ، وتحقيق مسؤولياته وفقاً لهذا الامتداد . وقد يشعر المؤمن بغاية الوحشة بينه وبين الناس والعالم ، وبتخلي أقرب الناس له عن نجدته في خطوبه ، أو بازدراء الخلق جميعاً له ، ولكنه لا يشعر إلا بالأنس والكرامة والقوة مع الله في ايمانه به واسلام وجهه اليه .

وليس الانسان بحاجة الى تغيير هذا الولاء كله أو بعضه كلما تغيرت مداركه أو علومه أو وسائل معاشه أو نظم اجتماعه ، وليس فيها

مجتمعة - مهما يبلغ من نفعها له وسددها لحاجاته وتيسيرها لمتعه - ما يغنيه عن هذا الولاء أو يقوم بعض مقامه في كفالة الأمن لنفسه وتنميتها واحكام وصلها بمن حولها وما حولها ، ونعمة الانسان في نفسه ومعيشته قد تبلغ كفايتها ، ولكنها تبقى مبتورة ناقصة شائئة ما لم تقم على ولائه للوجود كله ، فإذا قامت جذورها على هذا الولاء وجدها راسخة تامة جميلة ، وانما تقوم كينونته على صلاته بالوجود كله ، فإذا توكدت بالولاء بينه وبين ربه عن طريق الدين بلغ الانسان غاية احساسه بنفسه واتضحت له علاقاته بربه ، ثم يرتد من تلك الغاية ليحدد موقفه ممن يحيطون به وما يحيط به في هذا الكون الكبير عالماً به أو جاهلاً ، ومن تلك الغاية يستلهم هدايته في شتى مجالات نشاطه فيما يعلم ويجهل من حياته ، ومن ذلك يقوم ويقيم ضروب نشاطه في كل مجال حتى طعامه وكسائه .

وحقائق الدين عند كل انسان رهينة بعوامل الحياة في نفسه ، وصورة تدينه هي صورة الحياة في نفسه ، ونحن لا نستطيع أن نقف على معاني هذه الحقائق وصورها وعالها القريبة الا بالنظر اليها وهي ممتزجة بالحياة في طوايا النفوس الانسانية ، ولا تستطيع التمييز أو التفصيل بين أنواعها وأنماطها الا بما تحقق من المصلحة الانسانية الكبرى في حدود الطاقة الانسانية ، والانسان هو مناط الهداية الدينية ووجهتها أيا كان مصدرها ومادتها ، ويكفى هنا أن نشير بإيجاز الى هاتين العلتين .

ان الهداية الدينية - كغيرها من الهدايات - تأتي النفس من خارجها كما تأتيها من داخلها ، تنزل عليها من السماء كما تنبع من الأرض ، وقد أحسن الفيلسوف الصوفي الكبير الامام الغزالي فيما قرب حين شبه النفس بالحوض الذي يمكن أن يملأ من خارجه بصب الماء أو سقوطه فيه ، أو بحفرة عميقة في قاعه الى مصدر الماء تحته فيمتلئ بماء ينبوع من داخله .

كما لا ريب أن التعليمات الدينية : عقائدها وشرائعها - تختلف باختلاف الأديان على

اختلاف العصور حتى الأديان السماوية ،
وهي تزداد اختلافا حيث تمتزج بالنفوس ،
ومن هنا تنبع في داخل كل منها الفرق
والنحل ، بل ان صورتها في الدين الواحد
تتعدد حين تمازج النفوس بعدد المتدينين
به ، وان كانوا ينتمون الى هذا الدين الواحد ،
وقد اقتضت حكمة الله ولطفه بخلقه ألا يفيض
من نعمه الأبدية على أحد من خلقه إلا
ما يناسبه ، لا لقصور في نعم الله أن تمتد بما
يشاء كرمه ، ولا لضن بها ، بل لقصور
المخلوق عن تقبلها ، أو كما جاء في القرآن
الكريم ((وان من شيء الا عندنا خزائنه
وما ننزله الا بقدر معلوم)) والذي يحدد هذا
القدر هو احتمال المخلوق كما اقتضى علم
الله وحكمته ورحمته بخلقهم ، لأن كل نعمة
زائدة على الطاقة أو الحاجة الصالحة التي
يستقيم عليها أمر المخلوق تكليف له بما فوق
وسعه ، والله تعالى لا يكلف خلقا غير وسعه
حفاظا على صلاحه ، وهكذا أنزل الأديان
السماوية على رسله ليبلغوها عباده على قدر
ما يحتاجون ويطيعون وتتحقق به مصالحهم
العامه ، ومن هنا تبدو لنا الحكمة الالهية
في تتابع الهداية الدينية وغيرها على الانسان
من خارجه وداخله وفق حظه من الاستعداد
والاجتهاد والرشد ، وهكذا ناط به رسالاته
الدينية ونحوها ، رسالة بعد رسالة حتى
الرسالة المحمدية التي جاءت مصدقة لما
قبلها من الرسالات متممة لها ، وهي جميعا
رسالات الاسلام في أطوارها المتتابعة .

ومن هنا يبدو لنا أن الانسان ومصلحته
هي العلة الفائية للهداية الدينية وغيرها مهما
يكن مصدرها ومادتها وصورتها ، وأنها لم
تنفك منوطة بالحياة الانسانية ، متخذة
صورتها في نفس كل انسان على صورة حياته
سواء كان صالحا أو طالعا ، فقد لا تعدم
صالحا بين المتدينين يرتفع به دينه الذي
يمارح نفسه الى أفق الملائكة ، كما قد لا تعلم
طالعا بين من يدينون بهذا الدين نفسه
يسف بدينه الى درك الشياطين . والمجرم
قد يدين بأكرم دين فاذا مازج نفسه مسخه
على صورتها ، ويكون لدينه عندئذ فيما
يبدو لضميره المخدر وعقله المضلل وهواه

الجامح - هو أقوى سند لنفسه المسوخة
كي تتمادي مع نزعاتها الشريرة ، والعلة في
نفسه المسوخة لا في تعليمات دينه
العالية . وفي كثير من الأديان ايمان بخلود
الروح بعد فساد الجسد ، وايمان بحساب
يتلوه ثواب أو عقاب ، وفي كل ذلك كبس
لنزعات النفس الشريرة ، ولكن كثيرا من
النفوس المسوخة قد تجمع منطلقة من كل
كابح . وقيمة الأديان - ومثلها كل هداية -
منوطة بالصلاح بينها وبين النفوس البشرية
.. وبقيامها على أسس الحياة فيها وجريانها
على سننها ، وهي من الوجهة البشرية تتفاضل
بحسب هذا الصلاح ، ولكن صلاحها هذا
لا يناط ببشر واحد من أمة واحدة لعصر
واحد في حالة واحدة أيا كان حظه من
الرفعة ، بل بمجموع البشر من جميع
الأمم في كل زمان ومكان .

ولا نقصد من ذلك أن نقيس كل دين بعدد
أتباعه ، بل بمقدار صلاح حال الانسان عامة
عليه بما هو به انسان كأوسع ما يشتمل
عليه معنى الانسان من قوة وضعف وفضل
ونقص ، فاذا كفل دين هذه المصلحة جملة
فهو الدين الصالح ولو لم يعتنقه غير انسان
واحد ، فالعقبات بين انسان ودين لا تأتي
كلها من هذا الدين بل تأتي أيضا من الانسان
.. وليست كل العقبات التي تأتي من الدين
عقبات شر ، بل كثيرا ما تكون عقبات خير
يأبى الانسان اقتحامها عن جهل أو غفلة أو
خسة أو كسل أو نحو ذلك من وجوه النقص
.. فلا يكون نكوصه حينئذ حجة على الدين
بل حجة على الانسان الناكص لأنه هو
الناقص .

ولعل أشرف ما نصف به ديننا من حيث
مصدره هو أنه سماوي ، ولكن أشرف مانصفه
به من حيث وجهته ، أي الانسان ، هو أنه دين
الانسان : الانسان من كل جوانبه ، والانسان
بكل جماعاته وطاقاته وماضيه وحاضره
ومستقبله ، وكل علاقاته بالوجود الشامل
لكل موجود ، وفي نفس الانسان تفسير
لكل هداية ((وفي أنفسكم
أفلا تبصرون)) .

المرأة المتصوفة

التي علمت الناس أن الحياة محبة

الأستاذ عامر العقاد

على أخرى ولا تنال طاقة من اخواتها ،
وانما تعمل القوى والطاقات في تناسق
وتكافل وتعاون لخير الحياة والسمو بهـ
دائما الى خالقها وباريها .

كانت ((رابعة)) مثلا رائعا في تاريخ
التصوف الاسلامي ولم يكن - زهدا انطواء
على النفس وانكماشاً في ساحات الحياة ، وانما
كان انفساحا في حياة القلب ، وقوة دفعها
الى خالد الأعمال ، وأوجز ما يقال : ان اشراقها
الصوفية كانت مليئة بالايمان ، عامرة بالفيض
والالهام . فجاءت صيحتها وهي تحمل في
يمينها كلمة واحدة - محبة الله - ولا يخفى
ما أحدثته كلمة التوحيد هذه من دوى عندما
هتفت بها ((رابعة)) رغم ان هذه الكلمة العظيمة
الساحرة لم تكن جديدة على المسلمين ، ولا
غريبة عن مسانعهم ، اذ ان كتاب الله هائف بها
وسيرة نبيه - صلى الله عليه وسلم - صورة
صادقة لها ، وروحانية الاسلام بأسرها مستمدة
منها .

لقد كان دور ((رابعة)) دور ابراز وتجلية
لهذه الكلمة ، اذ أنها ذكرت الناس بالحنانها
وأدارت حولها حياتها وأقامت عليها رسالتها
فشاهد الناس بذلك جديدا قديما وشاهد
المسلمون بعيون ذاهلة عوالم نورانية فياضة
باليقين ، داعية الى اسمى ما يدعى اليه وهو
الايمان برب العالمين

ان نظرة يسيرة منا الى تاريخ الصوفية
قبل ((رابعة)) يكشف لنا انهم كانوا مجرد

قلما يمر الباحث في تاريخ التصوف
الاسلامي دون أن يقف ويطل النظر في
الصفحة الخالدة في هذا الميدان الفسيح ، تلك
الصفحة التي خلفتها شهيدة العشق الالهى
((رابعة العدوية)) فضربت بها أروع الأمثال
في فلسفة النفس والحب الذي يحيى
ماديات الكون بأسرها الى ارواح حساسة
مسبحة عابدة .

كانت ((رابعة)) حدث خطب كبير في حياة
الانسانية الصوفية ، هزت النفوس وحيرت
العقول وارقت الباحثين من عرب ومستشرقين
وشمر لها رجال التصوف عن اكمامهم الطويلة
وبدأت أفكارهم تجول بحوادث هذه المرأة
الفذة في جنسها فلقد رأوا بعضهم ملاكا
ورأوا غيرهم - ممن يقحمون أنفسهم
في البحوث الاسلامية - شيطانا ، ونظر
اليها البعض الآخر جامعة بين الضدين
ومؤلفة بين النقيضين .

ونحن بكتابتنا هذه المرة لانكتب عن حياتها
من ناحية مولدها ونشأتها ، فهذا أمر لـ
نقصده في هذا المقال ، ونتركه لكتاب السير
والاخبار وانما قصدنا بكتابته اظهار الدور
الذى قامت به ((رابعة)) في تاريخ التصوف
الاسلامي ، وهو الدور المهم في فلسفتها
الصوفية في الحب ، وهو مفتاح شخصيتها
في الاصطلاح الحديث .

ان الدين الاسلامي دين توحيد للقوى
والطاقات جميعا ، اذ ليس فيه قوة تطغى

ذهاد ونسائك . وجاءت « رابعة » بفلسفتها الصوفية الحقّة التي جعلت أنه ليس هناك حب خالص سوى حب الله وحده وكانت في طليعة من أسسوا هذا المذهب ، وفي مقدمة حملة مشاعل المعرفة الذين جعلوا الحب مصدر الإلهام والكشف من فلاسفة الصوفية في الإسلام .

ونظرة أيسر من سابقتها الى هذا القول من اقوال رابعة نجده صورة صادقة لما تقول :

أحبك حين : حب الهوى
وحبا لانك أهل لداكا

فأما الذي هو حب الهوى
فشغل بذكرك عمن سنواكا

وأما الذي أنت أهل له
فكشفك للحجب حتى اراكا

فلا الحمد في ذا ، ولا ذاك لي
ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

وقد عقب حجة الاسلام الغزالي على قول « رابعة » هذا بقوله : « لعلها أرادت بحب الهوى حب الله لاحسانه اليها ، وانعاده عليها بحظوظ العاجلة ، وحبه لما هو أهل له ، الحب بجماله وجلاله الذي انكشف لها وهو أعلى الجبين »

واستمر التاريخ الصوفي وأقلام أصحابه تلاحق هذا اللحن بالشرح والتعقيب ، فحيثما ذكر حب الله سبحانه ذكر هذا اللحن الجميل الحبيب ، وهذا وحده شهادة بل خلود .

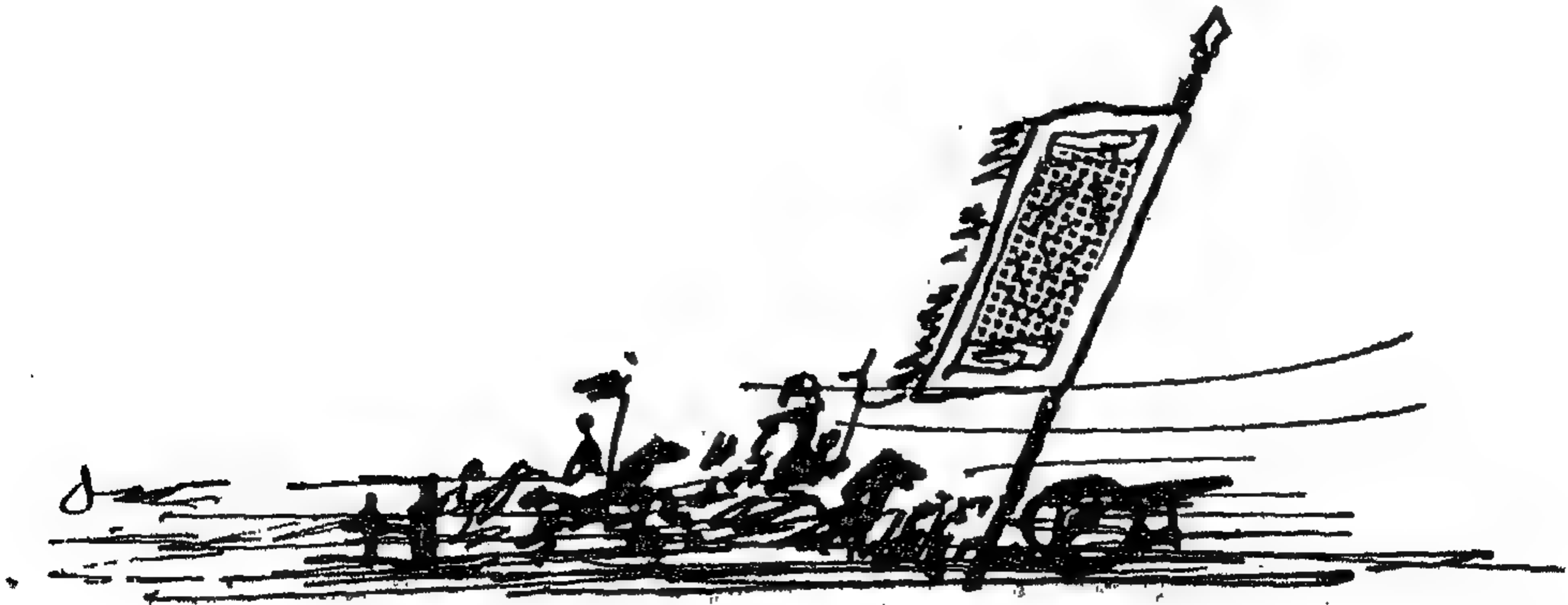
ويمكننا أن نستخلص من هذا ان الإيمان كان قوت « رابعة » وريها وشرابها وكان بمثابة العزاء والألم لها والحصن الذي تلوذ به أو الساحة الحبيبة الخفية التي تهرع اليها كلما مسها العذاب أو لمسها الألم .

قال ماسينيون عن رابعة حينما تعرض للكتابة في التصوف الاسلامي . . « أنها تركت في الاسلام أريحا من الحب وعطرا من الولاية لن تتبخرا ولن تزولا »

وان كانت هناك كلمة باقية تصدق في هذا المقام فهي كلمة محيي الدين بن عربي حينما قال : « اننا حينما نحب الجمال والكمال في شتى صورهما فانما نحب الله جل جلاله » .

حسبنا أن نقول أيضا : ان « رابعة » كانت صاحبة مدرسة العشق الالهي في التصوف الاسلامي وان كل من مشى على نهجها لم يأت بجديد اذا نظرنا الى الجوهر ، حتى « ابن الفارض » شيخ العشاق وامام المحبين في عالم الحب يزد في سموقه في الحب الالهي شيئا عما قالت رابعة في هذا الميدان .

وبهذا وغيره من مواقف « رابعة » الخالدة في الحب والتصوف حق لها ان تحتسب في سجل الخالدين وحق للباحثين عن الله فيما خلق ، وفيما صور ألا يغفلوا مكانتها في التصوف الاسلامي وان يتذكر كل قارئ يقلب الصفحات في هذا التاريخ القويم تلك الصفحة الخالدة في ميزان البقاء بين موازين الفكر والخلود .



تعقيب

حول مقال النقود الإسلامية للدكتورة سعاد ماهر

الذي نشر بالعدد السادس من المجلد الصادر في جمادى الآخرة ١٣٨١ هـ

وتعقبا على ماورد في صفحة ١١٥ في الفقرة :
« وظل الحال على ماكان عليه ، فقد ضرب المسلمون
نقودهم على شكل الدراهم الفارسية ، والدنانير البيزنطية
لم يغيروا فيها شيئا ، سواء في الكتابة أو النقوش »

يقول الدكتور :

والصحيح أن النقود التي بين أيدينا ، تثبت
بما لا يدع مجالا للشك ، ما أدخله العرب من
تغييرات عدة على النقود الساسانية الفضية ،
والنقود البيزنطية الذهبية والبرونزية ، في
عصر الانتقال ، قبل اصلاح عبد الملك بن
مروان ، وقد تم التغيير تدريجيا ، سواء
بإضافة العبارات العربية كالبسملة وشهادة
التوحيد أو بتغيير الشعارات المسيحية
والساسانية والكتابة البهلوية ، وقد نشر
الكثير من النقود العربية في فجر الاسلام .

وتعقب الكاتبة على هذا الرأي بقولها :

المقصود من كلمة تغيير ، هو التغيير
الأساسي ، كالذي حدث في عهد عبد الملك بن
مروان سنة ٧٦ هـ ، أما بقاء العملة وزنا وشكلا
ورسما كما هي مع اضافة كلمة أو كلمتين
عربيتين فلا يعتبر تغييرا جوهريا . وقد
نشرت في مقال صورتين من أوائل العصر
الاسلامي للعملة ، أحدهما عليها
صورة كسرى وحوله رموزه وشاراته (ص ١١٩)
والثانية عليها صورة هرقل وولديه . ولم
يُضف إلى هذه أو تلك غير كلمة (البسملة)
أو (لا اله الا الله)

وينقل الدكتور الفقرة التالية :

تذكر الدكتورة سعاد ماهر في ص ١١٥ مانصه « العملة
التي ضربها خالد بن الوليد سنة ١٥ هـ أو سنة ١٦ هـ
بمدينة طبرية كانت على شكل الدنانير الرومية تماما فابقي
رسم الصليب والتاج والصولجان ونقش على أحد وجهيها
اسم خالد بالحروف اليونانية وتعتبر عملة خالد بن الوليد
أول عملة ضربت في الاسلام »

ثم يعقب قائلا :

ثبت أن هذه الحروف اليونانية ، هي كلمة
(خالكيس) باليونانية ومعناها قنسرين .

وبعد أن نقلت الكاتبة ما ذكره الكرمل في
كتابه « النقود » ص ٩١ رتبته عليه حقائق
تاريخية هي نفسها التي ذكرها الكرمل فتقول
« ويعتقد الكرمل ونحن معه في اعتقاده ، وهو
أن ضرب خالد بن الوليد للنقود باسمه كان

جاءنا من الدكتور عبد الرحمن فهمي محمد ، أمين متحف
الفن الاسلامي وأمين قسم المسكوكات تعقيب على مقال
« النقود الاسلامية » للدكتورة سعاد ماهر ، الذي نشر
في جمادى الآخرة سنة ١٣٨١ من مجلة منبر الاسلام .

وحرصا على الحقيقة العلمية واعلانها ، رأينا أن ننشر
تعقيب الدكتور بعد عرضه على الدكتورة صاحبة المقال ،
لتوضح - بدورها - رأيها ، وتعقب على التعقيب .

ولزم أن ننوه ، أن العلم رحم بين أهله ، وأن النقد
الباني هو هدف طلاب الحقيقة ، وأن معالم الحق تبين
حينما لا يكون للأهواء مكان بين العلماء .

المجلة

كتب الدكتور : جاء في صفحة ١١٥ من المجلة .

« واستمر الحال على ذلك طوال المدة التي خضعت مصر
فيها للحكم الروماني من سنة ٣١ ق م إلى عام ٦٣٩ م
وتداولت فيها أيضا النقود الرومانية دون أن تضرب فيها
عملة » .

والصحيح أن مصر كانت الاقليم الروماني
الوحيد الذي حافظ في هذه الفترة التاريخية
على نقوده القومية من ضرب الاسكندرانية ، وهي
نقود تزر بها متاحف العالم ومن بينها متحف
الفن الاسلامي ، مادتها من البرونز ، وشكلها
مستدير وتحمل الحرفين I.B تعبيراً عن
قيمة القطعة النقدية أي ١٢ نميا ، ومسجل
عليها باليونانية الحروف الأولى من اسم دار
السك « الاسكندرانية » وهذه النقود المصرية ،
هي بعينها التي وجدها العرب عند فتح مصر
٦٣٩-٦٤٠ م وتعاملوا بها ، وهي بعينها التي
أصبحت نموذجا يحتذى به عبد الملك عند اصلاح
النقود الاسلامية .

وتعقب الدكتورة على هذه الفقرة فتقول :

ذكرت في المقال وبخاصة في صفحة ١١٩
أن اقتصاد مصر كان قائما على قاعدة الذهب
في العصر الروماني والعصر الاسلامي حتى
ضعفت الدولة الفاطمية ، واذن ، فالمقصود في
العبارة بكلمة العملة أو النقود هي النقود
الذهبية ، وهي التي كان اقتصاد مصر قائما
عليها في ذلك الوقت . أما العملة البرونزية
فانها عملة قانونية مساعدة لا يعمل لها حساب
في النقد الرسمي الذي تتداوله الدولة .

ولا يفوتني أن أقول : ان الثابت أن العملة
التي سكها عبد الملك في مصر ، إنما كانت من
فئة الدينار ، والدينار من الذهب وليس من
البرونز .

من أهم الأسباب التي دعت عمر بن الخطاب إلى تنحيته عن قيادة الجيش « وما دمننا قد أشرنا إلى بطلان نسبة العملة إلى خالد بن الوليد ، فإن أي نتيجة تبني على باطل فهي باطلة ، فإخالد لم يعزل بسبب ضرب أية نقود »

وترد الدكتور :

بأن هذا رأي الأستاذ الكرمل في كتابه « النقود العربية وعلم النميات » فقد عالج الموضوع بأسهاب وناقش ما أورده المؤرخ الألماني الدكتور « ملر » ومقاله المقرئ ، وانتهى إلى نتيجة منطقية ، هي أن خالد بن الوليد عزل بعد موقعة اليرموك ، وكان ضربه للنقود باسمه من أهم أسباب عزله ، وقد اقتنعت بهذا الرأي ، وذكرت ذلك في المقال ، والأستاذ الكرمل حجة في الموضوع ، وكتابه عبارة عن موسوعة في النقود جمع فيه كل ما كتب في المراجع القديمة عن النقود الإسلامية ، مع إضافة فصول خاصة له بعنوان « لمحة في تاريخ النقود » و « باب في علم النميات » يعتبر أشمل وأدق ما كتب في هذا الموضوع حتى الآن ، ولا ينقص من شأن الكتاب ولا يقلل من قيمته العلمية قول الناقد « أن هذا الكتاب قد صححت معلوماته في نشرة علمية خاصة أصدرتها إحدى الهيئات العربية في سنة ١٩٥٠ بعنوان « نظرة في كتاب النقود العربية » من هي الهيئة ؟ ، ماموضوع التصحيح ؟ ، في أي كتاب من الكتب المجموعة المعتمدة وقع التصحيح ؟

ويقول الدكتور بعد ذلك :

تذكر الدكتور سعاد ماهر في صفحة ١١٦ « وفي السنة الثامنة للهجرة ، ضرب عمر بن الخطاب الدراهم على نقش الكسروية » ومن المعروف أن عمر بن الخطاب لم يتول الخلافة إلا في سنة ١٣ هـ وبالتالي لم يضرب نقودا قبل هذا التاريخ »

وتعقب الدكتور :

(ذكرت في مقال أن عملة خالد بن الوليد أول عملة ضربت في الإسلام سنة ١٥ أو ١٦ هـ وبديهي بعد هذا أنه سقطت في المطبعة كلمة عشرة بعد الثامنة)

وينتقل الدكتور بعد ذلك فيقول :

تذكر الدكتور سعاد ماهر في ص ١١٦ أن تاريخ إصلاح عبد الملك بن مروان للنقود هو ٧٦ هـ وهذا خطأ ، إذ عثر في سنة ١٩٥٧ على دنانير لعبد الملك بن مروان مؤرخة سنة ٧٤ هـ وتحمل صورته

وتقول الدكتور معقبة على ماسبق :

لم أقل : أن عبد الملك لم يضرب عملة باسمه قبل الإصلاح ، ولا يفهم هذا من عبارتي ،

والذي ذكرته هو تاريخ إصلاح العملة كما ورد في كتاب المحاسن والمساوي للبيهقي ، وأود بهذه المناسبة أن ألفت نظر السيد الناقد إلى أنه قد ورد في كتاب « النقود » للبلاذري أن عبد الملك ضرب الذهب سنة ٧٤ هـ فليس فيما عثر عليه سنة ١٩٥٧ من جديد .

ويتابع الدكتور :

نسبت الكاتبة نصا للكسائي في ص ١١٧ والواقع أنها قد أوردت النص محرفا مختلفا عن الأصل الذي أوردته المراجع العربية ، كما أن القصة في ذاتها أسطورة ليس إلا ، إذ أن الثورة الاقتصادية العربية في عهد عبد الملك لم تكن بسبب نزاع عارض من أجل استبدال العبارات المسيحية بالعبارات الإسلامية ، وإنما كانت لأسباب أعمق من هذا بكثير ، وليس هنا مكان سرد هذه الأسباب .

وتكتب الدكتور في ردها على الفقرة السابقة :

يقول الناقد : انني نسبت نصا للكسائي محرفا مختلفا عن الأصل الذي أوردته المراجع العربية ، ولكنه لم يذكر اسم مرجع واحد من هذه المراجع لمعرفة موضع الخلاف والتحريف . ومع ذلك فانا لم أنسب إلى الكسائي نصا بل انه للبيهقي جاء على لسان الكسائي ويمكن الرجوع إلى كتاب المحاسن والمساوي للبيهقي ص (٤٩٨-٤٩٩) والقصة لم ينفرد بها البيهقي بل وردت في مراجع أخرى مثل :

١ - فتوح البلدان للبلاذري ص ٢٤٩ (مطبعة الكتب العربية سنة ١٩٠٠ م)

٢ - تاريخ الأهم والملوك للطبري (مطبعة الاستقامة ١٣٤٦ هـ)

وتجريح الروايات التاريخية من غير سند ولا دليل أمر يؤسف له .

ويقول الدكتور في نقده : تذكر الدكتور سعاد ماهر في نهاية ص ١١٧ وأول ص ١١٨ مانصه :

« وفي عام ١٣٢ هـ ضرب الخليفة عبد الله السفاح الدراهم بالانبار وعملها على نقش الدنانير وكتب عليها السكة العباسية . »

والواقع أن هذا الكلام لا يستند إلى حقائق مادية ، إذ أنه من الثابت أن العباسيين ظلوا يضربون نقودهم على نسق النقود الأموية وطرازها وكتابتها حتى عصر المأمون ، ولذلك أرجو من الكاتبة أن توضح لنا ما تعنيه بعبارة « كتب عليها السكة العباسية »

وتجيب الدكتور بقولها :

ان ماقلته وارد في كتاب « النقود القديمة الإسلامية » للمقرئ ، ومن الحقائق المادية التي تثبت ذلك ، متحف بغداد ، الذي توجد به دراهم من عهد عبد الله السفاح من ضرب الانبار

ويقول الدكتور : وتذكر الدكتور سعاد ماهر في ص ١١٨ وصفا للدنانير الفاطمية المصرية والكتابات التي وردت عليها على النحو التالي :

« دعا الامام المعز لتوحيد الاحد الصمد »

« على افضل الوجهين وزير خير المسلمين »

والقراءة الصحيحة :

« دعا الامام معد لتوحيد الاله الصمد »

« وعلى افضل الوجهين ووزير خير

المرسلين

ويأتى تعقيب الدكتور :

لقد خصصت عملة من العملات الفاطمية وهي التي ضربها جوهر الصقلي وما أوردته من كتابات هو الصحيح ويمكن الرجوع الى كتاب « النقود القديمة الاسلامية » في فصل « نقود مصر » للمقريزى .

ويقول الدكتور :

وتذكر الدكتور ايضا في ص ١١٩ مانعه :

« ان نقدها (مصر) واثمان مبيعاتها وقيم اعمالها لم تكن الا من الذهب فقط والى ان ضعفت الدولة الفاطمية ، بسبب الحروب الصليبية وخروج الذهب والفضة منها ولم يعد لهما وجود بها »

وهذا كلام بعيد عن الصحة لأنه من الثابت أن دور السك المصرية في العصر الأيوبي والملوكي ظلت تضرب النقود الذهب والفضة ، ولا أدري كيف يستقيم كلامها هذا مع ما أشارت اليه هي نفسها من دنانير صلاح الدين وشجرة الدر وعز الدين أيك ؟!

وترد الدكتور :

يذكر السيد الناقد أن ماقلته عن خروج الذهب والفضة من مصر عندما ضعفت الدولة الفاطمية بسبب الحروب الصليبية ولم يعد لهما وجود بها ، كلام بعيد عن الصحة ، لأنه من الثابت أن دور السك المصرية في العصر الأيوبي والملوكي ظلت تضرب النقود الذهب والفضة »

ولست أدري : ماوجه التعارض في هذين الرأيين ، أي تعارض عدم وجود الذهب والفضة في آخر الدولة الفاطمية ثم وجودهما في العصر الأيوبي والملوكي ، وقد أوضحت ذلك في الفقرات التي تلت هذه الفقرة . . أما إذا كان هدف النقد انكار خروج الذهب والفضة عندما ضعفت الدولة الفاطمية ، فليرجع في ذلك الى المقريزى في (فصل في نقود مصر)

ويقول الدكتور بعد ذلك :

قرأت الدكتور في ص ١١٩ كتابة دنانير شجرة الدر على النحو التالي :

أميرة المؤمنين المستعصمية الصالحة ، ملكة المسلمين ووالدة الملك المنصور خليل .

ولكن القراءة الصحيحة كما يلي :

المؤمنين

المستعصمة الصالحة

ملكة المسلمين والدة

الملك المنصور خليل

أمير

ومن المعروف أنه لم يحدث أن تلقبت شجرة الدر اطلاقا بأميرة المؤمنين بل اقتصر تلقيبها على لقب المستعصمة .

وترد الدكتور بقولها :

إذا رجعنا الى هذه الصفحة لانجد بها قراءة لكتابات هذه الدنانير وانما نجد تعريفا عنها نصت عليه المراجع التاريخية ، والفرق كبير بين قراءة الكتابات وبين ذكر النصوص التاريخية .

ثم يورد الدكتور تصويبات لتاريخ ضرب دنانير المعز عز الدين أيك فيقول انها سنة ٦٥٤ هـ لا سنة ٦٣٤ هـ ودنانير سلطان خن سنة ٩٢٤ لا سنة ٩٢٩ هـ وان لفظ « الليريون » الوارد في ص ١١٥ صحته « الليديون » وكلمة « الاسيوية » الوارد في صفحة ١١٨ صحتها « الأموية » ولفظ « شنج » صحته « شيخ »

وتجيب الدكتور بأن ماورد في ذلك كله صحيح وأن هذه الأخطاء مطبعية وقعت نتيجة لكتابة المقال بخط اليد

ويصل الدكتور الى نهاية نقده حين يذكر :

أوردت الكاتبة في أسفل ص ١١٦ الى اليسار صورة لدينار قالت انه دينار من عهد الخليفة الأموي عبد الملك ابن مروان سنة ٧٨ هـ .

والصحيح أن هذه الصورة هي صورة وجه دينار ضرب سنة ١٢٨ هـ من عهد الخليفة مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية وليس من عهد الخليفة عبد الملك ، والدينار من مجموعات متحف الفن الاسلامي رقم ٣ - ١٤٦٦٢ .

وأوردت الكاتبة صورة ص ١١٧ وذكرت بصدها أنها :

« درهم فضة من أوائل العصر الاسلامي نقشت عليه صورة كسرى ملك الفرس وبجانبه كتابة كوفية نصها « بسم الله الرحمن الرحيم »

وهذا كلام بعيد عن الصحة لأن هذه الصورة لدرهم ساساني عليه كتابة بهلوية وهو من مجموعات متحف الفن الاسلامي ويظهر في الصورة رقم سجله وهو ١٨٥٩٢

وتنتهي الدكتور من تعقيبها حيث تقول : ليس صحيحا ماذكره الناقد عن الدينار المنشورة صورته ، في أسفل صفحة ١١٦ الى اليسار من أنه يرجع الى عهد الخليفة مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية وانه مضروب سنة ١٢٨ هـ والصحيح هو ماورد في المقال اذ ان السنة الواردة في الدينار هي سنة ٧٨ هـ وهذه السنة تقع في حكم عبد الملك بن مروان .

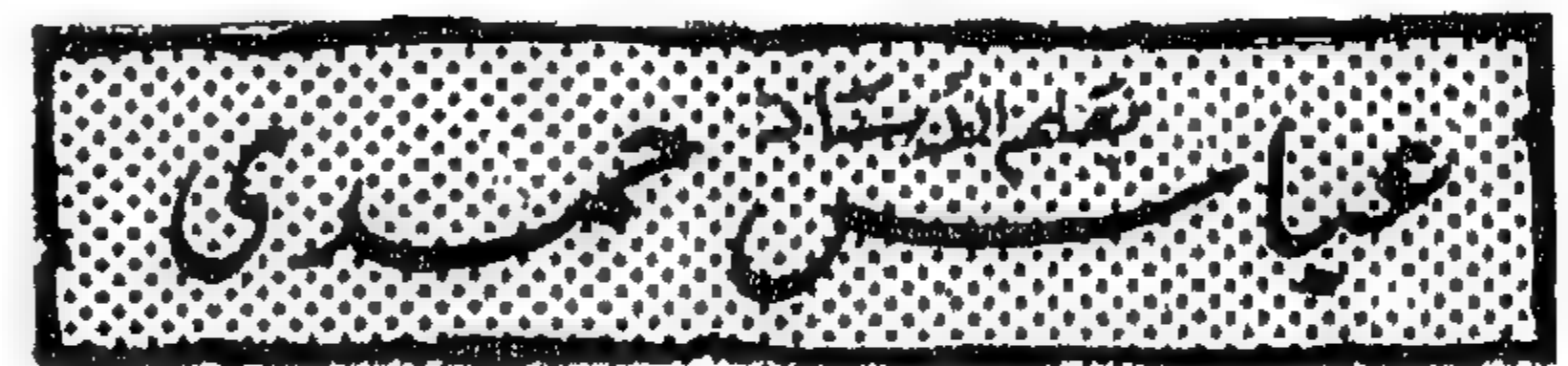
وليرجع السيد الناقد بامعان ليعيد قراءة الكتابة فالسنة واضحة (ثمان وسبعين) وليست (ثمان وعشرين ومائة)

وكذلك فليعد السيد الناقد قراءة كتابة الدرهم المنشور في ص ١١٧ .

والمجلة بعد هذا تشكر للدكتور والدكتور ماقدما لقراءتها من تحقيق علمي ودراسة نافعة



عمر لطفي
و
أحمد لطفي



لهم ، يعود خيرها وربحها على المساهمين .
وقد أنشئت جمعيات كثيرة من هذا النوع
في أنحاء البلاد ونجحت نجاحا كبيرا .

عمل (عمر لطفي) جهده للم شمل
الطبقات المثقفة ، لتكون كتلة واحدة ثقافية
تجابه عظم الأمور ، وتنهض بالمشروعات
الحيوية في البلاد فضلا عن إيجاد رابطة
تضامن بينهم . . فأنشأ (نادى المدارس
العليا) بالعمارة الكائنة على ناصية شارع
ابراهيم باشا (الجمهورية الآن) وشارع
بولاق (٢٦ يوليو الآن) عمارة شيكوريل
سابقا . وكان النادى يجمع في عضويته طلبة
المدارس العليا وخريجيا . يجمع الحقوقيين
والأطباء والمهندسين والمدرسين وغيرهم من
حملة الشهادات العليا وطلابها .

كان لهذا النادى قانون خاص ، وانظمة
خاصة وامتيازات اقتصادية في بعض المتاجر
وكان به مكتبة فاخرة تحتوى على أنواع كثيرة
من الكتب والمراجع والمجلات والصحف
بمختلف اللغات . وكانت تلقى فيه المحاضرات
القيمة . كان يؤمه رجال الفكر والأدب .
والاجتماع والاقتصاد والطب والهندسة
والسياسة ، وكان في الواقع قبلة الأنظار
ومحط الآمال . كان يدور به كل ما يهم
الطبقات بعيدا عن المجتمعات الأخرى التى
كانت تحت عيون الانجليز .

كان جماعة هذا النادى يعملون لبلادهم
بوحى من ضمائرهم بعيدين عن الهوى .
وكانوا ينشرون الدعوات الوطنية في البلاد .
تولى رئاسة هذا النادى (عمر لطفي)
مدى حياته ، حتى وافاه الأجل المحتوم قبل
الحرب العالمية الأولى بقليل .

كان الانجليز يخشون بأس جماعة هذا
النادى لانه يضم جل الطبقات المثقفة والشباب
فكانوا في الواقع يشكلون حزبا خطيرا ، فما أن
شبت الحرب العالمية الأولى في أغسطس
سنة ١٩١٤ حتى جردت حملة عسكرية

انهما شقيقان عزيزان كريمان مخلصان
وفيان لوطنهما .

كانا محاميين من المحامين الأفاض ، وكان
مكتبهما بميدان الأوبرا بالعمارة التى قام
مكانها الآن « كازينو أوبرا »

كانا في مقدمة أعوان مصطفى كامل -
ومحمد فريد .

(عمر لطفي) الشقيق الأكبر ، كان يهتم
بالشئون الاقتصادية والتعاونية في البلاد
علاوة على اهتمامه بالشئون السياسية
والقانونية .

كان أول من فكر في النظام التعاونى في مصر
فأنشأ الجمعيات التعاونية المنزلية وغيرها ،
ووضع القوانين واللوائح والانظمة التى تسير
عليها ، ليتعلم الناس الاستقلال الداخلى ،
والاعتماد على النفس والتعاون . وجعل هذه
الجمعيات في شكل انظمة مساهمة ، تشجيعا

بقيادة حكمدار القاهرة الانجليزى (مستر هارفى) وحاصروا دار النابدى واعلان « المستر هارفى » جل نادى المدارس العليا ، بناء على امر القائد العام الانجليزى ، تنفيذاً لنصوص الأحكام العرفية البريطانية ، ومصادرة أمواله وممتلكاته ومكتباته ، وكل مايتعلق به واستولت عليها السلطات المختصة وقتئذ .

كان الانجليز مونتورين من جماعة النادى لنزعهم الوطنية واتحاذهم وتضامنهم . فخلت البلاد من الأندية الموقرة . ثم أنشئت الأندية والنقابات والجمعيات لكل المهن بفضل توجيهات الرئيس المحبوب « جمال عبد الناصر » حفظه الله ورعاه حاميا للبلاد .

أحمد لطفى

المحامى وثقيب المحامين الأول ، من أبرز المحامين فى أنحاء العالم . كان مشرعا ، كان وكيلا للحزب الوطنى . كان خير معاون « لمصطفى كامل ومحمد فريد » .

كان أحمد لطفى مصريا قبل كل شئ ، شريفا فى خصومته السياسية . وفيما لبنى وطنه على اختلاف ميولهم . ففى الوقت الذى يقول فيه (سعد زغلول) رئيس الوفد فى سنة ١٩١٩ وما بعدها « ان الانجليز خصوم شرفاء معقولون » كان الحزب الوطنى ينادى بأن الانجليز أعداء الداء . فحدث سنة ١٩٢١ و ١٩٢٢ أن قدم الانجليز بعض أعضاء الوفد (أحمد ماهر والنقراشى) للمحاكمة بمحكمة الجنايات فى حوادث الاغتيالات فلم يسع (أحمد لطفى) الا أن تطوع على الفور للدفاع عنهم ونسى مرضه وقتئذ ونسى نفسه وراحته قياما بالواجب حتى قضت المحكمة ببراءتهم . وكانت المحكمة برئاسة المستشار الانجليزى (مستر كرشو) فقررت لذلك الحكومة البريطانية اعفائه من العمل بالقضاء المصرى .

وبعدئذ صدر دستور سنة ١٩٢٣ وأجريت الانتخابات لأول مرة فى مصر بعد ثورة سنة ١٩١٩ وتقدم راغبو الترشيح

لعضوية المجلسين النيابيين (النواب والشيوخ) فتقدم « أحمد لطفى للترشيح » باحدى دوائر مديرية القليوبية وتقدم كثير غيره من رجال الحزب الوطنى فى دوائر أخرى أملا فى امكان خدمة بلادهم عن طريق البرلمان . فما كان من (سعد زغلول) الا أن عمل جهده لاسقاط (أحمد لطفى) فى الانتخابات خشية بأسه وقوة حجته وقد سقط بالفعل . .

وان نسينا فلا ننسى دفاع (أحمد لطفى) عن « ابراهيم ناصف الوردانى » فى قضية اغتياله لرئيس الوزراء ورئيس محكمة دنشواى سنة ١٩٠٦ (بطرس غالى) الذى عمل على مد امتياز شركة قناة السويس سنة ١٩١٠ ، وكان مقرر الحكومة يومئذ أمام الجمعية التشريعية (سعد زغلول) .

كان أحمد لطفى رجلا بارزا ومحاميا فذا وقد شهد له بذلك أعداؤه قبل أصدقائه ، فقد رايته يوما يترافع فى بعض القضايا أمام محكمة جنايات مصر برئاسة وكيل محكمة الاستئناف العليا الانجليزى (مستر بوند) المعروف بشدته وشراسته ، فعرضت على المحكمة احدى القضايا المتهم فيها بعض أهالى مديرية الجيزة بالقتل . فبعد أن قدمت النيابة أدلة الاتهام وترافع بعض المحامين عن المتهمين نهرهم (مستر بوند) لانهم لايدرسون القضية دراسة كافية . ثم دعا (أحمد لطفى) للجلوس فى حرم المحكمة مع هيئة المستشارين وناولوه ملف القضية الخاص بهيئة المحكمة ، ورجاه دراستها على عجل ، واستمرت المحكمة فى نظر القضايا الأخرى . وبعد مضي ساعة من الزمن قام (أحمد لطفى) بشرح القضية شرحا وافيا وكان من شأنه أن قضت المحكمة ببراءة المتهمين وقالت المحكمة فى منطوق حكمها أن المتهمين الحقيقين غير موجودين فعلى النيابة أن تبحث عنهم .

هذا قليل من كثير من تاريخ هؤلاء الرجال رحمهم الله رحمة واسعة وعوض البلاد فيهم خيرا .

التصوف الإسلامي

وأثره في الأدب العربي

الدكتور عبد الحليم بايع

الغزالي ومحيي الدين بن العربي وعمر بن الفارض وغيرهم .

ولقد غنى القرنان الأول والثاني من الهجرة بألوان مختلفة من الأدب الديني الذي كان يمثل النزعات الدينية عند هؤلاء المتعبدين والزهاد ، ولكن هذا الأدب في عمومته كان يقوم على المعاني البسيطة التي تعبر عن وجدان ديني يرهب الله ويخشاه ، ويزهد في الدنيا وفي شهواتها الفانية دون أن تتضمن اتجاهات فلسفية خاصة تكون مذهباً له أصول وقواعد كتلك الاتجاهات التي بنى منها مذهب الصوفية فيما بعد . ومع هذا فإننا نحس لهذا اللون من الأدب بطعم خاص ، ونرى فيه انطباعات هذه الحياة الروحية التي أخذت منذ القرن الثاني تستغل في جوهرها عن الحياة العامة ويتميز أصحابها بانتاجهم الأدبي الذي يبدعونه من خلال هذه الحياة التي كانوا يحيونها في عبادة ونسك وانقطاع الى الله ودعوة الى الدين والأخلاق .

وليس من بأس في أن نسوق في هذا المقام بعض الأمثلة من هذا الأدب لنرى الى أي حد قد صبغته هذه الحياة بصفتها وخلعت عليه صفاءها وقديسيته .

قال الحسن البصري - وهو من نساك البصرة وزهادها - :

« يا ابن آدم ، بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعاً ، ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعاً . يا ابن آدم إذا رأيت الناس في الخير فنافسهم فيه ، وإذا رأيتهم في الشر فلا تغبطهم عليه . الثواء هاهنا قليل ، والبقاء هناك طويل ، أمتكم آخر الأمم ، وأنتم آخر أمتكم ، وقد أسرع بخياركم ، فماذا تنتظرون ؟ ألا إن هذا الموت

لعبت الحياة الروحية في تاريخ الاسلام دوراً عميقاً الأثر في خلق اتجاه أدبي له سمات ومميزات خاصة ، وأضافت الى تراثنا الأدبي جانباً ضخماً فسيح الجوانب يتشكل بقيمتها وأهدافها ، وينبثق في شكله ومضمونه من تجاربها الوجدانية العميقة التي هي خلاصة صراع بين الروح والجسد ونهاية معركة بين الحق والباطل .

وإذا كان الأدب في أدق مفهوماته هو التعبير الجميل عن التجارب الإنسانية الصادقة التي يعيشها الأديب وينفعل بها ، فإن التصوف الاسلامي يعتبر تجربة من أخصب التجارب النفسية والوجدانية ، التي أمدت أدبنا العربي شعره ونثره على السواء بمادة خصبة ، وأغنت جوانبه بذلك اللون الممتع الذي يشرق بصفاء النفس الإنسانية حينما تحطم أغلال الجسد وتتححرر من عبودية المادة ، وتتسامى الى عالمها الأمثل الذي يشرق بأقباس الحق والظهر والجمال .

والتصوف الاسلامي بمفهومه العلمي الدقيق لم يظهر الا في أخريات القرن الثاني الهجري ، بل تتحدد معالمه بوصفه ظاهرة نفسية ترتكز على أسس أخلاقية وفلسفية الا في القرن الثالث الهجري حيث وضحت ملامح التفاعل الثقافي بين العرب وغيرهم .

ولقد سبق التصوف الاسلامي قبل أن يصل الى هذه الصورة بألوان أخرى من الحياة الروحية ، تمثلت في وجود المتعبدين والزهاد الذين مهدوا الطريق أمام الحركة الصوفية المنظمة ، التي نضجت ابان القرن الثالث على يد ذي النون المصري والحسين الحلاج ، ثم بلغت تمام نضجها في القرون اللاحقة على يد

قد أضر بالدنيا ففضحها ، فلا والله ما وجد
ذو لب فرحا ، فاياكم وهذه السبل المتفرقة
التي جماعها الضلالة وميعادها النار ، أدركت
من صدر هذه الأمة قوما كانوا اذا جنهم الليل
فقيام على أطرافهم ، يفترون خدودهم ،
تجرى دموعهم على خدودهم ، يناجون ملاهم
في فكاك رقابهم ، اذا عملوا الحسنة سرتهم
وسألوا الله أن يتقبلها منهم ، واذا عملوا سيئة
سألتهم وسألوا الله أن يغفرها لهم . يا ابن آدم
ان كان لا يغنيك ما يكفيك فليس ها هنا شيء
يغنيك ، وان كان يغنيك ما يكفيك فالقليل من
الدنيا يكفيك »

وقال ابن اذينة - وهو من الشعراء
المتزهدين - :

لقد علمت وما الاسراف من خلقى
أن الذى هو رزقى سوف يأتينى
أسعى اليه فيعيينى تطلبه
ولو جلست أتانى لا يعينى
لا خير فى طمع يدنى لمنقصة
وغيره من كفاف العيش يكفينى
وقال أبو العتاهية فى تهوين شأن الدنيا :
حياتك أنفاس تعد فكلما
مضى نفس منها نقصت به جزءا
يميتك ما يحييك فى كل ساعة

ويحدوك حاد ما يريد بك الهزء
وقال الامام الشافعى فى الخوف ورجاء
العفو :

فلما قسا قلبى وضافت مذاهبى
جعلت رجائى نحو عفوك سلما
تعاظمنى ذنبى فلما قرنته
بعفوك ربى كان عفوك أعظما
فمازلت ذا عفو عن الذنب لم تزل
تجود وتعفو منة وتكرما

وهكذا نرى أن حياة الزهد والتعبّد فى
القرنين الأول والثانى ومنتصف الثالث قد
صبغت الأدب بذلك اللون الوجدانى الذى
تشيع فيه معانى الخوف والرهبنة والتهوين
من شأن الحياة والتزهيد فى متاعها ، والتذكير
بالموت والاستعداد لما بعده من حياة باقية

لا يشوبها فناء ، ولكن هذه المعانى كانت أقرب
الى البساطة ، فهى تعبر تعبيرا مباشرا عن
عاطفة دينية واضحة لم تشبها بعد نزعات
فلسفية عميقة .

فاذا ما انتقلنا الى القرن الثالث وجدنا
الزهد يتطور الى مذهب فلسفى أخلاقى
هو التصوف ووجدنا هذا المذهب يضيف
ألوانا أخرى من التأثير على الحياة الأدبية
تتمثل فى تلك الموضوعات الجديدة التى تشكل
منها هذا المذهب ، كالحب الإلهى ومقامات
الكشف والفناء والاتحاد وما إليها ثم فيما
ترتب على هذه الموضوعات من مناهج جديدة
فى التعبير .

أذن يمكن القول بأن التصوف قد أثر فى
الأدب من ناحية شكله ومن ناحية مضمونه
أما من ناحية الشكل ، فأول ما نلاحظ من
ذلك تلك الألفاظ والتعابير الخاصة التى
كانت تعتبر قاموسا للمتصوفة وحدهم فهى
أكثر اتصالا بحياتهم ومذاهبهم وأدق تعبيرا
عن معانيهم النفعية والوجدانية التى كانوا
ينفعلون بها فمن هذه الألفاظ مثلا :

« المرید . المراد . السالك . المسافر .
المقام . الحال . القطب . القبض . البسط .
الأنس . التواجد . الوجد . الوجود . الجمع .
جمع الجمع . السكر . الصحو . الدوق .
المحو . علم اليقين . حق اليقين . عين اليقين »
الى آخر هذه الألفاظ والمصطلحات الكثيرة
التي كان لكل لفظ أو مصطلح منها دلالة على
حالة من حالاتهم النفسية والوجدانية .

ومن ناحية أخرى فقد كانت موضوعات
الأدب الصوفى داعيا قويا لاستحداث أسلوب
تعبيرى جديد لم يكن معروفا من قبل ، ذلك
هو الأسلوب الرمزى الذى يقوم على استخدام
المجالات الحسية فى التعبير عن المجالات
الروحية والمعانى الوجدانية فهم يستخدمون
مجال الغزل البشرى للتعبير عن حبهم الإلهى
ويستخدمون مجال الخمريات للتعبير عن
سكرهم بالوجد والتفانى فى الذات الواحدة .
ومن ذلك الأسلوب الرمزى قول أبى سعيد
الحراز الصوفى :

أسائلكم عنها فهل من مخبر
فما لى بنعم مذنات دارها علم

فلو كنت أدري أين خيم أهلها
وأى بلاد الله اذ ظعنوا أموا
أذن لسلطنا مسلك الريح خلفها
ولو أصبحت نعم ومن دونها النجم

فهو يرمز بالسؤال عن محبوبته « نعم » وعن
رحلته وراءها الى التعلق بذات الله وحده
وأن لا شيء سواه .
وابن الفارض في خمرياته الالهية يعطى
مثلا رائعا لذلك الأسلوب ، حيث يقول :

شربنا على ذكر الحبيب مدامة
سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم
يقولون لى صفها فانت بوصفها
عليم ، أجل . عندي باوصافها علم
صفاء ولا ماء ولطف ولا هوا

ونور ولا نار وروح ولا جسم
تقدم كل الكائنات حديثها
قديما ولا شكل هناك ولا رسم
وقامت بها الأشياء ثم لحكمة
بها احتجبت عن كل من لا له فهم
وهامت بها روحى بحيث تمازجا
اتحادا ولا جرم تخلله جرم
فخمر ولا كرم وآدم لى أب
وكرم ولا خمير ولى أمها أم
ولطف الأوانى فى الحقيقة تابع
للطف المعانى ، والمعانى بها تنمو
وقد وقع التفريق والكل واحد
فارواحنا خمير وأشباحنا كرم

فابن الفارض هنا يتفنى بخمرة خاصة ،
يعرف نشوتها ويحس لذتها هو وحده ، وهذه
الآبيات صورة رائعة من الشعر الصوفى ، الذى
يتسم بصدق العاطفة وخصوبة الخيال
والقدرة على التصوير .

أما من ناحية المضمون ، فقد كان للتصوف
فيها آثار واضحة ، تمثلت فى إبراز تلك
العناصر الفلسفية ، التى امتزجت به كالفناء
والاتحاد والكشف وغيرها .

وهذه العناصر شغلت جانبا مهما من
الأدب الصوفى ، وأكثر المتصوفة من إبرازها
والتعبير عنها ، ففى مقام الفناء ، وهو الشعور

بفناء الذات البشرية فى الذات الالهية - يقول
أحد الصوفية :

عجبت منك ومنى أفنيتنى بك عنى
أدنييتنى منك حتى ظننت أنك أنى

ويقول الحسين الحلّاج :

مزجت روحك فى روحى كما
تمزج الخمرة فى الماء الزلال
فاذا مسك شيء مسنى
فاذا أنت أنا فى كل حال

وهكذا نرى أن التصوف بنزعته الدينية
والفلسفية وبجانبه العملى والدوقى قد لعب
دورا كبيرا فى صبغ الأدب الصوفى بصبغة
خاصة تقوم على استلهاهم تلك التجارب
الوجدانية التى كان يعيشها المتصوفة فى مقام
الالوهية الاسمى .

ولم يقف أثر التصوف فى الأدب عند هذه
الجوانب التى ذكرنا ، بل لقد كان التصوف
قوة دفعت كثيرا من الظواهر الأدبية الى
الوجود كفن المدائح النبوية الذى هو صدى
لنظرية الحقيقة المحمدية ، وفن المناجاة الذى
يقوم على التعلق بالذات الالهية ، وكذلك
الأدعية والأوراد والحكم والوصايا والنصائح
وأدب الأخلاق وما الى ذلك من الاتجاهات
الأدبية الصافية ، التى انعكست على الشعور
الانسانى قوة تسمو به الى عالم الحق والكمال .
ولا بأس من أن نختم حديثنا هذا بدعاء
من أدعية أبى حيان التوحيدي ، لئلا نرى روعة
العمل الأدبى وصفاءه حينما تنبعث به عاطفة
عميقة مخلصه .

يقول التوحيدي :

« اللهم انى أبرأ من الثقة الا بك ، ومن الأمل
الا فيك ، ومن التسليم الا لك ، ومن التفويض
الا اليك ، ومن التوكل الا عليك ، ومن الطلب
الا منك ، ومن الرضا الا عنك ، ومن الذل
الا فى طاعتك ، ومن الصبر الا على بلائك ، اللهم
تتابع برك ، واتصل خيرك ، وعظم رفدك ،
وتناهى احسانك ، وصدق وعدك ، وبر
قسمك ، وعمت فواضلك ، وتمت نوافلك ،
ولم تبق حاجة الا وقد قضيتها أو تكفلت
بقضائها . فاختتم ذلك كله بالرضا والمغفرة .
أنك أهل ذلك والقادر عليه » .

الدعوة والزعامة

الأستاذ أحمد عبد الجواد الدروسي

الدعوة الى الله ، وآمن من آمن ، وكفر من كفر : «فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية ، وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية ، سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية » وكان هؤلاء الدعوة جميعا - ما قصه القرآن وما لم يقصصه - مقدمة لسيد الدعوة ، وخاتم الأنبياء سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم -

وكانت البشرية ، قد ملأت آفاقا كثيرة من الأرض ، وكانت الحضارات قد دخلها شيء كبير من التحريف والتبديل ، وكانت العقول قد تاهت في بيداء الفلسفة الاغريقية وما شابهها ، فكان لابد من داعية يفتح العقول على الهدى والنور ، والنفوس على مفاتيح الخير مفتاحا مفتاحا ، والأيدي على العمل والحركة ، والبطون على الحلال . . والحلال فقط ! وكان لابد من داعية يفجر هذه الطاقات الانسانية الضائعة في الخمر والوثنية فيصنع منها العباد الأطهار ، الرهبان بالليل والفرسان بالنهار .

وكان نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - هو هذا الداعية الأمين ، والمبلغ المبين .

وعرض دعوة الاسلام ، على الفئات التي عارضت دعوة نوح تقريبا .

الجماهير الغافلة ، العناصر المستكبرة المترفة !

وصدق الله العظيم : « وما أرسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها ، انا بما أرسلتم به كافرون » . سبأ

وظن زعماء الكفر ، أن رسالات السماء ينبغي أن تورث ارثا ، أو تحتكر احتكارا

الدعوة الى الله شرف كبير ، ومنزلة سامية ، انتخب لها منذ القرون الاولى أفضل عناصر الأمة ، وأزكاها نفسا ، وأطهرها قلبا ، وأصلبها عودا ، وهم الأنبياء والمرسلون

فاذا كان من أوصاف الأنبياء والمرسلين . أنهم يبلغون عن الله رسالاته الى الناس ، ويحملون شرائعه الى عباده ، فهم بذلك - أول الأمر وآخره - دعاة الى الله عز وجل ، شرفوا بحمل الرسالة وأداء الأمانة .

وكانت أساليب الدعوة الى الله ، تختلف باختلاف العصر ، حسب تحمل العقول لها ، وتهيؤ النفوس لحملها ، كما أنها كانت تتدرج . كمالات واسعة وعمقا ، كلما تقدم العقل البشري واستوى على سوقه .

ولقد أعطى قوم نوح فرصة ألف سنة الا خمسين عاما ، ليفهموا فقط معنى التوحيد ، « أن لا تعبدوا الا الله » ومع هذا الزمن الطويل ، فلم يؤمن معه الا قليل ، واستكثرت الجماهير الغافلة الرسالة على بشر ، ولم تستكثر الألوهية على حجر ، كما استكثرت العناصر المتمردة ، أن تسلك ما سلكه المؤمنون الصادقون : « ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين . . » وسقط من ميزان الحق تبارك وتعالى الجمهرة الغافلة ، والعناصر المستكبرة ، ففتح أبواب السماء بماء منهمر ، وفجر الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر ، وحمل نوحا ومن معه على ذات ألواح ودسر ، وكان حقا على الله نصر المؤمنين .

وكان من الممكن . أن تأخذ البشرية درسا من هذا الطوفان الجبار ، ولكنها - كعادتها دائما - نسيت وعنت عن أمر ربها ، فتوالى

((وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من
القرينتين عظيم ، أ هم يقسمون رحمة بك)) ؟
ولكن منطق السماء العادل ، لم يقر هذا
الأمر ، فأعطى النبي اليتيم مقاليد الدعوة
الاسلامية ، فى الجزيرة العربية وفى العالم
كله ((وما أرسلناك الا رحمة للعالمين))
الأنبياء ((وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا
ونذيرا)) سبا

وتوزع فى القرآن الكريم وفى السيرة
العاطرة أسلوب الدعوة ومنهجها وطريقتها
وزمانها والمضاعب التى واجهت الداعية
الأعظم ، والغزوات التى خاض غمارها ، مما
لا يمكن حصره فى مقال .

ونجحت الدعوة الاسلامية نجاحا منقطع
النظير !

وهلك أبو جهل وحاشيته .

وذهب أبو لهب وامراته .

وتحطم الوليد وتديره ، وتفكيره
وتقديره !

ووصل اليها الاسلام بقواعده الخمس ،
ودعائمه المتينة ووحيه المتلو ، فما هى
أسباب النجاح أو الانجاح ؟

لا شك أن الأسباب كثيرة ، ولكنى أحاول
أن أوجز أهمها فيما يلى :

(١) لقد ربى النبي صلى الله عليه وسلم
أصحابه جميعا على أن كل مسلم يدخل فى
الاسلام يجب أن يكون داعية ، يعد نفسه
لتحمل الأذى ، واستسهال الصعاب .

(٢) الدعوة الى الله قول وسلوك ، فمن
أحسن القول وأساء السلوك فليس بداعية ،
((ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل
صالحا وقال اننى من المسلمين)) . فصلت
وفى ذكر « وعمل صالحا » بعد « دعا الى الله »
تأييد لما ذهبنا اليه .

(٣) التجدد الكامل لدعوة الحق ، والتفانى
فى إيصالها الى الناس ، والحرص على الصلة
كلما سنحت له الفرصة ((قل ان كان آبائكم
وأبنائكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم
وأموال اقترفتهموها وتجارة تخشون كسادها
ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله

وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله
بأمره ، والله لا يهدى القوم الفاسقين)) التوبة

(٤) الاقلال من متاع الدنيا ، والاستغناء عن
كثير من شهواتها ، فان ذلك يعطى الداعية
قوة لا يجدها المتكالبون المسعورون

(٥) كان الدعاة الى الله يوزعون ما عندهم
من خالص العلم ولا يكتُمونه ، قاصدين فى ذلك
الله ورسوله ، غير ناظرين الى عطاء الناس
أو ثنائهم وتقديرهم . سئل سعيد بن المسيب:
بم سدت ؟ قال : لأن الناس احتاجوا الى علمنا
واستغنينا عن دنياهم !

(٦) عدم التهيب ، فان كلمة الحق أكبر من
أى كبير ، وأعظم من أى سلطان ((ان لصاحب
الحق مقالا)) . لقد دخل عبادة بن الصامت
على المقوقس فى صولجانه وعساكره ، فخاف
المقوقس من عبادة صاحب الزى البسيط حتى
قال له : ((كلمنى برفق فانى أهابك وأهbab
سوادك)) . والسرف فى ذلك أن عبادة لم يهب
المقوقس حين دعاه الى الاسلام فهابه المقوقس
حتى ارتعد منه !

(٧) الفهم والادراك لسمو الرسالة التى
حملها الداعية فذلك يجعله يحرص على اظهار
كلمة الله فى كل مكان وفى كل ميدان .

وهناك أسباب كثيرة ذكرها أساتذتنا
الأقدمون والمحدثون لانجاح الدعوة الاسلامية
فى عصورها الأولى حتى ارتفعت راية الحق ،
وخفقت أعلامه فى أنحاء المعمورة ، أو فيما
عرف من قارات الدنيا الخمس .

((ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة
الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن)) النحل .
والدعوة الاسلامية تواجه اليوم ما واجهته
فى أيامها الأولى ، بل وأكثر مما واجهته فى
صدر الاسلام

(١) فهى تواجه جاهلية الفكر ، وأممية القلب
وفراغ الأفئدة .

(٢) وهى تواجه طغيان العروش ، وبطش
الشاهات .

(٣) وهى تواجه نفس الجماهير الفافلة ،
والعناصر المستكبرة المتمردة ((وما أكثر الناس
ولو حرصت بمؤمنين)) يوسف

(٤) وهى تواجه زحفا غير مقدس قادمين بعيد ومن قريب ، زحفا من الالحاد الحاد ، والهدم المنظم ، والارتداد السريع ، والثقافة المدخولة

(٥) وهى تواجه أسلحة صاروخية وذرية وأسلحة فكرية أحد وأنفذ من الأسلحة الأولى (٦) وهى تواجه من نفس الصفوف التى تزعم الايمان ، منافقين يحسنون القول كل الاحسان ، فاستغلوا هذا الاحسان فى بناء كيانه المادى دون أن يفكروا فى صالح الدعوة ، لا من قريب ولا من بعيد !

وكم كانت الفاجعة حين انكشفت النفوس التى أحسنت التعبير فترة من الزمن ، فلما لاحت لها الدنيا وبرقت أمامها المطامع ، عريت عن مظاهر الايمان ، كما تعرى الشجرة عن أوراقها التى يبست وتساقطت ، ثم كسيت بأوراق خضراء ، ولكنها مستعارة تعصف بها أى ريح ، وتسقط أمام أى هزة !

فما هو المطلوب الآن ليعيش الاسلام ويصل الى الأجيال القادمة كما وصل اليها ؟ أقول ليعيش ويحيا ، وفرق بين أن أقول يحيا وبين أن أقول : يستعيد مجده التالذ ، ويرفع رايته فى العالمين !

ان الاسلام الآن فى حاجة الى أسباب الحياة تتوفر له فى أمن وأمان ، وهو والله الحمد حين تتوفر له أسباب الحياة يشب شبابا سريعا ، ويؤتى ثماره الطيبة فى فترات يسيرة ، وما عهد الوثبة الاسلامية الأولى عنا ببعيد .

وأحب أن أسأل هنا سؤالا صريحا بعض الصراحة :

هل يوجد الآن عدد كبير من الدعاة الى الله؟

(أ) الدعاة الذين يتجردون للدعوة ويرونها

أسمى رسالة فيحرصون عليها ويصبرون على لأوائها ، ويصلون قلوبهم بمنابعها الأولى دون كدر أو تشويه ، ويديرون القرآن فى صدورهم كلما عن لهم شأن أو ألت بهم ملمة .

(ب) الدعاة الذين يتعمقون فيما يلقونه على

الناس من موعظة ، وفيما ينشرونه على الناس من كتب ومقالات ، فاذا ألقى واحد منهم خطبة فى الخمر مثلا عرض لما ورد فيها من آيات ثم لما جاء فيها من أحاديث ، ثم تابع أقوال الفقهاء فى

الأشربة ، ثم قرأ ما ذكره الطب الحديث عن الخمر ، ثم بعد ذلك كله - وهذا مهم - يحسن عرض ذلك كله على الناس فى ايجاز يناسب مصالحهم ، وبساطة أسلوب تناسب عامتهم

(ج) الدعاة الذين لا يكون همهم كسب ثناء الناس ولا ظهورهم على الشاشة : ان وثنية الشهرة كثيرا ما أطاحت بأناس وعصفت بألباب .

(د) وفى عبارة واحدة : الدعاة الذين يعيشون للدعوة لا بها ، ويأكلون ليتقوا عليها لا ليصابوا بالبطنة .

ان أكبر الظن أنه لا يوجد عدد كبير من هؤلاء الدعاة !

ومن هنا فأننى أتوجس خيفة على الدعوة الاسلامية !

ان الدعوات الالحادية تجد كتابا ساهرين متعمقين متفرغين ، وتجد مجالات كثيرة ينشر فيها ويلدع هؤلاء الكاتبون حتى تصل الكتابات معطرة منمقة مصورة ، قصيرة ومطولة ، فى ثوب المقال والقصة والكتاب والفيلم وحتى الفكاهة ، فى النوادى المحترمة ، والقاعات الضخمة ، والأجواء المكيبة !

أما الموعظة فمتى تصل وكيف تصل ؟

انها تصل كيفما اتفق ، وفى أوقات محدودة ، وأماكن معينة !!

والكتب الاسلامية على كثرتها لا تحمل مع الأسف طابع العمق الا فى النادر القليل ، والى الآن لا توجد عندنا - أى فى مجال التأليف الاسلامى - القصة الاسلامية القصيرة ولا الطويلة !

واذا أردت أن أضرب مثلا للكتب الاسلامية التى نزلت أرضنا العربية ، ففى ذهنى مثل تقرىبى لهذا : أمة ملكت أرضا واسعة وزرعتها صنفا أو صنفين كالقمح والفلو مثلا ، وتركت الأصناف الأخرى بتاتا أو زرعت منها قليلا جدا لا يكفى الجماعة القليلة فضلا عن الأمة الكثيرة ، وفى نفس الوقت فان أكثر هذا المزروع لم يعن به العناية التامة فخرج سقيما قليل الثمر .

ان عندنا عشرات الكتب فى الموضوع الواحد ، وهناك مواضيع لم يكتب فيها الا القليل .

ولعل بعض الناس يقول : ما علاقة الكلام عن الدعوة والداعية بالكلام عن التأليف ؟ وأجيب بأن أعداء الدعوة الإسلامية تفننوا في محاربتهم بالقول والفعل وجميع وسائل النشر ، ولذلك يجب أن يتسلح الدعاة الى الله بمختلف الأسلحة ، وأقواها الايمان بالله وبالدعوة .

والذى لا شك فيه أن الذى يؤلف كتابا اسلاميا مفيدا ، أو يقدم قصة اسلامية هادفة ، أو الذى يصدر حكما تشريعيا عادلا ، أو الذى يسلك فى الأمة سلوكا حميدا الاثر ، يكون كمن خطب خطبة بليغة الاثر ، عميقة التأثير

وإذا لم يوجد عندنا العدد الكبير من الدعاة فكيف نوجد لهم ؟

وهذا سؤال اعترف بأنه صعب !

ان الدعاة لا يتكونون بمحاضرة أو خطبة ، ولا يلتقطون بمقاييس عادية ، ان المسألة أعمق من هذا ، وأخطر ، وهى فى حاجة حتى الآن الى تفكير عميق ، وبحث مستمر .

وفى نظرى أن الذى يحل هذه المشكلة يقدم للدعوة الإسلامية وللإسلام الإسلامى أجل الفوائد

ان التعليم السائر الآن قد يخرج لنا - ان اخرج - العالم فى الدين ، والأخلاق ، ولكنه لا يخرج لنا المتدين ولا المتخلق

ان الدعاة فى حاجة الى بيئة خاصة يتعلمون فيها ، يبتدئ يومهم بأذان الفجر وصلاته ، ليتلقنوا أن هذه الصلاة المشهودة لا ينبغي أن يؤذن لها وهم نائمون

ومع ذلك تتعهدهم التربية الصالحة ، والعلوم المفيدة ، فإذا ما أتموا الدراسة الخاصة فتحت لهم أبواب المنابر والمحاريب ، على أن يوضعوا تحت اشراف دقيق للسلوك قبل القول ، السلوك الخاص مع نفسه والسلوك العام مع الناس .

ان « الاسبرين » يسكن الصداع ولكنه لا يزيله ! أفكفانا مسكنات !

وإذا قدرت أنه لا يوجد عندنا العدد الكبير من الدعاة الحقيقيين الصادقين ، فلا شك أنه توجد عندنا الخامات الكثيرة ، التى لو وجدت

التوجيه الصادق المدروس لانتبت الطلع النضيد وحب الحصيد .

فالأمة ثرية المواهب والكفاءات ، ولكنها فى حاجة الى الارشاد والتوجيه ، ان الطبيب والمهندس حين يتخصصان فى عمليهما يؤديان للأمة ثمرة عظيمة ، والداعية فى حاجة لأكثر من تخصص ، لأن وظيفته « قيادية » لاسطحية ، تعيش فى الأعماق لا فى ظاهر الحياة .

لابد أن يعرف الداعية شيئا عن الطب وشيئا عن الطبيعة وشيئا عن الجغرافيا وأمثال هذه العلوم ، مع مصادر الشريعة الأصيلة والتضلع فيها .

وأختم هذا المقال بكلمتين

احدهما للإمام ابن الجوزى قال فيها :
« لقيت مشايخ . أحوالهم مختلفة ، يتفاوتون فى مقاديرهم فى العلم ، وكان أنفعهم لى فى صحبتته : العامل منهم بعلمه وان كان غيره أعلم منه » .

ولقيت عبدالوهاب الأنماطى . فكان على قانون السلف ، لم يسمع فى مجلسه غيبة ، ولا كان يطلب أجرا على سماع الحديث ، وكنت اذا قرأت عليه أحاديث الرقائق بكى ، واتصل بكأؤه ، فكان - وأنا صغير السن حينئذ - يعمل بكأؤه فى قلبى ، ويبنى قواعد الأدب فى نفسى ، وكان على سمت المشايخ الذين سمعنا أوصافهم فى النقل .

ولقيت الشيخ أبا منصور الجوالقى فكان كثير الصمت ، شديد التحرى فيما يقول ، مثقفا محققا ، وربما سئل المسألة الظاهرة التى يبادر بجوابها بعض غلمانه فيتوقف فيها حتى يتيقن ، وكان كثير الصوم والصمت ، فانتفعت برؤية هذين الرجلين أكثر من انتفاعى بغيرهما ، ففهمت من هذه الحالة أن الدليل بالفعل أرشد من الدليل بالقول .

والكلمة الثانية للإمام الفزالى وقد قال فيها :

« حال رجل فى ألف رجل أنفع من وعظ ألف رجل فى رجل » . نسأل الله سبحانه أن يجعلنى ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انبنى من المسلمين » .

ليلاي في السماء

في ذكرى الإسراء والمعراج الأستاذ محمد عادل سليمان

هدأت ثورة الرياح .. وأغفت ملء أجفانها رمال الجزيرة
رفرف الليل حولها .. تمسح الأرض شعاعاته .. وينثر نوره
والسماء .. السماء .. تغرق في الصمت .. وتصحو على رؤى مسحورة
وهنا .. في الدروب .. بيت فقير .. بث في مسبح النجوم عبيره

أطرقت عنده الغصيا .. وطافت في سراديبه حياة جديدة
وملاك هناك في حجرة الوحي أمام الرسول ألقى نشيده
كان صمت الوجود يسكب في الكون بقايا من الأغاني البعيدة
من أغاني السماء يهمس « جبريل » يهدي « محمدا » تفريده

وعلى أجنحة مكوكبة اللحم يطير الرسول عبر الفضاء
أعلن الله أن ضيفا من الأرض حبيبا يزوره في السماء
فاغمري يا سماء وجهك بالعطر .. بعطر الجمال .. عطر الضياء
وامسحي موكب النبي .. فاني أنا وحدي مضيف هذا المساء

ودنا موكب النبي من القدس .. من العالم البعيد القريب
ملء أعماقه لحون حيارى .. عزفتها صلاته في الغروب
وهنا .. أقبل النبي من الأرض .. على ربه الحبيب .. الحبيب
وضفاف السماء تفتش النور .. وتهفو الى حديث الغيوب

هو ألقى السلام في رهبة الصمت .. وحيا الاله في أغنياته
في ظلال الفيوض يسجد لله .. وفي قلبه فيوض صلاته
عبقرى الرنيم في أفقه الهامس .. حار الوجود في هينماته
كان في ليلة السماء شعاعا رفرف في الجناح في خفقاته

وتهادى البراق يرقص في الأفق .. وقد أسرج الأمين جناحه
ومضى في عباب نور الهى .. ودنيا من الشذى فواحه
وصلاة وضيئة اللحن والهمس كما يشرق الوجود صباحه
كل من في الوجود يهتز للنور .. ويهدي « محمدا » أفراحه

أنت تسأل؟ .. والمفتي يجيب!

فضيلة الأستاذ الشيخ سيد سابق

والأئمة المقلدون أنفسهم نهوا عن أن يقلدوهم
أحد غيرهم . وقالوا : لا يجوز لمن لا يعرف
دليلنا أن يأخذ برأينا . وهذا نهى صريح
لا يحل العدول عنه إلا عند الضرورة .
والضرورة تقدر بقدرها .

وقد يسر في هذا الزمن معرفة الأحكام
الشرعية من مصادرها ولم تبق حجة يعتذر
بها المقصرون عن فهم دينهم والفقه فيه .

س - إذا حلف رجل بالطلاق أو بالحرام
فقال : يلزمني أو على الطلاق .. مرة أو
مرتين أو ثلاث مرات .. أو قال على الحرام
مرة أو مرتين أو ثلاث مرات .. ان فعلت
كذا أو لأفعل كذا . فحنت في يمينه فما
الحكم ؟

ج - هذه الصيغة من صيغ الطلاق المعلق
وهو مضاف الى الزوجة حكما وان لم يصف
اليها حقيقة .

اذ ان قوله على الطلاق أو على الحرام أو
يلزمني الطلاق أو الحرام ان فعلت كذا يراد به
ان فعلت المحلوف عليه لزمني الطلاق والحرام .
فهو بمنزلة قول الرجل لزوجته ان فعلت كذا
فأنت طالق .

فالطلاق وان لم يصف الى الزوجة بحسب
اللفظ فهو مضاف اليها بحسب المعنى .
وقد ذهب جمهور العلماء ومنهم الأئمة
الأربعة الى وقوع الطلاق عند حصول الأمر
الذي علق عليه .

وتذهب بعضهم الى عدم وقوعه . ومنهم
ابن حزم الظاهري . والذي جرى عليه العمل

* التلفيق : تقليد أكثر من امام
في فروع العبادات .
* الطلاق المعلق يقع حسب
القصد .

* الله وحده مجيب الموتى .

السيد عبد الحفيظ ابراهيم اللاذقي
بيروت

س - ما حكم التلفيق بين المذاهب ؟
ج - المرجع الذي يجب على المسلم ان
يرجع اليه في معرفة أحكام دينه هو : الكتاب
والسنة .

وقد كان هذا هو هدى السلف حتى دونت
المذاهب ولم يكن تدوين المذاهب يقصد منه
الزام الناس تقليدوهم . وانما قصد منه اعانة
المسلمين على فهم الاستنباط ومعرفة مأخذ
الأحكام .

ثم حدثت بدعة القول بسد باب الاجتهاد
والزام المسلمين تقليد أحد الأئمة المجتهدين .
وهذا القول مع ما فيه من بعد عن الحق
الا أنه يعتبر كضرورة لمن عجز عن ادراك
النصوص من الكتاب والسنة وفهمها .

والتلفيق : ما هو الا نوع من التقليد .
الا أنه تقليد لأكثر من امام ولهذا جوزوه العلماء
الذين جوزوا التقليد نفسه . لأنه لا فرق بين
تقليد امام في جميع الفروع وبين تقليده في
بعضها وتقليد غيره في البعض الآخر .

وننصح جماعة المسلمين بان ينهجوا نهج
السلف في مراعاة معرفة الأحكام من مصادرها
الشرعية .

الآن في المحاكم بمصر : أن الطلاق المعلق
يختلف باختلاف غرض المتكلم وقصده .

فان كان قصده من تعليق الطلاق - على
أمر مستقبل - وقوع الطلاق عند حدوث
المعلق عليه وقع الطلاق عند حصول ما علق
عليه معاملة له بقصده . لأنه لا يريد معاشرته
زوجته عند حصول الشيء الذي علق عليه
الطلاق .

وان كان غرض المتكلم بالتعليق التخويف
والحمل على فعل شيء أو تركه وهو يكرهه
الطلاق ولا يريده عند حصول الشيء المعلق
عليه . فلا يقع الطلاق عند حصوله لأن
التعليق في هذه الحالة يكون في معنى اليمين
بالطلاق واليمين بالطلاق لفو لا يقع به شيء .

وهذا الحكم هو ما تضمنته المادة الثانية
من القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ ونصها :

((لا يقع الطلاق غير المنجز اذا قصد به
الحمل على فعل شيء أو تركه لا غير))

وجاء في المذكرة الايضاحية بشأن هذه
المادة :

« ان المشرع أخذ في الغاء اليمين بالطلاق
برأى بعض علماء الحنفية والشافعية والمالكية .
وانه أخذ في الغاء الطلاق المعلق الذي في معنى
اليمين برأى الامام علي بن أبي طالب ، وشريح
القاضي ، وداود الظاهري وأصحابه .

س - السيد السيد علي - الجامعة
الأزهرية .

ما رأى الاسلام فيما نشرته جريدة الأخبار
في أول رجب سنة ١٣٨١ هـ في الخبر الذي

أذاعته وكالة تاس من أن بعض العلماء الروس
قد تمكنوا من اعادة الحياة لبعض الموتى .

ج - الحياة هبة من الله ولا يزال سرها
مجهولا أمام العلم كبقية الأسرار الفامضة التي
لا تعرف حقائقها بعد .

ومحاولة اعادة الحياة بعد الموت غير ممكن،
وانما الذي يتولى اعاتها مرة أخرى هو الله
وحده ((وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده ، وهو
أهون عليه)) .

وما يقال من أن بعض العلماء قد استطاع
أن يرد الحياة الى الأشخاص الذين دب فيهم
ديب الموت فغير صحيح ، ولو فرض صحة
ذلك فأننا نجزم بأن الحياة لم تكن قد فارقت
الجسد بعد ، وكل ما يمكن أن يقال : هو أن
الحياة توقفت لأسباب عارضة فلما زالت
تلك الأسباب عادت الحياة .

وانا نتحدى هؤلاء الذين يزعمون أنهم أعادوا
الحياة بعد فقـسـدها ، أن يحيوا ميتا موتا
حقيقيا ، وما هم بفاعلين أبدا .

وقد لاحظ بعض علماء المسلمين أن بعض
الأشخاص دفنوا قبل أن يكون موتهم حقيقيا،
وقد فتح قبر صاحب بن عباد بعد دفنـه
بفترة طويلة لدفن أحد الموتى، ووجد صاحب
بقبره يجلس القرفصاء مسندا ظهره لحائط
القبر ومسندا رأسه الى راحته ، وكان معنى
هذا أن صاحب لم يكن قد مات موتا حقيقيا
فلما زالت الأسباب العارضة عادت اليه
الحياة ولكنه لم يتمكن من الخروج فجلس
حتى مات موتا حقيقيا . . . وأمثال هذا كثير
ومشهور تحدثت عنه الصحف والمجلات في
مناسبات عديدة . .

((عزاء))

أسرة المجلة تقدم خالص العزاء للاستاذ عباسي
حمدي سكرتير ادارة المجلة لوفاة السيدة حرمة ،
وتدعو الله للفقيدة أن يتفمدها برحمته وأن يلهمه
والأسرة جميل الصبر .



ليبيا

أعلن استقلالها في ٢٤ ديسمبر ١٩٥١

وفي مارس عام ١٩٤٧ شكلت هيئة لتحرير ليبيا من السادة : بشير (بك) السعداوى ، وأحمد (بك) السويحلي ، ومحمود (بك) منتصر ، وجواد (بك) ذكرى ، وطاهر (بك) المريفى ، ومنصور (بك) قدارة .

* وفي ٢١ نوفمبر ١٩٤٩ أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها بانتهاء الوصاية على ليبيا وصدر القرار التالى :

- ١ - اعتبار ليبيا دولة مستقلة ذات سيادة
- ٢ - يسرى هذا القرار فى أقرب فرصة لا تتجاوز يناير عام ١٩٥٢
- ٣ - يوضع دستور لتشكيل الحكم فى ليبيا
- ٤ - قبولها بعد تكوينها عضوا فى الأمم المتحدة

* وفي ٣ ديسمبر سنة ١٩٥٠ أعلنت الجمعية الوطنية التأسيسية الليبية قرارها التاريخي بإعلان ليبيا دولة مستقلة ذات سيادة دستورها ديمقراطى ونظامها فيدرالى تحت تاج الملك ادريس السنوسى .

* وفي رمضان عام ١٣٧١ احتفل بقيام أول مجلس نيابى لىبى مؤلف من ٦٠ عضوا ، وهو الذى قد أصبح اليوم مؤلفا من ٥٣ عضوا فى مجلس النواب و٣٤ عضوا فى مجلس الشيوخ

احتفل منذ أيام بالعيد العاشر لاستقلال ليبيا . .

وما أن انتهت الحرب العالمية الثانية حتى كانت الارض الليبية تغل تحت أقدام الحلفاء . . وثار دم الشهيد عمر المختار من بنغازى . . الى برقة . . الى طرابلس . . وزحف الزعيم ادريس السنوسى من القاهرة يحمل لواء تحرير بلاده . . وبدأت خطوات التحرير . .

* لقد كانت ليبيا تحت حكم الأتراك عام ١٨٣٥ واستولت عليها إيطاليا عام ١٩١١ وبقيت واحة جغبوب تابعة لمصر .

* وفي عام ١٩٣٦ تنازلت مصر للشعب الليبي عن واحة جغبوب

* وفي سنة ١٩٤٢ خلصت من الاستعمار الايطالى ووضعتها الأمم المتحدة تحت حكم بريطانيا ووصايتها . . وبدأ السنوسيون بزعامه الملك ادريس السنوسى يطالبون باستقلالها وضمها الى جامعة الدول العربية وبدأت جولات أمين الجامعة العربية آنذاك عبد الرحمن عزام واللواء محمد صالح حرب الرئيس العام للشبان المسلمين .

* وفي ٢٥ أبريل عام ١٩٤٦ أعلنت بريطانيا تحت ضغط الشعب الليبي والزعيم السنوسى وجهود الزعماء العرب تحقيق وعودها للسيد السنوسى .

* وفى ٨ أكتوبر عام ١٩٥١ وافقت الجمعية الوطنية بالاجماع على مشروع الدستور الجديد .

* وفى ٢٤ ديسمبر ١٩٥١ أعلن استقلال البلاد وتوج الملك إدريس السنوسى الأول ملكا على المملكة الليبية المتحدة ، وكان السيد صلاح الدين فاضل هو أول سفير (لمصر) قدم أوراق اعتماده الى جلالتة .

* وفى نوفمبر الماضى انتقلت الحكومة الاتحادية للمملكة الليبية المتحدة من طرابلس الغرب الى مدينة (البيضاء) العاصمة الجديدة وتقع فى قلب الجبل الأخضر على بعد ٢٠٠ كيلو من بنغازى و ١٧٠٠ كيلو من طرابلس و ٢٧٠٠ كيلو من نزاك و ٢٧٠ كيلو من طبرق حيث يقيم جلالة الملك السنوسى بصفة دائمة .

* وطبرق تعد أجمل مصيف عالمى وتقع على ربوة عالية ، وفيها يقع قصر (روميل) وقيادة المحور أثناء الحرب الماضية . وقد أنشأ بها اليوم السيد/ محمد على السنوسى الأول أول زاوية سنوسية لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم الدين .

* و « ليبيا اسم أفريقى قديم » لقارة افريقيا ، تبلغ مساحتها ٦٧٩١٨٣ ميلا مربعا .

* وحدودها الرسمية هي (مصر) الجمهورية العربية المتحدة والسودان و افريقيا الاستوائية ، و افريقيا الغربية ، وجنوب الجزائر وتونس والبحر الأبيض المتوسط .

* أقاليمها الثلاثة هي (برقة وطرابلس وفزان) ويتصل كل اقليم منها بالاقليم الآخر بمناطق صحراوية شاسعة ، ويحكم كل ولاية منها (وال) يعين بمرسوم ملكى يعاونه مجلس تنفيذى منتخب لتصريف الشئون الداخلية على ضوء ما تقرره الحكومة المركزية .

* وأهل ليبيا الأصليون جميعا يدينون بالاسلام منذ أكثر من عشرة قرون ، وتتألف

الأقليات فيها من ٤٠ ألف نسمة ، وكان بها ١٣ ألف يهودى رحل معظمهم مهاجرا عن البلاد الى اسرائيل وغيرها منذ أعلن استقلال الوطن الليبي كما كان بها ٣٥ ألف ايطالى .

* وهى تضم عدة وسائل للنقل والمواصلات من بينها السكك الحديدية والسيارات وأنشأت عددا من الطرق الرئيسية

* أصبح اسمها الرسمى بعد الاستقلال (المملكة الليبية المتحدة وتنص المادة الخامسة من دستورها على أن الاسلام هو دين الدولة)

* وتضم ليبيا ثروات زراعية ومعدنية كثيرة ، وفى مقدمتها « التمر » اذ يبلغ عدد النخيل فى فزان وحدها أكثر من مليون نخلة ، كما تنتج الشعير والعنب والدخان والملح والأسماك والجلود والأصواف والأغنام والحيوانات المأكولة .

* وفى هذا العام تفجرت ينابيع البترول فى صحرائها قرب الساحل وبدأت تتدفق خيرات الذهب الأسود التى ستدعم خزائنها بملايين الجنيهات

* ومعروف أن جلالة الملك إدريس السنوسى الأول قضى فى (مصر) أكثر من ربع قرن كان خلالها موضع التقدير والاحترام ، وأن الأزهر خرج صفوة من علماء ليبيا بعضهم لا يزال يتولى أعمالا فى القاهرة كالشيخ أحمد الكميشى شيخ رواق المغاربة .

* وتبادل القاهرة التمثيل الدبلوماسى مع المملكة الليبية المتحدة وسفيرنا الحالى فى ليبيا هو السيد / عبد الحميد حلمى صبور وسكرتير سفارتنا هو السيد / سامى عبد اللطيف وسفير ليبيا فى القاهرة هو السيد / خليل القلال . وتضم الجالية الليبية فى القاهرة عددا ضخما من الشباب الليبي المؤمن بعروبتة واسلامه . وقد احتفل منذ أيام بالعيد العاشر لاستقلال ليبيا .



مع القراء

قارئنا العزيز في كل مكان ..

من أجل الحق والخير .. والثقافة الحقة ، نقدم لك مجلتك ((منبر الاسلام)) ونترقب بعد اصدار كل عدد رايت ونقدك وخواطرك ، حتى نحقق الرغبة الصادقة ونتجه معك الى الامام في سبيل توضيح مفاهيم الاسلام وعلاج مشكلات الحياة آمليين أن تكون رائدا للحق ، وخير الانسانية .

تصويب

وردت بالمقال المنشور عن «باكستان» بالعدد السادس من المجلة فقرات .. فهم اخواننا من أبناء الهند أن بها ما يمس الحقيقة التي يحيا في ضوءها مسلمو الهند .

ومنبر الاسلام يسرها أن تكون الصداقة التي تربط بين الجمهورية العربية المتحدة والهند . نامية مع الأيام ، وترجو أن يكون كفاح الأمتين - في سبيل اعزاز الانسانية والمثل العليا - وطيد الأركان .

قوامه الخلق الكريم والدين السمح . ونحن نفخر بك وبأمثالك ممن يسلكون هذا الطريق الواضح ، ويعملون في رحاب النور الهادي الذي سيصل بهم حتما الى بر الطمأنينة والسلام .

أول الفيث قطرة

السيد/السيد على - معهد طنطا الديني

في قصيدتك التي أرسلتها للمجلة ملامح شاعر اذا قرأ كثيرا في امعان ، وتدبر الأدب شعرا ونثرا من عصور مختلفة ورحب ميدان ثقافته . سيصبح له شأن في عالم الشعر ، ومكان غير خاف .

الاستاذ سعد فهمي سعد الدين

لا شك أنك تؤدي رسالة كريمة وتقوم بعمل عظيم ، فأنت تقوم بين المسلمين اماما وخطيبا ، تجمع ما تفرق من أمرهم وتوضح لهم ما اشتبه عليهم من أمور دينهم وتبين ما ينطوي عليه هذا الدين من روحية سامية وجهاد رائع ووحدة شاملة ، وأعتقد أن هذا ميدان واسع لنشر ثقافتك . ولا يسعنا الا شكرك على هذا الجهد المحمود .

السيد/منبر اللمعي - مدرس ..

المجلة ستفتح صفحاتها ابتداء من العدد القادم لنشر انتاج القراء الذي يتفق مع رسالتها وخدمتها .

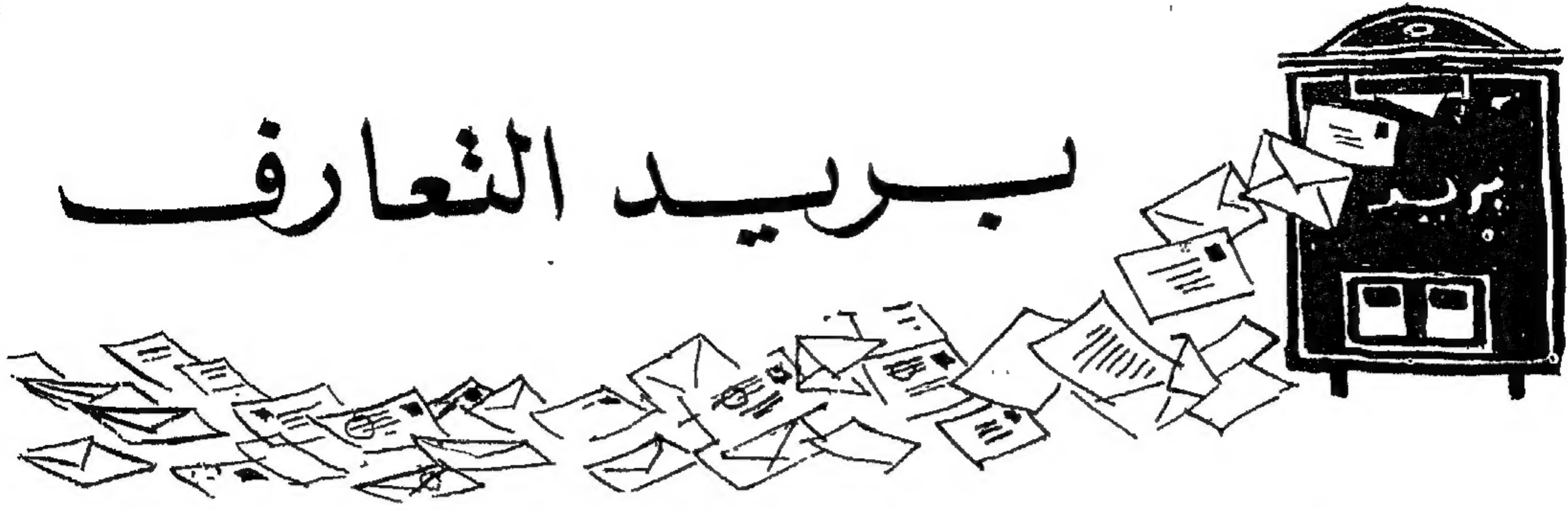
وان لدينا من كتابات القراء ما يبشر بالخير الكثير . من حيث جدة الموضوع ، وعمق الدراسة ونبل الغاية ، وسلامة القصد .

مقياس الانسانية

السيد/محمد عبد الرحيم السايح -

لقد أعجبنا مأسطرته لنا من خواطرك المليئة بالايمان الصادق . الذي يحض على التمسك بالفضيلة . والتحصن بسياج منيع .

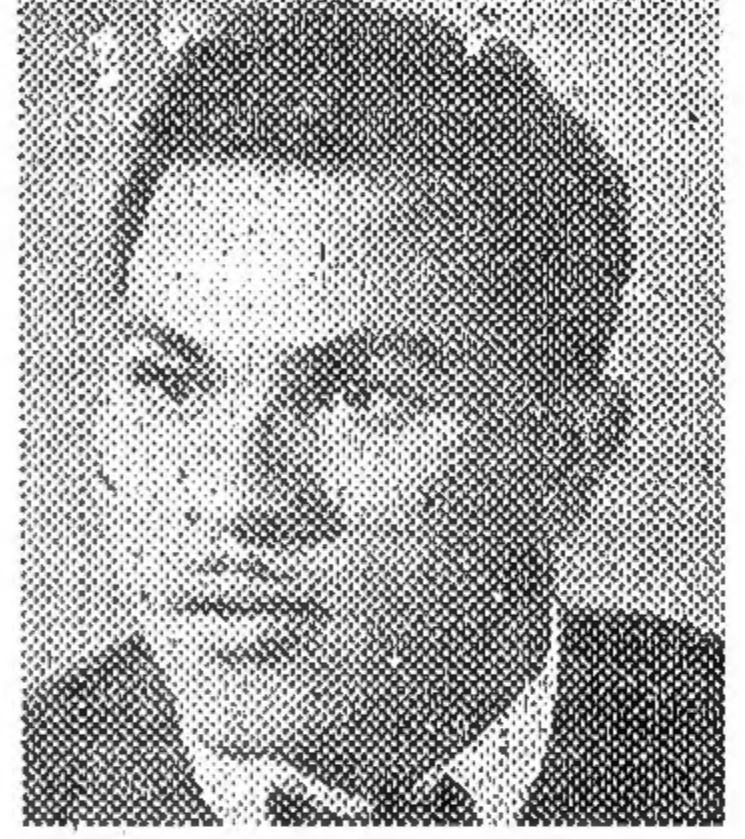
بريد الثعارف



الاسم : مصطفى أحمد محمد
أبو غيدة
البلد : بلبيس
السن : ٢٧ سنة
المهنة : مدرس بمدرسة الفتح
الإبتدائية
الهواية : القراءة والاطلاع -
البحوث الدينية
ومراسلة الشباب
المسلم
العنوان : بلبيس مدرسة الفتح
الجمهورية العربية
المتحدة



الاسم : حامد طه محمددين
حامد
البلد : الاسكندرية
السن : ٢١ سنة
المهنة : طالب بمعهد
الاسكندرية الديني
الثانوي
الهواية : مراسلة أبناء العروبة
باللغة العربية
والانجليزية
العنوان : الاسكندرية -
العطارين - ٢٠ شارع
على الليثي



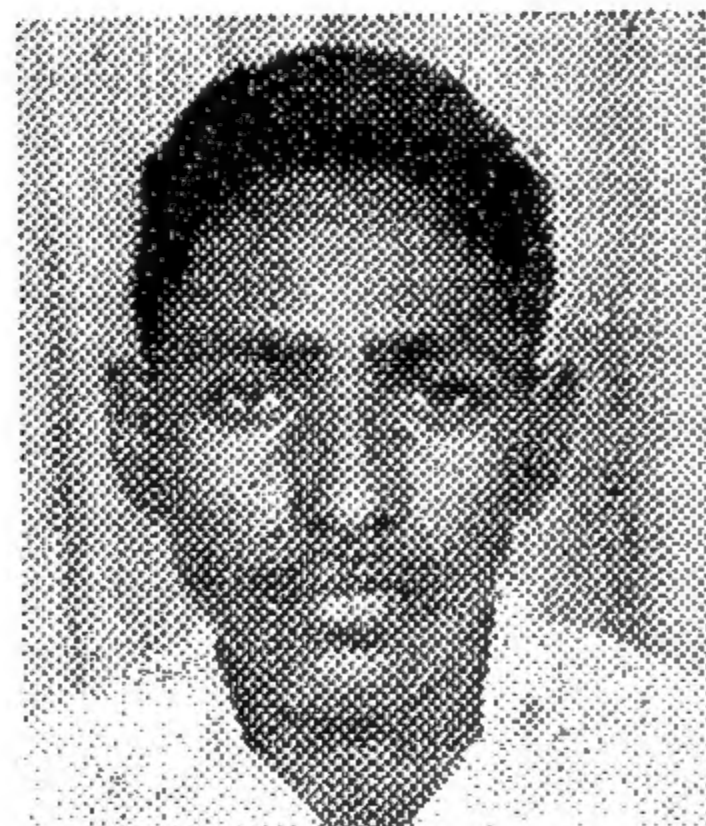
الاسم : نيازي احمد عيسى
البلد : الجمهورية العربية
المتحدة
السن : ١٨ سنة
المهنة : طالب بزراعة عين
شمس
الهواية : قراءة الادب والشعر
ومراسلة الشباب
المسلم
العنوان : ٨٧ (ب) شارع شبرا
مصر



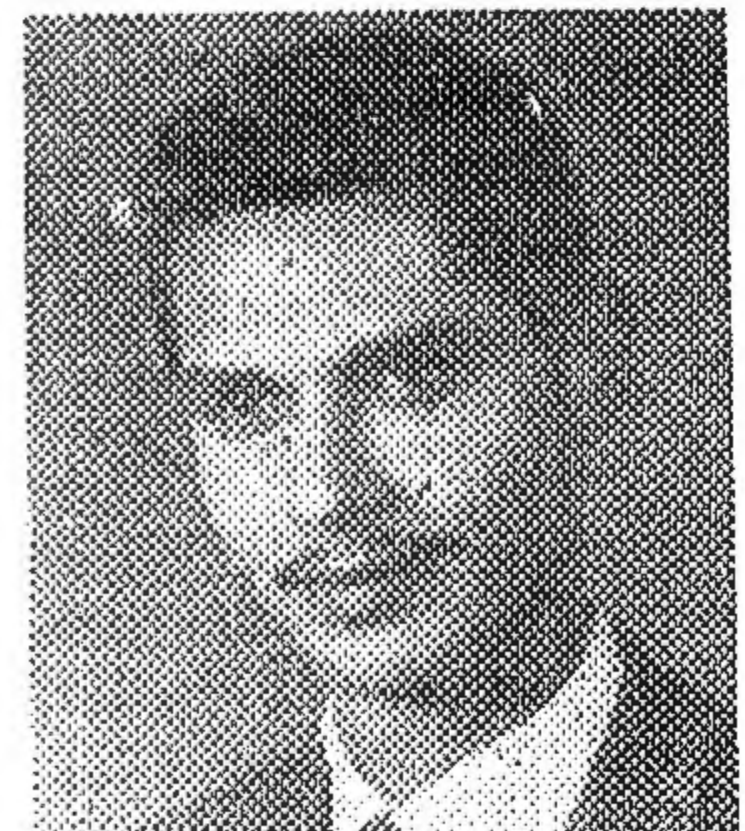
الاسم : أبو السعود عيسد
اللطيف مسعود
البلد : الجمهورية العربية
المتحدة
السن : ١٧ سنة
المهنة : طالب بحقوق القاهرة
الهواية : البحث والاطلاع
ومراسلة الشباب
المسلم
العنوان : سوهاج - منطقة
سوهاج



الاسم : عبد الباسط صالح
عبد الله سبدرات
البلد : واد مدني
السن : ١٨ سنة
المهنة : طالب بالمدرسة الثانوية
الهواية : المراسلة والقراءة
وقرض الشعر - المشي
الطويل وكرة السلة
العنوان : السودان - واد مدني



الاسم : احمد عبد الرحيم
السيد الحداد
البلد : طما - جزيرة طما
محافظة سوهاج
السن : ٢٢ سنة
المهنة : طالب بالثانوية العامة
الهواية : قراءة الكتب
الاسلامية ، مراسلة
الشباب المسلم
العنوان : معهد التقوى والارشاد
ش سسيدي حبيب
بالمنيا



اقرأ في هذا العدد :

صفحة

| | |
|--|-----|
| معالم الطريق | ٣ |
| خطاب من القاهرة | ٥ |
| رئيس الجمهورية ووزير الأوقاف | ٥ |
| زعماء العالم الاسلامى فى القاهرة | ١٢ |
| الشافعى يفتتح الموسم الثقافى لوزارة الأوقاف | ١٥ |
| الصلوة والعلم | ١٧ |
| الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد | ١٧ |
| حاجة العالم الى الاسلام اليوم | ٢٠ |
| فضيلة الشيخ محمد أبو زهرة | ٢٠ |
| من أبواب التكافل الاجتماعى فى الاسلام | ٢٤ |
| فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى | ٢٤ |
| مواجهة الاسلام لمبادئ التفرقة العنصرية | ٢٧ |
| الدكتور على عبد الواحد وائى | ٢٧ |
| وقفه مع من يفسرون القرآن | ٣١ |
| فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى | ٣١ |
| كلمة صريحة هادئة | ٣٤ |
| فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى | ٣٤ |
| من عيون التراث الاسلامى | ٣٨ |
| الدكتور محمد يوسف موسى | ٣٨ |
| التربية الاسلامية | ٤٢ |
| فضيلة الشيخ السيد سابق | ٤٢ |
| القيم الاسلامية | ٤٦ |
| الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى | ٤٦ |
| المثل الأعلى للأخلاق العربية | ٤٩ |
| الدكتور عثمان أمين | ٤٩ |
| الاسلام ونظرية التطور | ٥٢ |
| الأستاذ البهى الخولى | ٥٢ |
| دراسة الفضاء طريق للإيمان | ٥٨ |
| الأستاذ عبد الرزاق نوفل | ٥٨ |
| دور الأسرة فى النظام الاشتراكى | ٦٠ |
| الدكتور محمد سعاد جلال | ٦٠ |
| لسن من طراز مونيكا . . لاجرسون | ٦٢ |
| الأستاذ أحمد محمد بربرى | ٦٢ |
| خواطر مستشار | ٦٥ |
| المستشار على منصور | ٦٥ |
| تطور الخط العربى فى الاسلام | ٦٧ |
| الدكتور حسن الباشا | ٦٧ |
| الناس أجدر بالإيمان فى عصر العلم | ٧١ |
| الدكتور محمد جمال الدين الفندى | ٧١ |
| لماذا حرم الله الربا | ٧٤ |
| الأستاذ عيسى عبده ابراهيم | ٧٤ |
| باحثة البادية الرائدة السلمة | ٧٨ |
| الأستاذ على الجمبلاطى | ٧٨ |
| حياة عمر بن عبد العزيز | ٨٣ |
| الأستاذ عبد الرحمن الشربينى | ٨٣ |
| التربية بين الكبت والاباحة | ٨٩ |
| فضيلة الشيخ محمد الغزالى | ٨٩ |
| الديمقراطية دين الاشتراكية | ٩١ |
| الدكتور محمد غلاب | ٩١ |
| التربية الروحية أساس المجتمع | ٩٤ |
| فضيلة الشيخ أحمد الشرباصى | ٩٤ |
| التأميم فى الاسلام | ٩٨ |
| الأستاذ عبد المنعم النمر | ٩٨ |
| لماذا نثدين | ١٠٢ |
| الأستاذ محمد خليفة التونسى | ١٠٢ |
| المرأة المتصوفة التى علمت الناس أن الحياة محبة الأستاذ عامر العقاد | ١٠٧ |
| تعقيبات حول مقال النقود الاسلامية | ١٠٧ |
| للدكتورة سعاد ماهر | ١٠٩ |
| من أعمال الوطنية | ١١٢ |
| الأستاذ عباس حمدى | ١١٢ |
| التصوف الاسلامى فى الأدب العربى | ١١٤ |
| الدكتور عبد الحكيم بليغ | ١١٤ |
| الدعوة والداعية | ١١٧ |
| الأستاذ أحمد عبد الجواد الدومى | ١١٧ |
| ليلة فى السماء (شعر) | ١٢١ |
| الشاعر محمد عادل سليمان | ١٢١ |
| أنت تسأل والمفتى يجيب | ١٢٢ |
| ليبيسا فى عيد استقلالها | ١٢٤ |
| مع القراء | ١٢٦ |
| بريد التعارف | ١٢٧ |

اقرأ

سلسلة
كتب اسلامية
ودراسات في الاسلام

الاسراء
والمعراج

الأستاذ ابراهيم محمد اسماعيل
المن ٣

اشتراكية الاسلام
والاشتراكيات الغربية

الأستاذ محمد ابراهيم حمزة
المن ٥

تصدر في منتصف كل شهر عربي

تضمنت الحصول على ...
مكتبة اسلامية هامة بأقلام
أهامة متخصصة.

يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
بوزارة الأوقاف

دركة الاعلانات الشربة

مع الباعة في كل مكان ... بأزهد الأثمان

